

مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف
أسست عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

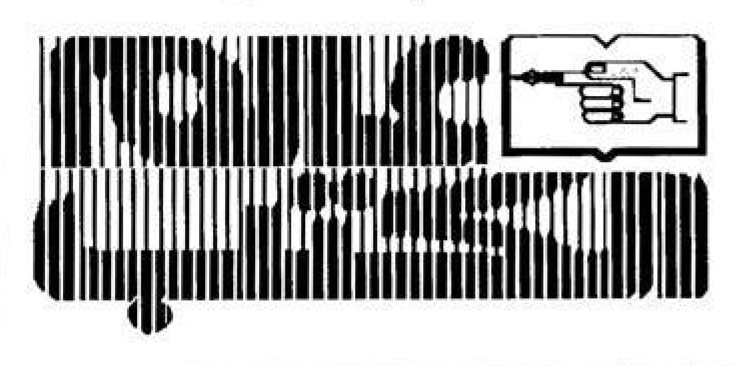
المجلد الخامس والعشرون | العددان الثالث والرابع [عدد مزدوج] | ذو القعدة – ذو الحجة ١٤٢٤هـ / المحرم – صفر ١٤٢٥هـ يناير – فبراير / مارس – أبريل ٢٠٠٤م

عدد مزدوج

من محتويات العدد

* تاريخ التأليف في القهوة : محاولة رصد لأدبيات القهوة العربية
* سياسة البلاغة عند عبدالحميد الفراهي
* العنوان في الشعر السعودي : بداياته وتياراته الإبداعية
* الفوائد والقواعد في النحو للثمانيني
* معاني القرآن للفراء
* الدراسات والجهود الحديثية في المصادر الروسية (دراسة ببليوجرافية)





المؤسسان
عبدالعزيز الرفاعي
عبدالرحمن المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود بن جنيد

المجلد الخامس والعشرون | العددان الثالث والرابع [عدد مزدوج] | ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / المحرم - صفر ١٤٢٥هـ
يناير - فبراير / مارس - أبريل ٢٠٠٤م

عالم الكتب

مجلة محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه، صدر العدد الأول منها في رجب ١٤٠٠هـ / مايو ١٩٨٠م

الناشر

دار ثقيف للنشر والتأليف

العنوان البريدي

٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧
☎ : ٤٧٦٥٤٢٢
ناسوخ : ٤٧٦٣٤٣٨
الموقع على الإنترنت www.alkutub.net
البريد الإلكتروني info@alkutub.net

ردمد : ٠٢٥٨ - ١١٥٩
الإيداع : ١٤ - ٠٠٠٨

المحتويات

* الدراسات

- تاريخ التأليف في القهوة : محاولة رصد لأدبيات القهوة العربية
عبدالغفور إسماعيل روزي .... ٢٠٣ - ٢٢٧
- سياسة البلاغة عند عبدالحميد الفراهي .... صالح سعيد الزهراني .... ٢٢٨ - ٢٥٩
- المكتبات المدرسية في الدول المتقدمة والدول العربية : نظرة تحليلية مقارنة
مبارك بن سعد سليمان .... ٢٦٠ - ٢٧٣
- العنوان في الشعر السعودي : بداياته وتياراته الإبداعية
عبدالله بن سليم الرشيد .... ٢٧٤ - ٢٨٩

* المراجعات

- الشعر المصري في القرن السادس الهجري : ابن قلاقس لعبدالهادي عطية
عبدالعزيز بن ناصر المانع .... ٢٩٠ - ٢٩٧
- الفوائد والقواعد في النحو للثمانيني .... عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم .... ٢٩٨ - ٣١١
- معاني القرآن للفراء : الجزء الثاني بتحقيق محمد علي النجار
مصطفى عراقي حسن .... ٣١٢ - ٣٢٧

* الببليوجرافيات

- العلوم الإسلامية في المراجع المعجمية العربية .... أحمد بن عبدالقادر المهندس .... ٣٢٨ - ٣٤٠
- الدراسات والجهود الحديثية في المصادر الروسية (دراسة ببليوجرافية)
سليمان بن محمد الجار الله .... ٣٤١ - ٣٦٢

* دوريات صدرت حديثاً .... نجيب محمد الخطيب .... ٣٦٣ - ٣٧٢

* كتب صدرت حديثاً .... ٣٧٣ - ٣٨٤

تاريخ التأليف في القهوة :

محاولة رصد لأدبيات القهوة العربية

عبدالغفور إسماعيل روزي

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

يتصدر موقع منظمة البن الدولية على الإنترنت مقدمة عن القهوة تستهل بعبارة "إن قصة انتشار زراعة البن وشرب القهوة حول العالم هي واحدة من أعظم القصص وأكثرها إثارة في التاريخ" [١]. وفي الحقيقة إن مثل هذه العبارة ليست غريبة في افتتاحيات الأدبيات التي ترصد تاريخ القهوة وتكاد أن تكون لازمة تقليدية تتكرر في معظمها . وتزيد ألين ستيلا Alain Stella، وهي مؤرخة وجهت جهودها للكتابة عن القهوة، بأن تاريخ القهوة بما فيها من مغامرات وأساطير وأسرار لا تقل ، بأي حال من الأحوال ، تشويقاً عن قصص عنترة وأبي زيد الهلالي وألف ليلة وليلة ، التي يرويها الحكواتيون لرواد المقاهي[٢]، [مع العلم أن هناك إشارات للقهوة في بعض قصص ألف ليلة وليلة نفسها : (الليلة الثالثة والعشرين بعد الثمانمائة والليلة التسعمائة وثلاث)] .

إن عذب الكلام هذا تجاه القهوة وقصصها ، يقابله عند آخرين آراء مغايرة تماماً لا تؤدي إلا على عكس عذوبته إلى علقم ومن ثم إلى إثباط عزيمة . والمثال الأوضح لذلك هو التحذير الذي يطلقه فرنان بروديل Fernand Braudel الذي يرى بأن الباحث في تاريخ القهوة معرض للتوهان على وجه بغير هدى[٣] وما عناه بروديل في واقع الأمر ليس إلا إرهاصاً لتجربة شخصية اكتوى بها في محاولته تتبع حركية تجارة البن وانتشار شرب القهوة بوصفها سلعة طغى وجودها على عالمه الاقتصادي العالمي في المشرق الإسلامي والأوربي والعالم الجديد ، يجمعها عالمه المتوسطي الرأسمالي الواسع بدءاً من القرن العاشر الهجري / ١٦م[٤]. وعند دخوله عالم تجارة البن وانتشار شرب القهوة في ذلك العالم الرحب تبين لبروديل تشعب طرقها وتعدد مساراتها وكثرة ما كتب عنها ، وقادته خلاصة تجربته إلى الاعتراف بأن من يدخل عوالم القهوة فعليه أن يفتح على مصرعيه باباً تتراكم فيه المعلومات وتتنوع فيه المنابع .

لا جدال أن ما أشعر بروديل بالتوهان يعود في المقام الأول إلى سعيه للبحث عن تاريخ القهوة في عوالمها المتعددة : في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي أولاً، ثم في أوربا والعالم الجديد . وهو عالم واسع يختلف تاريخه عن بعضه تماماً ، ويختلف بالتالي تاريخ القهوة في نطاق كل عالم اختلافاً جذرياً عن الآخر . ويقدم لنا وليم إتش . أوكرز W.H.Ukers في كتابه الكلاسيكي الشامل "كل ما هنالك عن القهوة "، وهو عمل عول إليه بروديل كثيراً، دليلاً إحصائياً نلتمس من خلاله العذر لبروديل للمعاناة البحثية التي عايشها وهو يتلمس طريقه في عالم تاريخ القهوة المتشعب ويعبر عنها بصورة التحذير الذي أطلقه.

يذكر أوكرز في توطئة كتابه أنه أمضى ما يربو على الثلاثين عاماً من التجوال في مكتبات ودور الوثائق في العالم بحثاً عن ما له علاقة بما كتب عن القهوة ، وانتهى إلى رصد ما يزيد على الاثني عشر ألف مادة في موضوع القهوة ، حوالي ألفين منها مؤلفاً عن القهوة تحديداً والباقي كسجلات ووثائق أرشيفية ، وكان أوكرز قد

أشار إلى وجود تلك المواد عن القهوة في قائمة مصادر الطبعة الأولى لكتابه عام ١٩٢٢م ، وعندما طبع الكتاب ثانية عام ١٩٣٥م ، ألمح أنه أضاف إلى قائمة مصادره قوائم إضافية[٥].

وما نود الوقوف عنده هنا ، هو الاستفسار عما إذا كان ما كتب عن القهوة حتى عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ، قد بلغ هذا المبلغ الكبير ، فعلينا عندئذ أن نتساءل عن مقدار ما أضيف إلى قائمة أوكرز من بعده وإلى وقتنا الحاضر ؟ في الواقع ليس في أيدينا عملٌ عن القهوة يقدم إحصاءً عما أضيف بالطريقة نفسها التي قدم بها أوكرز مصادر كتابه. ولكن مع الاعتراف بأن الإضافات لربما بلغت مقداراً أعلى ، فإننا نرى بعض الدلالات لذلك من قائمة مصادر كتاب مارك بيندرجراست M.Pendergrast الطويلة والمبهرة وما تضمنه مادة (قهوة) في الموسوعة الإسلامية من إشارات طويلة إلى مصادر عربية في القهوة[٦]. ومما يعزز الظن بالزيادة المطردة لمصادر القهوة يوماً عن يوم ، هو ما نرى في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) من مئات المواقع عن القهوة، فضلاً عن المؤلفات والدراسات. ولقد قيل إن القهوة تهب لشاربها ضمن ما تهب قوة التفكير؛ وبقبول المقولة ، فإننا يمكن أن نزيد بأن القهوة حتماً لم تعدم أهل التفكير ممن التقطوا أقلامهم للكتابة عنها على الدوام .

إن حالتي بروديل وأوكرز السابقتين ، هما حالتان غربيتان ، ينطبق ما يقولانه عن تاريخ القهوة في سياقه العالمي . حقاً إن الاثنين يبديان اهتماماً بتاريخ القهوة في موطنها في جزيرة العرب وعالمها الإسلامي[٧]، وما كتب عنها في حيزها الجغرافي ذلك ، لكن مع ذلك ، ينصب اهتمام الاثنين على المسار التاريخي والتأليفي للقهوة في عالمه الأوربي والأمريكي الجديد بصورة أوسع . وبهذا المعيار يمكن اعتبارهما حالتين ممثلتين لما يعايشه الطارقون لشؤون القهوة في عالمه العالمي الواسع ، بدون إنكار جهودهما في متابعة شؤون القهوة في موطنها الأصلي ومناطق تجارتها الأم في العالم الإسلامي .

إن وضع المتتبع لتاريخ القهوة والراصد لتاريخ أدبياتها نثراً وشعراً في الجانب العربي قد يكون في صورة متطابقة لما عايشه أوكرز وبروديل، بيد أن المعاناة هنا قد تكون أصعب . ولا يقال ما يقال للتهويل فحسب؛ بل للقول إن أسباب المعاناة هنا بالمقارنة لغيرها هي أسباب خاصة ، ففي حالة العالم الغربي ، صحيح أن من يولي اهتماماً بأمر القهوة يواجه ، كما رأينا ، سيلاً عارماً مما هو متوافر عنها، بيد أن أمثال هؤلاء لا يواجهون ، مثلما هو الحال في العالم العربي والإسلامي ، معضلة الاهتداء إلى ما هو متوافر عنها ، وذلك لحسن قواعد المعلومات في المكتبات ودور الأرشيف والوثائق. وعلى النقيض من ذلك يبقى الباحث في شؤون القهوة في عالمه العربي في حالة أشبه بحالة من يبحث عن إبرة بين أكوام من القش ، أو يكون في وضع التوهان تماماً، كما كان الحال مع بروديل.

في الحقيقة إن المعضلة الرئيسة التي تعترض طريق من يطرق أبواب البحث عن أمور القهوة في العالم العربي تكمن في تعدد مظانها، فإلى جانب المؤلفات التي خصصت عناوينها للقهوة صراحة ، والتي سوف نتعامل معها لاحقاً ، فإن معلومات القهوة في عموم مظانها تنزوي على الدوام في أسطر مؤلفات تشمل تقريباً كل حقل من حقول المعرفة العلمية العربية بلا استثناء . وعليه فإن المرء من أجل الإحاطة بما كتب عن القهوة والإلمام به لهو مضطر إلى التوغل في أسطر فروع علمية عديدة ، ولا ينتهي بعد طول المعاناة إلى التوثق فيما إذا ما فاته شيء منه أو كثير .

ففي حقل كتب التاريخ بدءاً بها ، فإن المصادر

التاريخية التي عاصرت عصر التعرف إلى القهوة، وتحديداً ما كتب منها من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وصاعداً ، وبوجه أدق تلك التي اهتمت بتفصيلات جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، فإنها لا تخلو من ذكر أو قول أو إشارة إلى البن بوصفها سلعة امتلكت قوة الرواج التجاري ، واستأثرت باهتمام الحكام والتجار على حد سواء ، وإلى القهوة كمشروب راسخ قادر على إحداث تغييرات مذهلة في السلوك الاجتماعي .

إن المعلومات المتعلقة بالقهوة في المدونات التاريخية والحولية وافرة ، ولا يسمح حيز الدراسة المقنن بحصرها ، وعوضاً عن إتخام العرض بعرضها كلها ، يستحسن تخفيفاً عرض مثالين لها ، لأن الشائع أن مثيلاتها الأخريات تنهج منهجها[٨].

لم تلحق القهوة زمن الجغرافيين والبلدانيين ، وحين التعرف إليها كان عصر هؤلاء قد ولى ، ولو لحقت لربما كنّا عرفنا عنها بالقدر الذي عرفنا من كتابات هؤلاء عن عنب الطائف وزبيب اليمن وتمر الأحساء .

إلا أن كتب الرحلات ، ولاسيما منها التي كان مقصدها جزيرة العرب ، والتي نشطت متزامنة لعصور التعرف إلى القهوة ، سواء الإسلامية - العربية منها، أو الغربية التي نهجت نهجاً مشابهاً لمنهج الجغرافيين والبلدانين المسلمين ، فإنه في مقدورنا القول بأن للقهوة نصيباً كان فيها منها . بيد أن عجالة الأمر هنا أيضاً لا تسمح لنا بعرض ومتابعة ما دونه الرحالة للجزيرة العربية ولاسيما الغربية منها . فهي جديرة بأن تكون لها دراسة مستقلة ، لأن القائمة في كلتا الحالتين طويلة ، وما هو متوافر عن القهوة فيها متعدد وثر ، وإذا كان لا بد من إعطاء نماذج من الرحلات العربية، فإن كتاب "الدّرر الفرائد المنظمة" سيكون المثال الأصدق لما يمكن إيراده[٩]. وكذلك أيضاً كتاب " رحلة ابن معصوم المدني أو سلوة الغريب وأسوة الأديب»[١٠].

أما عن ما يتوافر عن القهوة في كتب الأدب والطُرف ودواوين الشعر الفصيح منه أو العامي (الشعبي)، فإن للقهوة فيها شأناً يذكر ، فالقهوة منذ ظهورها كانت قد غدت معشوقة غير مسبوق عليها، وبامتلاكها مكانة التفرد والدلال ، غدا ذكرها حياً في المخيلات. ولذا فإن قصصها وطرائف من هاموا بها تملأ سطوراً قد لا يكون في وسع المتابع إدراكها حصراً .

إن الشعر ، بشقيه كما قلنا ، هو المنبر الذي لا يبارى للقهوة ، ولا يكون من قبيل المغالاة القول إنه لكثرة ما قيل في القهوة من شعر ، فإن شعر القهوة يستحق أن يفرد له مسمى تعريفياً بـ "القهويات" على غرار ما هو معروف للخمر بـ "الخمريات" ، حيث يندر أن يقرأ المرء كتاباً في موضوع القهوة دون أن يمر بمئات الشواهد الدالة على ما احتلته القهوة من مكانة وذائقة في نفوس شاربيها الذي يصل دوماً في حماسهم لها حد الإدمان أو الكيف" ، كما وصُفت أحياناً . وعوضاً عن توفير أمثلة لدعم القول ، فإن الدراسة سوف تلحق بوقفات مما يتوافر عن القهوة في كتب الأدب والشعر .

للقهوة والطب علاقة أزلية ، فهي منذ ظهورها كان للطب فيها أحكام ، حيث تراوحت آراء الأطباء في القهوة بين مؤيد لها ومقر بفائدتها للأبدان ، وبين معارض يحذر شاربيها من الضرر. ولذا فإنه يندر أن تقرأ رسالة أو دراسة عن القهوة دون أن تقرأ بين سطورها حكماً طبياً في خصائصها ، أو شهادة طبيب في مفعولها ، ويصر بعض مؤرخي القهوة أن كتب الطب السابقة لعصور الاهتداء إلى القهوة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، مثل ابن سينا في قانونه في الطب[١١]، والرازي في الحاوي في الطب قد أتيا على ذكر البن فيما

كتبا . وشروط الدراسة التي تقضي هنا الاكتفاء بعرض أوعية مؤلفات القهوة تمنعنا من مناقشة ما طرحه كلٌ من ابن سينا والرازي .

لكن تبيان علاقة القهوة بالطب ، في المقابل ، تبقى مفتوحة ، وبوسعنا الإلمام بها لاحقاً حين استعراض المؤلفات الخاصة بالقهوة والتي عاصر تدوينها عصور الاهتداء إلى القهوة نفسها ، وتواصلت مع انتشار القهوة في العالم قاطبة، حيث كان لها عند الأطباء آراء متواصلة.

كان القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي هو قرن القهوة ، فمن مبتدئه إلى انصرامه، مرت القهوة من مرحلة الاهتداء إليها إلى مرحلة الذيوع كمشروب لأهل الأمصار الإسلامية وبواديها قاطبة ، ومع انصرام القرن وطوال القرن التالي ، ترسخت القهوة كمشروب عالمي . وخلال القرن المعني مرت القهوة بأطوارها المتقلبة من مشروب خاص في حلقات المتصوفة في بلد منشئها اليمن ، وإلى ذائقة مكتسحة للمقبلين عليها أينما حلت ، وبسرعتها النافذة على امتلاك العقول ، وبوصفها مشروباً جديداً لم يكن للعالم عهد بها ، غدت القهوة مسألة يختلف عليها المختلفون ، بين متشدد رافض لها ، ومغالٍ لا يقصر عنه الحماس للمنافحة عنها . ولم يكن الخلاف قاصراً على العامة من الناس ، بل كان بين من كانوا على الغاية من التمكن في العلوم والمحيطين بفنونها . وبهذا أصبح للقهوة ذكر عند العلماء من أهل القرن ، وقصص لدى أدبائها ، وأحكام بين فقهائها ، وأشعار عند شعرائها .

القرن العاشر أيضاً كان قرن تجدد ظاهرة ، يلفت نظرنا إليها عبد الله بن محمد الحبشي بقوله : "إن القرن شهد انبعاث الاهتمام مجدداً في تأليف ما هو معروف في حقله بكتب تراجم العلماء والأعيان" ، ولاسيما تلك التي ، على حد رأي فرانز روزنثال Franz Rsoenthal، تفضل شخصيات منطقة واحدة معينة ، أو كما يصنف التقييدات الإقليمية الرسمية[12]. ومع إقرار الحبشي بأنه [illegible] السهل معرفة الأسباب لعودة أمثال هذا !

إلا أنه يدعم شهاداته بإحصاء عدد غير قليل منها[13]. وباندراج عناوين الأعمال التي أحصاها الحبشي مع المصنفات التي اقترحها روزنثال وتوافقها مع أوضاع عالم البلدان العربية حقيقة في ذات القرن والمتمثل بدخول الأقطار العربية تحت مظلة الدولة العثمانية، وبكونها غدت مع هذا الواقع أقاليم موحدة تضم الشام ومصر وغرب جزيرة العرب وإلى اليمن ، شملت مؤلفات تراجم العلماء والأعيان شخصيات هذه المناطق بوصفها أقاليم موحدة سياسياً. وحيث إن مجموع الأقاليم كانت أيضاً أرض القهوة المبكرة سواء من أرض إنتاجها في اليمن أو أراضي انتشارها الأول في تلك الأقطار، فإن كتب تراجم العلماء والأعيان بدءاً من أفول القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وتواصلاً في القرون التالية حوت بين ثناياها الأخبار المبكرة لمن يمكن تصنيفهم بـ "رجال القهوة" من الأعيان والعلماء والأدباء والشعراء على حد سواء .

ولا جدال أن الاقتران المبكر بين توجهات مؤلفي كتب التراجم ونشاطات من كانت لهم مواقفهم تجاه هذا المشروب الطارئ قد ساعد على حفظ معلومات غاية في الأهمية عن المسار المبكر لها، لاسيما في ظل غياب اهتمامات توثيقية أو تسجيلية أخرى .

لا يمكن على أية حال إطلاق تعميم بأن مدوني تراجم رجالات القرن العاشر كلها قد حوت مؤلفاتهم ذكراً لأخبار رجال القهوة ، فأبو عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م مثلاً خلا كتابه من ذكر لرجال القهوة ، برغم أنه كان يصنف لتاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها ، وعدن كما هو معروف كانت مهد شاربي القهوة الأوائل من أهل التصوف ، كما تسجل

ذلك مصنفات تراجم أخرى[١٤] . وهناك مثال آخر في شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م فمؤلفه "الضوء اللامع في أخبار أهل القرن التاسع" يخلو أيضاً من ذكر لتراجم أهل القهوة ، مع أنه أولى اهتماماً بأمور طارئة أخرى مثل الشطرنج في رسالة بعنوان "عمد المحتج في حكم الشطرنج"[١٥] في نطاق الاهتمام الذي كان يبديه عادة للقضايا الاجتماعية[١٦].

إن تجاوز كل من علي أبي مخرمة والسخاوي وغيرهم لرجالات القهوة لا يعني إلا أنهم كانوا استثناءً في مقابل قاعدة أكثرية متواترة سجلتها كتب التراجم الأخرى. فهذه المؤلفات لا تكاد تخلو من شذرات تسجل تراجم ونوادر وطُرفاً وأشعاراً فيها ذكر للقهوة وأخبارها .

وهكذا نرى ذكراً للقهوة ورجالها في كتاب " تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر لمحمد بن عمر الطيب بافقيه المتوفى سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م ، وفي "الكوكب الوقاد في شرح الإرشاد" لموسى بن زين العابدين (مفتي الديار اليمنية) ، و"نزهة الخاطر وبهجة الناظر" لشرف الدين موسى بن يوسف الأنصاري، و"الإيعاب في شرح العباب" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري ، "وتراجم الأعيان من أبناء الزمان" لبدر الدين أبي الضياء حسن بن محمد بن محمد البوريني، "وإعلام السائلين" لمحمد بن علي بن أحمد بن طولون ، "ولب الألباب في تحرير الأنساب" لجلال الدين السيوطي. و"الفرج بعد الشدة " لعلي بن محمد التنوخي ، وغيرهم[١٧].

إن التقليد الذي أرساه مصنفو كتب التراجم والأعيان بالالتفات إلى ذكر القهوة في مصنفاتهم خلال القرن العاشر الهجري ترسخ اطّراداً وبقوة خلال القرنين التالين (الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / ١٧، ١٨م) . ولا يستبعد أن القهوة نفسها لشيوع ذكرها وتواصل الجدل المتفاقم حولها كان لها أيضاً أثر في فرض سيرتها واستقطاب مزيد من العناية بها .

والشاهد لقولنا يتمثل بثلاثة عناوين :

١ - "تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر" لعبد القادر (محيي الدين) بن شيخ بن عبد الله العيدروسي ، المتوفى عام ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م[١٨].

٢ - "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة" ، لنجم الدين محمد بن محمد الغزّي، المتوفى عام ١٠٦١هـ/١٦٥٠م"[١٩].

٣- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لعبد الحي (أبو الفلاح) ابن العماد الحنبلي ، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م[٢٠].

إن هؤلاء ، كما هو بيّن من تواريخ وفياتهم من أهل القرن الحادي عشر ، ولكن وكما هو بيّن أيضاً من عناوين كتبهم هم ممن اقتصر عملهم على تسجيل تراجم القرن العاشر. ويبدو أن دقائق أخبار من كان لأعيان القرن العاشر من علاقات مع القهوة كانت قد توافرت بسخاء في القرن اللاحق ، وعليه فإن هذه المؤلفات رصدت تاريخ القهوة ورجالها بأخبار ثرة لا نملك سوى أن نبارك التالين ممن لهم عناية بتاريخ القهوة عليها ، إذ إن المعلومات الغنية التي سجلتها هذه المؤلفات تركت ، حقيقة ، رصيداً زاخراً لا يزال تحت عناية أهل الاهتمام بتاريخ القهوة حيث لا يزال يعول عليها إلى وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من أن القهوة كسبت القبول مع دخول القرن الحادي عشر الهجري /١٧م، وغدا شربها وتداولها أمراً عادياً ، ولم تعد تثير الاهتمام بعد أن تلاشت أو كادت الخلافات حولها، إلا كتب تراجم القرن وما بعده قد حافظت على تقليد احتواء أخبار القهوة ، وإن كان بوتيرة

أقل مما كان في الماضي ، ضمن تراجم الأفراد . والأمثلة لما نقول بارزة في : العصامي (سمت النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) ، والمحبي (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) ، والعاملي (الكشكول)، والأنصاري (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) ، والتنوخي (الفرج بعد الشدة)، وعبد الحي (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ، وابن كنان (يوميات شامية)، والسمعاني (الأنساب) ، والمرادي (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) ، والسيوطي (لب الألباب في تحرير الأنساب)، والحصيني (منتجات التواريخ لدمشق)[٢١].

ولكتب التفاسير والفتاوى نصيب أيضاً في التلميح إلى القهوة ، وما يمكن إيراده هنا قد لا يصل إلى مقدار ما هو مورد في كتب تراجم العلماء والأعيان ، ولعل مرد ذلك يعود إلى أمرين ، أولاً : أن القهوة لم يرد ذكرها في القرآن ، ولذا لم تكن موضوع تفسير، ثانياً: أن كتب التفاسير كانت قليلة بعد القرن العاشر . ولذلك نكتفي بذكر مثال واحد لما نقول وهو الإشارة إلى أبي الحسن البكري في تفسيره الوسيط[٢٢].

أما عن الفتاوى وكتبها فإن للقهوة فيها النصيب المتوقع ، ويعزا سبب التلازم بين الفتوى والقهوة إلى أنه في مطلع شرب الناس للقهوة ، وبوصفها مشروباً طارئاً لم تعرف الآراء الفقهية فيها نوازل معتمدة ، ولاسيما حينما احتدم الخلاف الفقهي في كمها ، تحتم على أهل الفتيا التدخل لحسم الجدل ، لاسيما حينما توجهت الأنظار إليهم تساؤلاً وكتابة . وقد حفظت لنا صيغ الفتاوى على غير صورة، منها المنفردة مثل فتوى مفتي زبيد[٢٣] وفتوى مفتي الروم "أبو السعود"[٢٤]. أو ضمن مؤلفات الفتاوى مثل كتاب "الإيعاب في شرح العباب" لابن حجر الهيثمي السعدي، وحاجي خليفة في كتابه "ميزان الحق في اختيار الحق" ، وداود الأنطاكي في التذكرة ، وهذا للمثال وليس الحصر . وتحوي كتب التراجم والأعيان أيضاً عدداً كبيراً من الفتاوى نذكرها في سياق الترجمة لأصحابها والإشارة إلى من كانت لهم مواقفهم تجاه القهوة من حل وتحريم ، كما تتوالى أسماء هؤلاء في كتب القهوة نفسها، والتي سوف نتناولها لاحقاً.

ما عرضناه لحينه ليس إلا نظرة علٍ على بسائط القهوة وحقولها . وقد آن الأوان أن نهبط من علوائنا لنرحل إلى حمى القهوة نفسها وجنانها . وبهذا نعني عرض المؤلفات التي ألفت في القهوة ذاتها وأخذتها موضوعاً لها . والاستهلال لموضوعنا يقودنا إلى القول بأن التأليف في القهوة أخذ نمطاً مستقلاً يختلف في عرضه وشكله عن مناحي الأدبيات الأخرى وغدت حقلاً مميزاً يغري على المتابعة والتواصل، وبسببه غدت للقهوة مدرسة تأليفية لا تثير الاهتمام إلى تفردها في موضوعها فحسب بل إلى توافرها عددياً .

يرصد عبد الله محمد الحبشي نقلاً عن مؤلف "إيناس الصفوة" (وهي احتمالاً رسالة في القهوة، وقد يكون لعنوانها تتمة تبين هذا الغرض) دون أن يعرف بالمؤلف سوى الإشارة إليه بالعيدروس نفر ممن ألفوا في القهوة ومنهم :

- شيخ الإسلام محمد بن عبد القادر الحباني وألف فيه .
- شيخ الإسلام أحمد بن علي البكري وألف فيه .
- شيخ الإسلام شاه بن محمد المكي وألف فيه .
- شيخ الإسلام جلال الدين بن خضر الرومي .
- شيخ الإسلام سيدنا عبد القادر بن شيخ العيدروس وأطنب فيه .
- شيخ الإسلام محمد بن سعيد بن كبن .
- شيخ الإسلام القطب الكبير زروق المالكي .

- شيخ الإسلام الناشري .
- الشيخ أحمد بن عبد الغفار المصري .
- الشيخ عبد الله باسهل باقشير صاحب كتاب القلايد .
- الشيخ القاضي علي بن عراق المدني .
- الشيخ أحمد بن موسى الضجاعي .
- الشيخ أحمد بن عبد الله الخزرجي .
- الشيخ عبد الملك بن دعسين .
- ومنهم (وهنا يكمل الحبشي بعرض مقتطفات من أقوال من كانت لهم آراء في القهوة ، ثم يكمل بأسماء من استحسنوا شرب القهوة في أول ظهورها)[٢٥].

وينهي الحبشي قائمته المنقولة من مخطوط "إيناس الصفوة" بعبارة " هذا ما نقلته من نسخة سقيمة (يعني به مخطوط الإيناس) للعيدروس[٢٦] وإيراد الحبشي اسم المؤلف مختصراً وكذلك اكتفاؤه باسم عائلة المؤلف ، يعيق في الواقع من محاولة تحديد هذا المؤلف والتعرف إلى صاحبه ، وإدراجه في موقعه بين مؤلفات القهوة وهو هدف تحرص عليها الدراسة في سعيها رصد التأليف في القهوة وتأريخه .

ولعل السؤال الذي ينبغي أن يُسأل بداهة هو : من يكون العيدروس صاحب "إيناس الصفوة..."؟ أيكون هو عبد القادر بن شيخ بن العيدروس والذي أدرج صاحب "الإيناس" اسمه ضمن قائمة مؤلفي القهوة ، وصاحب "تاريخ النور السافر" ؟ . وإذا كان هو مؤلف "إيناس الصفوة" إذن هل عبد القادر هذا مؤلف كتاب آخر في القهوة أيضاً باسم "صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة" وهذا ما يشير إليه ڤان أرنيدونك Van Arendonk محرر مادة " قهوة " في الموسوعة الإسلامية ذاكراً بأن مخطوطاً بهذا الاسم ولعبد القادر بن شيخ العيدروس موجود في مكتبة برلين [٢٧]. وإذا ما ثبت ذلك فيكون لعبد القادر العيدروس مؤلفين في موضوع القهوة فضلاً على كتابة "تاريخ النور السافر" الذي يحوي مادة غنية في تراجم من كان لهم أقوال ومواقف في القهوة .

في الحقيقة لا يستغرب اهتمام عبد القادر ولا غيره من العائلة نفسها بالقهوة ، فأفراد هذه الأسرة ينتمون إلى عائلة عُرف ارتباطها بالقهوة وتاريخها ، فأبو بكر الشاذلي العيدروسي ، وهو والد عبدالقادر ، ينسب إليه أنه كان أول من شرب القهوة في مطلع ظهورها في اليمن ، ولكن يستبعد أن يكون هو مؤلف إيناس الصفوة ، لأنه عاش قبل القرن العاشر الهجري وتوفي في أوله ، كما أن الإيناس ضم قائمة بأسماء من ألفوا في القهوة خلال القرن العاشر وبعده . ولذا ينحصر تأليف "إيناس الصفوة" في اثنين من عائلة العيدروس ، وهو عبد القادر كما أشرنا ، أو عبد الحق العيدروس ، الذي يذكر الغزي أنه عاش خلال القرن العاشر[٢٨]. ونظراً لأن مؤلف " إيناس الصفوة " يعد من ضمن مؤلفي القرن العاشر ، فالأرجح أن هذا التاريخ يتوافق مع عبد الحق العيدروس ، وبهذا من المحتمل أن يكون هو مؤلف "إيناس الصفوة" .

القائمة التي يعدد فيها صاحب "إيناس الصفوة" أسماء الذين ألفوا في القهوة تثير مسائل أخرى، فهي تذكر أسماء المؤلفين ولا تذكر أسماء المؤلفات ، وبالرجوع إلى تراجم هؤلاء ، نجد أن كتب التراجم لا تشير إطلاقاً إلى تآليف هؤلاء رسائل ومصنفات في القهوة ، بينما لا يندر أن نجد في تلك التراجم إشارات إلى علاقة أصحابها بالقهوة في فتوى أو رأي أو شعر ، خلواً من الإشارة بأن لهم مؤلفات فيها . وهذا الأمر يدفعنا إلى التساؤل : هل يكفي تبني أحدهم موقفاً من القهوة والتعبير عنه على هيئة رأي أو فعل يؤهله إلى أن يشار إليه بأنه ألف فيها ؟ وإذا أخذنا ذلك على القبول ، فإن ذلك يوقعنا في تناقض آخر ، ففي القائمة يورد العيدروس مثلاً اسم أحمد بن عبد الغفار المصري، خالياً من لقب شيخ الإسلام الذي يمنحه للآخرين

ويكتفي بلقب الشيخ ، كما لا يشير إلى أنه ألف فيه، كما يتبع ذلك مع الآخرين أيضاً . المشكلة هنا أن أحمد بن عبد الغفار له مؤلف في القهوة باسم " دفع الهفوة في حل القهوة " وهو ليس فقط أوسع مؤلف في موضوعه وأشمله بالمقارنة إلى مصنفات القهوة التي بين أيدينا فحسب ، بل يعد من حيث الترتيب الزمني الأقدم[٢٩]. ولعل هذا يؤدي بنا إلى التساؤل بأنه لربما كانت هنالك مؤلفات لمن ذكر صاحب الإيناس أسماءهم دون الإشارة إلى أسماء مؤلفاتهم .

مع إضافة " إيناس الصفوة " إلى قائمة مؤلفات القهوة ، بوسعنا أن نضيف إلى قائمة العيدروس مؤلفات أخرى في القهوة بإيرادها كما هي مسجلة في إشارات عامة ثم نتوسع بعد ذلك في التفصيل في مؤلفات في القهوة مما لم ترد في تلك الإشارات ، فللصنف الأول نضيف : "اصطفاء الصفوة لتصفية القهوة" لأبي الحسن محمد البكري الصديقي [٣٠]، " وإتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن " للزبيدي صاحب تاج العروس[٣١]، ورسالة ضد القهوة (هكذا) ليونس القيادي[٣٢] و "رسالة في أحكام القهوة" للسيوطي[٣٣]، "ورسالة في الشاي والقهوة والدخان" لجمال الدين القاسمي[٣٤]، و"تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب " لداود الأنطاكي . ويذكر عبد الحي الحسني أن أحد علماء الهند ألف رسالة باسم "إتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن"[٣٥]. هذا فضلاً عن رسائل عدة ألفت في الدولة العثمانية . وهذا ما أحطنا به مع الظن بأن هناك المزيد .

بعد رصدنا ما أمكن لنا رصده من عناوين في القهوة وأسماء مؤلفيها ، نبدأ تالياً في عرض مؤلفات أخرى في موضوع القهوة كلها - عدا واحدة . لا زالت في حالة المخطوط.

ويجدر في هذا الترتيب أن نبدأ بمؤلف أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي المصري الموسوم بـ " دفع الهفوة في حل القهوة " . وبتقديم المسوغات التي دفعتنا إلى تقديم دفع القهوة في حل القهوة عما عداها من المؤلفات الأخرى نقول إنها تعود لغير سبب ، أولها : أنه من حيث التحديد الزمني هو الأقدم ونشرح ذلك لاحقاً ؛ ثانيها : أنه برغم تقدمه يعد أشمل ما كتب في موضوعه ، والمنهج الذي رسمه أحمد بن عبد الغفار في كتابه غدا منهجاً متبعاً سار على منواله من ألفوا في القهوة من بعده، إن لم يغد مائدة يتغذى على ما فيها الآخرون مثلما كان الأمر مع عبد القادر بن محمد الجزيري في مؤلفه "عمدة الصفوة في حل القهوة " بداعي الاختصار ورفع الملل تارة والنقل دون الإشارة إليه في أحايين ، ونبين أسباب ذلك فيما بعد ؛ ثالثها : أن الدراسات الجادة في تاريخ الكتابة في القهوة اعترفت بأسبقية " دفع الهفوة في حل القهوة " وقيمته العلمية وذلك من خلال حكمها عليه من خلال اقتباسات الجزيري في "عمدة الصفوة"[٣٦]، متأسفة في الوقت نفسه على فقدانه ، فهم حكموا عليه بذلك ، لكن - وبحمد الله - تبين أن نسخة كاملة وسليمة وواضحة الخط نجت من عوائد الدهر ، الأمر الذي مكن هذه الدراسة من تقديم تعريف به[٣٧].

ولكن ، وقبل التعريف بالمؤلف ، ينبغي لنا أن نحاول أن نحيط بمشكلة مستعصية تحيط بالمؤلف نفسه ، فهو في أبسط القول من الذين أهملوا إهمالاً معتماً من قبل مصنفي كتب التراجم ، فهذه المؤلفات التي شاع أمرها في القرن العاشر - كما ذكرنا - تجاهلت مؤلفنا ، في الوقت الذي اهتمت بمن هم أقل شأناً منه ، ولم تتكرم إطلاقاً بترجمة له . ولذا فنحن لا نعرف من هو ، سوى ما أشار إليه العيدروس في قائمته ضمن من ألفوا في القهوة وبدون أن يشير إلى أنه ألف فيها كما فعل مع الآخرين ، وذكره مخففاً من ألقاب سوى "الشيخ" . وكذلك لا نعرف عن

حياته ونشاطه العلمي "متى عاش ؟" ، سوى أنه من أهل القرن العاشر . وكان الأحرى أن يقوم عبد القادر الجزيري بهذا الأمر ، لاسيما أنه نهل من كتابة نهلاً ، لكنه اكتفى بالإشارة إليه بشيخنا أو الشيخ أو عبد الغفار ، وتتضاعف المسئولية الملقاة على عاتقه لأنه من أهل الاهتمام بتراجم العلماء والأعيان ، كما نحكم على ذلك من خلال كتابه "الدرر الفرائد المنظمة "[٣٨]، الذي يحرص فيه على ترجمة كل من اتصل بهم في رحلاته العديدة لمكة والمدينة. وفي الحقيقة يبقى تجاهل الجزيري لأحمد عبد الغفار أمراً مثيراً للتساؤل والحيرة . فهو يشاركه في التأليف في القهوة، فضلاً عن أنه مصري مثله ممن ارتحلوا إلى الحجاز.

فضلاً على ذلك ، فإن المعلومات الفقيرة التي أمكن جمعها عن أحمد عبد الغفار لا تضيف إلى التعريف به شيئاً ، بل يمكن أن تلقي غموضاً على غموض . فمحمد بن عمر الطيب بافقيه في سياق تراجمه للمتوفين في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة يذكر أنه سمع الشيخ جمال الدين محمد بن عراق بأنه أرسل إلى الشيخ العلامة أحمد بن عبد الغفار المالكي بترك شرب القهوة فيما بين الناس وبشربها في الخلوة ، وأن يترك لعب الشطرنج ، وبأن الشيخ أحمد بن عبد الغفار رد عليه : أما ما أمرتني به من ترك شرب القهوة فيما بين الناس وشربها في الخلوة ، فكان الأولى أن تأمرني بعكس ذلك ، وأما ما أمرتني به في ترك لعب الشطرنج فهو حق وصدق ، غير أني ابتليت بهذا الداء فاسأل الله لي تعجيل الدواء والسلام[٣٩].

ويذكر ابن فهد الهاشمي ، ضمن مروياته عن وقائع سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، وتحديداً يوم السبت السابع من ربيع الثاني " سافرت قافلة المدينة الشريفة ، وفيها جماعة من الأصحاب ، منهم: الشيخ كمال الدين ابن أبي البركات بن الشيخ شهاب الدين الحرفوش ، والإمام أبو اليمن بن الإمام أبي السعادات الطبري ، ومحيي الدين عبد القادر بن حسين بن عبد الرحمن العراقي ، والشيخ شهاب الدين أحمد عبد الغفار المصري ... "[٤٠]. ويترجم الغزي لوالد أحمد ، موسى عبد الغفار المالكي : "موسى عبد الغفار ، الشيخ الإمام ، العالم العلامة شرف الدين المالكي خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ، وكاتب مستندات السلطان الغوري ، مات يوم الجمعة خامس عشر من رجب سنة اثنتي عشرة وتسعمائة"[٤١].

إن التواريخ المعطاة في الروايات الآنفة عن فترة حياة عبد الغفار المالكي ، تبين أنه كان حياً فيما بين ٩٢٢هـ حتى ٩٩٣هـ، وأن المرحلة الزمنية وإن بدت مقبولة، إلا أنها لا تتماشى مع ما قلناه باقتباس الجزيري لأبواب مؤلف عبد الغفار بالكامل ، وهو معاصر له بل ومتقدم عليه، باعتبار أن الجزيري توفي سنة ٩٧٧هـ وصنف مؤلفه عمدة الصفوة، كما أشار هو بذلك في ١٦رمضان ٩٦٦هـ. والسؤال هنا هل يعقل أن الجزيري يأخذ كامل أفكار قرين له وهو لا يزال حياً يرزق ، ولم تمض سوى سنوات على تأليف عبد الغفار مؤلفه ؟ من الواضح أن هناك التباساً في الأمر ، فضلاً عن إن الأمر مستبعد، إذ لو صح أن هذا هو ما كان لربما ألحق ذلك صفة غير حسنة بالجزيري، ورفع من فضل أحمد عبد الغفار إلى مصاف الأثرة والتسامح المتناهي ، لكن لربما كان الأمر على غير ذلك .

قد يكون أحمد عبد الغفار المالكي توفي قبل انقضاء النصف الأول من القرن العاشر الهجري ولم يمتد به العمر إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة كما تشير إلى ذلك رواية بافقيه ، فالذي يبدو أن بافقيه أقحم في سياق وقائع تلك السنين المتأخرة واقعة سمع عنها في الماضي، وهي المراسلة التي كانت بين محمد بن عراق وأحمد بن عبد الغفار ، لأن ابن عراق توفي في سنة ٩٣٣هـ[٤٢]. والاحتمال أن أحمد عبد الغفار صنف مؤلفه أيام نزوله طيبة المحبوبة ، يبرهن على ذلك إشارته في أول مؤلفه

بانتشار القهوة أيام ظهورها الأول في حاضرتي مكة والمدينة وبين أهل البوادي المحيطة بهما[٤٣]، ولو كتب مؤلفه في مصر لكان ربما قد أشار إلى رواق اليمنيين في الأزهر ، حيث شربت القهوة في أول ظهورها هناك . والراجح أنه عندما قدم الجزيري الحجاز واطلع على كتاب عبد الغفار ، وتحديداً في ١٦ رمضان ٩٦٦هـ كتب مصنفه وفي هدفه قراء مصر وبعد وفاة عبد الغفار بزمن .

ولعل من المستحسن أن نختم تعريفنا بأحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي ، بالإشارة إلى مكانة أبيه العالية في مصر ، كما تبرزها ترجمته بالإشارة إليه "الشيخ الإمام ، العالم العلامة .. " فضلاً إلى المهمات العالية التي كان مضطلعاً بها في بلده[٤٤].

أما عن المؤلف " دفع الهفوة في حل القهوة " نفسه، فإننا من باب التعريف به ليس بوسعنا التوسع فيه والاكتفاء ، لما تقتضيه طبيعة دراستنا هذه ، بعرض موجز عن أبوابه وفصوله .

ونبدأ بالقول بأن عدد أوراقه مائة وستة عشر ورقة في ٢٩ س (١٨/٥ر١٣سم)، خطه نسخ واضح ومقروء به قليل من الفراغات . ولعل نسخة المدينة هي النسخة الوحيدة ، وهي ليست نسخة المؤلف : فهناك إشارة إلى اسم الناسخ وهو يحيى الأصلي ولا يحدد تاريخ النسخ أو مكانه ، كما أن المؤلف ينتهي بذكر صفات لأحمد عبد الغفار يبدو أنها من إضافات الناسخ إذ يستبعد أن يصف المؤلف نفسه بصفات وهي " ... هذا آخر ما صنفه الشيخ العالم العلامة الحبر البحر الفهامة ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالغفار المالكي المصري ، وأحد علماء الحرمين الشريفين في الرد على محرم القهوة ورد دعواهم وتوهين دعواهم بالأدلة الباهرة والحجة القاهرة، رضي الله عنه والرضا ، وجعل الجنة منزله ومثواه بحمد وآله وصحبه ".

ولعل عدم توافر نسخ أخرى للمخطوط هو الذي أدى بالحكم عليه بالفقدان عند الكثيرين وذلك بسبب الجهل بنسخة المدينة الوحيدة. كما قلل هذا أيضاً من معرفة بعض مؤرخي القهوة به .

أما عن أبواب المؤلف وأقسامه فهو على النحو الذي يقسمه المؤلف :

١ – المقدمة : يوضح فيه سبب التأليف ويشير أن الخلاف على حكم شرب القهوة قد تفشى في زمنه ، ورغب في أن يوضح الأمر من خلال قربه لما كان يدور ، ويراسل العلماء وأهل الفتوى عنها، كما يشير المؤلف إلى أن التأليف في القهوة قد انتشرت بدون أن يشير إلى أصحابها أو مؤلفاتهم[٤٥].

الباب الأول :

٢ – تاريخ القهوة ، من بداياتها في اليمن ووصولها إلى مكة والمدينة ومن ثم سائر الأقطار الإسلامية مصر والشام والدولة العثمانية .

٣ – المحضر، ويعني بذلك محضر الاجتماع الرسمي الذي عقده محتسب مكة خاير بك سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م بسبب الخلاف الذي نشأ حول القهوة في مكة.

وفي هذا الباب يفصل المؤلف بدقة خفايا ما دار في الاجتماع ويدعمه بالمحضر الرسمي الذي أرسل إلى مصر. ولعل المؤلف هو أول من وثق هذه الواقعة فهو لا يشير إلى أخذه من مؤلف آخر .

٤ – كشف الحق عن القهوة ، وإبطال ما وصفت به : لعل أحمد بن عبد الغفار يشير بهذا إلى جملة من الكتابات المبكرة في القهوة ، حفظ العيدروسي في "تاريخ النور السافر" نماذج لها :

أ – العلامة محمد بن أسعد جلال الدين الصديق الدوائي (ت ٩٢٨هـ) وكان قد سئل من الحكيم بدر الدين

محمد بن محمد القوصوني عن القهوة ، فأجابه بتقرير طبي طويل عن منافع القهوة من الوجهة الطبية (ص ص ١٣٢ - ١٣٥) .

ب - الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السودي الشهير بالهادي (توفي في تعز ٩٣٢هـ) ، وكانت له منافحات شعرية في القهوة مدعومة بتجارب شخصية في طبخ القهوة وشربها (ص ص ١٥٥ - ١٥٦) .

ج - الشيخ محمد بن علي بن عراق الكناني الشافعي (توفي في مكة ٩٣٣هـ) وكان يفتي في حكم شرب القهوة شعراً (ص ص ١٩٢ - ١٩٨) .

د - أحمد بن الطيب بن شمس الدين الصنداوي البكري الصديقي الشافعي (توفي في زبيد ٩٤٨هـ) ، كتب رسالة طويلة يفتي فيها بحلية القهوة من الوجهة الفقهية والطبية (ص ص ٢٢٨ - ٢٣٢) .

هـ - حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (توفي في زبيد ٩٢٦هـ) ، يقول العيدروسي : «ووقفت له على قصيدة في منافع البن ذكر فيه نيفاً وسبعين خاصية وعدتها نحو الخمسين بيتاً ومنها .

كل البن لا تعدل بينك تنبلا

لتعلو به بين الأنام وتنبــلا

(ص ص ١٣٠ - ١٣٢) .

الباب الثاني : وينقسم إلى ثلاث أبواب :

١ - في إبطال دعوة الإسكار .

٢ - في إبطال القول بحرمتها لما فيها من ضرر .

٣ - في إبطال القول بحرمتها من أجل الأمور الخارجة كالإدارة على هيئة المنكر وما ذكر فيها .

وتمثل هذه الأبواب صلب المؤلف الذي جال فيه مؤلفه بدون كلل في شرح منافحاته عن القهوة، مقدماً دليلاً تلو دليل واستشهادات تليها أخريات ، بحيث تأخذ أبواب هذه المدافعات جل أوراق المخطوط .

الخاتمة : يذكر المؤلف أنه يخصها في ذكر من شاهدنا منه أو سمعنا عنه بطريق صحيح أنه يشرب القهوة أو يقرها ، بحيث يُشرب في مجلسه أو غير مجلسه بعلمه ولم ينكر ، وإن لم يشربها بنفسه ، وينقطع المؤلف هنا ، فالمؤلف لا يأتي إلى أسماء من خصهم بهذه المواقف، ويبدو أن هناك صفحات ناقصة من آخر المؤلف . أو أن المؤلف نفسه اكتفى بنفسه بما قال ، أو الحذف كان على يد الناسخ .

وينبغي أن ننوه بأن "دفع الهفوة في حل القهوة" مثلما كان مصدراً للجزيري في مؤلفه "عمدة الصفوة .." ، فإنه كان أيضاً نبراساً للآخرين من مؤلفي تصنيفات القهوة من بعده ، فهم كلهم ، ونعني بهم الفريق المؤيد للقهوة اتبعوا منهجه وساروا على منواله في مؤلفاتهم ، يضاف إلى ذلك أن تمكن عبد الغفار من أفكاره وقدرته على مقارعة حجج الرافضين للقهوة بصبر ، كان لربما من أقوى الأسباب التي غلّبت أنصار القهوة على المعارضين لها ، والذين لم يتمكنوا من الإتيان بالحجج والتحلي بالصبر المماثل ، مما أدى شيئاً فشيئاً إلى تجريدهم من دعواهم وحججهم التي أخذت تتراخى مع الوقت .

لا جدال أن الجزيري ، بوسمه منتحلاً لمؤلف أحمد ابن عبد الغفار ، تعرض لقسوة، بيد أن حسنة الجزيري تكمن في هذا السبب تحديداً ، فهو حفظ لنا مؤلف المالكي من الضياع ، وقد أعتبر كذلك إلى حين العثور على نسخة "دفع الهفوة في حل القهوة " ، فلو ضاع المؤلف لكان العزاء فيما حفظه الجزيري في مؤلفه " عمدة الصفوة في حل القهوة " ، وقد قبل الذين أرخوا لمؤلفات تاريخ القهوة بعين القبول بذلك ، فهو قد صان المؤلف من الضياع الأبدي .

وبعد أن عرفنا بوجود مؤلف المالكي ، فإن ما نود

قوله إن المؤلفين يشكلان ، بأقدميتهما وريادتهما ، الأساس في تأليف القهوة ، فالاثنان وضعا قواعد التأليف في هذا الموضوع الجديد ، ولأن الاثنين من أهل الحل للقهوة ، فإن تلاقح أفكار المالكي مع تواصل جهود الجزيري أدى بخروج أدبيات القهوة من نطاق اليمن ومكة والمدينة إلى مصر والشام ومن ثم تواصله في الأقطار الإسلامية الأخرى ، ولربما إلى أوربا لاحقاً ، التي لم تجلب القهوة والمقاهي من ديار المسلمين فحسب بل جلبت، كما نملك شواهد على ذلك ، أفكار التأليف في القهوة .

أما عن مؤلف عبد القادر الجزيري "عمدة الصفوة في حل القهوة" ، فإن نشر المؤلف محققاً على يد عبد الله ابن محمد الحبشي قد خفف علينا من مسؤولية التعريف به، كما فعلنا مع مؤلف المالكي الذي لا يزال مخطوطاً[٤٦] .

وهناك حسنة تضاف إلى حسنة الجزيري ينبغي التنويه بها ، ففضلاً عن أنه أضاف في كتابه كثيراً من المعلومات التي استجدت في زمنه مما لم يحط بها المالكي وعرض حججاً إضافية للمنافحة عن القهوة ، واستشهد أيضاً بأقوال شخصيات تنامت عندهم القناعة بحل القهوة وبطلان مزاعم المنكرين لها ، فإن الجزيري حفظ لنا بواكير الشعر الذي قيل في القهوة ، والشعر هذا هو أفضل مما قيل في القهوة ، بالمقارنة إلى الشعر الذي توالى بعد ذلك[٤٧]، وهذا لم يقم به أحمد بن عبد الغفار المالكي .

بانقضاء القرن العاشر الهجري ، وبدخول القرن الحادي عشر (١٦/١٧م) كانت القهوة قد تجاوزت صدمات البدايات وخفت ردود الآراء من عنفوانها ، وغدت مشروباً مقبولاً لم تعد في حاجة إلى من ينافح عنها ويعدد فوائدها ويدعم محاسنها بالشواهد من أقوال وأشعار ، وفي المقابل سلم المعارضون لها أسلحتهم ، إلا من أصوات ، استسلاماً . وكان من الممكن أن يخمد حديث القهوة نهائياً، بعد أن فترت الهمم فيها وبرد الاهتمام بها .

لم يكن على أي حال سهلاً الانصراف كلياً عن أدبيات القهوة بعد أن اكتسبت مثل هذه الأدبيات مساراً متفرداً . فالقهوة كانت قد اكتسبت العقول وتخللت في الوجدان الاجتماعي أينما حلت، وغدت بذلك تعبيراً أدبياً يصعب الاستعاضة عنها برمز بديل . فلقد كان يضاف لأخبار القهوة أخبار ، وتتراكم الذاكرة الأدبية والشعرية فيها بإضافات مطردة . وكانت القهوة في كل هذه التقلبات المعشوقة البريئة والرمز الذي لا يجلب التغزل بها الريبة والشكوك، لذا حلت في الذاكرة دون أي ثقل وفتور .

لكن هذا السبب يبقى ضمن الدائرة الجمالية العامة للتعبير ، بيد أن مبعث تواصل الاهتمام بالقهوة لم يكن قصراً لهذا الجانب فحسب ، بل يدخل في أسبابه جملة من المحدثات كان لها أيضاً مثل القهوة الظهور في القرن العاشر .

لم يكن القرن العاشر الهجري قرن الاهتداء إلى القهوة وحدها ، بل كان أيضاً قرن بداية استهلاك التبغ في عالم الإسلام ، يضاف إليهما القات الذي كان له سبق الوجود في بلاد القهوة في اليمن ، فضلاً عن الشاي الذي دخل المنافسة بوصفه مشروباً محدثاً وافداً. إن هذه المحدثات أدت إلى أن تندرج القهوة غير راضية إلى قوائمها . فالمؤلفات التي توالت بعد المؤلفات التي تحدثنا عنها لم يعد موضوعها مقصوراً على القهوة فحسب ، بل كما حملت أسماؤها، غدت القهوة موضوعاً يأتي التطرق إليه في سياق الحديث عن هذه المحدثات . ولا جدال أن اندراج القهوة ضمن قائمة هذه المحدثات التي نُظر إليها كمحرمات ومنبهات ، فيما عدا الشاي ، قد أضر ضمناً بالقهوة ، وبرغم من أن الذين تناولوا هذه المشروبات نظروا إليها نظرة تختلف عن نظرتهم للقات والدخان ، أو على الأقل ذكروها بالحيادية بوصفها مشروبات كسبت الحل والقبول ، ألا أن ذكر القهوة مع تلك المحرمات والمنبهات

ربط بينها وأدت إلى تذكير ضمني لما عانته القهوة في أول ظهورها على يد المحرمين لها .

بهذه المعطيات تغيرت مسميات مؤلفات القهوة ، إذ لم تعد - كما مر بنا - تحمل عبارة (... في حل القهوة) في وسط العنوان أو آخره ، ويبدو أن القهوة مع دخول القرن الحادي عشر الهجري لم يعد أنصارها في حاجة إلى المرافعة عنها كما كان الأمر في القرن الماضي ، كذلك لم تعد هناك ضرورة لتعداد حسناتها وفوائدها وإيراد أسماء الأعيان الذين كانوا ينافحون عنها . وكذلك فيما يبدو انقضت الضرورة في التعريف بها، بل نرى - كما نعرض مثالاً لذلك - استجداد متطلبات التعريف بأنواعها بعد انتقالها إلى مواطن جديدة لها . وجملة ما يمكن قوله تالياً إن مؤلفات القهوة حملت عناوين متغايرة تختلف عن العناوين التي عُرفت بها في أول ظهورها ، كما أن مواضيعها اختلفت عما قبل ، فالتوجهات الجديدة مالت إلى عناية الإحاطة بأخبار القهوة المتناثرة والمتداولة وجمعها لقارئ ليس مطلوباً منه أخذ مواقف فيها بل غايته المتعة والعلم من قراءتها وتسلية النفس بها . فلهذا خلت من ثقل الطرح وتخمة الأفكار ومالت إلى استعراض المستظرف من القصص والأشعار فتلك الأنواع من المؤلفات غدت أهضم للقارئ عند تناول قهوته حين كان يغيب المسامر .

وينبغي التنويه هنا بأن كل المؤلفات اللاحقة في القهوة يغيب فيها الإشارة إلى المؤلفات الرائدة في القهوة مثل مؤلفات أحمد عبد الغفار المالكي والجزيري والعيدروسي التي مرت بنا ، بل نرى تكراراً لمعلومات وردت في كتب التراجم والأعيان مثل "تاريخ النور السافر" و"الكواكب السائرة" و "شذرات الذهب" وغيرها ، ولا يعلم سبب اكتفاء مؤلفي كتب القهوة في هذه المرحلة بمعلومات كتب التراجم ، وإهمال الرجوع إلى مؤلفات القهوة نفسها .

ومن أجل الحفاظ على الترتيب الزمني في عرض مؤلفات القهوة اللاحقة مع المؤلفات التي عرفنا بها آنفاً ، نبدأ بمؤلف حامد أفندي العمادي "رسالة سنية في القهوة البنية وما فيها من أشعار وبعض الأخبار"(٤٨)، لأنها أنموذج للمنهج الذي اتبعه مؤلفو مصنفات أو رسائل القهوة بدءاً من القرن الحادي عشر ، فالرسالة تتضمن هدفين ، الأول معلن وهو التعريف ليس بالقهوة عموماً ، بل التعريف بقهوة معينة ، وهي (البُنِّيَة) التي شاع شربها في الشام، موطن المؤلف . وهي القهوة المطبوخة من حبة القهوة بعد حمسها وطبخها ، وهي التي تختلف عن القهوة القشرية التي لم تكتسب الشيوع خارج اليمن . والثاني محاولة محاكاة تواليف القهوة السابقة بذكر من ألف فيها ، وأول من شربها ، ثم الإشارة إلى انتشارها مع التركيز على الشام ، ثم التوسع في شعر القهوة ، ويبين الشعر الملحق في الرسالة أن عناصر الجدل الذي تطارحه أهل الحل والتحريم للقهوة سابقاً قد تبلور الآن شعراً ، وأصبح بالإمكان استعراض شواهد شعرية عوضاً عن المطارحات الفقهية والصحية النثرية السابقة .

و "رسالة سنية في القهوة البنية" هي رسالة ضمن مجموعة رسائل معنونة بـ "الرسائل الحامدية العمادية في نفع البرية " تأليف مولانا وسيدنا حامد أفندي العمادي المفتي بدمشق الشام دام السعد والأنعام آمين ، ولعل هذه الرسائل هي التي يشير إليها الزركلي بـ "مجموعة رسائل"(٤٩). وتأتي الرسالة السنية سابعة في مجموع يتكون من خمس عشرة رسالة تتكون من ٤٤٢ ورقة تحتل الرسالة الأوراق من ٨٨ إلى ١٠٦ . بعضها عليها اسم الناسخ ، محمد بن الشيخ محمد ، ولا يوجد اسم ناسخ الرسالة السنية سوى الإشارة إلى أنها منقولة من أصل المؤلف(٥٠)، بتاريخ الأربعاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١١٤٣هـ كانون الأول ١٧٣٠م. والرسالة ليست مقسمة إلى

أبواب بل تتبع النهج السردي بالانتقال من فكرة إلى فكرة.

أما عن حامد أفندي العمادي مصنف الرسالة ، فهو يأتي من أسرة علمية معروفة في دمشق ، عُرف أفرادها بالعلم وحسن الخط(٥١)، تولى والده منصب مفتي دمشق وتبعه مؤلف الرسالة في ذات المنصب(٥٢).

وبالانتقال إلى النمط التأليفي الآخر عن القهوة ، والذي يدرج القهوة في عنوانه مع محرمات أخرى مثل الدخان والقات ، يستحسن أولاً الإشارة إلى رسالة لم يتسن لنا الاطلاع عليها باسم "الرسالة المانعة من استعمال المحرمات الجامعة في علة التحريم بين الحشيشة والقات وغيرها من المسكرات" ، والسبب للبدء بهذه الرسالة يعود إلى أن عبد الله الحبشي الذي اطلع عليها أشار أن الرسالة تحوي أيضاً إشارة في فتوى أول من شرب القهوة(٥٣).

كما ينبغي أن نشير أيضاً إلى أن التأليف في القات ليس متأخراً إلى القرن الحادي عشر الهجري ، وهو قد يكون معاصراً لعصر التأليف في القهوة منذ ظهورها وقد تسبق لربما التأليف في القهوة . وفي ذلك يشير بافقيه إلى الشيخ شيخ بن عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي (ت ٩٧٦هـ) بأنه ألف في القات(٥٤). وأيضاً فيما يذكره العيدروسي عن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن زياد الغيثي المقصري (ت ٩٧٥هـ) بأنه ألف رسالة في القات والكفتة والقهوة والبن وجميع المخدرات المباحة والمكروهة والحرام(٥٥).

وتمثل رسالة " غاية المرام فيما يتعلق بالقهوة والدخان من الأحكام"(٥٦) ، مما في أيدينا النموذج المعبر لنهج التأليف في القهوة مشركاً معها الدخان . والرسالة التي لم نهتد إلى اسم مؤلفها ، ولا إلى زمن المؤلف ، سوى الإشارة إلى معاصرة أبيه لمحمد بن عراق (وفاته في مكة ٩٣٣هـ)(٥٧)، وبهذا قد يكون من شخصيات أواخر القرن العاشر ، وقد يكون لحق بالحادي عشر . ويذكر عام ١١٦٧هـ في آخر المخطوط ، وقد يكون هذا التاريخ لعام إنجاز النسخة التي لا نعرف أيضاً اسم ناسخها .

والرسالة في اثنتي عشرة ورقة ، مقسمة إلى قسمين، يمثل الحديث عن القهوة فيها سبع ورقات والباقي مخصص للحديث عن الدخان .

والقسم المخصص للقهوة يشرح فيه المؤلف سبب التأليف وأقسام الرسالة بكلماته : بعد البسملة والصلاة على الرسول الكريم ﷺ ، قائلاً :

أما بعد فقد اضطرب الناس الخاص والعام ، فيما يتعلق بالقهوة والدخان من الأحكام ، وذلك من حيث التحريم والتحليل . حتى فشى بين العامة في ذلك القال والقيل ، وقد أحببت أن أضمن تلك الأوراق ملخص ما قاله العلماء فيها لتعم فائدتها ، وتسهل مراجعتها ، وسميتها غاية المرام فيما يتعلق بالقهوة والدخان من الأحكام .

ثم يمضي شارحاً :

ورتبتها على مقدمة وبابين وخاتمة ، فالمقدمة في بيان المسكر والمفسد والمرقد ، والباب الأول في حكم القهوة، والثاني في حكم الدخان ، والخاتمة في حكم الحشيشة والخمر وما يتعلق بهما من حيث التعزير والحد والنجاسة على مذاهب الأئمة الأربعة ، وكل ذلك على طريق الاختصار ، وإلى الله الكريم استنادي ..."(٥٨).

والمخطوط خطه واضح ومقروء ، يلتزم فيه المؤلف بالحياد فيما يتعلق بالقهوة، ويورد معلومات غير مسبوقة عن انتشار القهوة ، كما يورد - كالعادة - شعراً عن القهوة، بعضه معروف ، وآخر جديداً، كما يكرر الآراء الطبية في فوائد القهوة ومضارها.

من مجموع مخطوطات القهوة التي حُفظت في مكتبات المدينة المنورة المختلفة وجمعت الآن في مكتبة الملك عبد العزيز ، والتي عرّفنا بها آنفاً ، تبقت صفحات (ثلاث

أوراق) جمعت تحت عنوان "نزهة القهوة والدخان" ، وقد يكون العنوان عنوان المؤلف الذي لم يبق منه إلا هذه الأوراق ، ومما يصعب من تقديم أية معلومة عن هذه الأوراق ، أو حتى عن العنوان نفسه ، أنه لا يرد عنه إشارة في المؤلفات التي بين أيدينا ، وهذا بدوره يجهل من علمنا عن اسم مؤلفه[٥٩]. وقد يكون عدم وجود إشارة إليه يعود إلى أن المؤلف متأخر عن المؤلفات التي مرت بنا .

ولعل ما يثير الاهتمام بالمعلومات الواردة في هذه الأوراق هو مضمونها ، فالمخطوطات ، التي استعرضناها لحينه، كلها تميل إلى تقبل القهوة وحلها كمشروب، وحتى تلك التي صنفت القهوة ضمن مكروهات مثل الدخان ، فإن أصحابها التزموا فيها الحياد في القهوة ، بيد أن القهوة في هذه الأوراق تنال من التهم بما يوازي التهم الموجهة إلى الخمر والحشيشة والأفيون ؛ مثل القول: "... ما يدل على حرمة القهوة اسمه لأن القهوة اسم المر بلا ريب"[٦٠] . وأنها، القهوة المحدثة، عمت فتنتها وشاعت بليتها بحيث كانت سبباً لأنواع المعاصي وأصناف المفاسد، ... ولأنها تؤدي إلى المخالطة بالسفهاء والأراذل وتناولها من أيدي المردان وغمز أيديهم وارتكاب المعصية". وكذلك إدارتها كهيئة إدارة الخمر ، وأنه تحصل بالمداومة عليها ضراوة تؤثر في البدن، وتمضي الرسالة بالهجوم على بيوت القهوة"[٦١].

والملاحظ أن جملة التهم المذكورة ليست جديدة ، فهي قديمة قدم زمن أحمد عبد الغفار المالكي والجزيري وغيرهما ، فهي وردت في مؤلفات هؤلاء معبرة عن آراء المعادين للقهوة . ولعل إثارة هذه التهم مرة أخرى يجعلنا نخمن بأن " نزهة القهوة والدخان " لربما صنفت خلال أو بعد تجدد العداء الرسمي للقهوة في عاصمة الدولة العثمانية في أيام مراد الرابع في سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م ووصلت مؤثراتها إلى الشام[٦٢] ، ومما يقوي من التخمين أن " نزهة القهوة والدخان" ، هي فيما يبدو استجابة لهذا العداء ، فهي ليست سوى جمع للآراء المعادية للقهوة بعضها قديم مثل رأي مفتي الروم أبو السعود، وأخرى جديدة جل أصحابها من رعايا الدولة نفسها وهم رنجفيل زادة ، مجالس الرومي، أحمد الرومي، سليمان أفندي الأزميري .

وقبل المضي في الحديث عن مزيد من مؤلفات القهوة ، ينبغي أن نتوقف قليلاً لنتحدث عن المخطوطات التي عرفنا بها ، إن هذه المخطوطات ليست نماذج اختيارية أردنا طرحها في موضوع القهوة، بل هي مؤلفات أساس لم يكن يعلم بها ذوو الاهتمام بتاريخ التأليف في الموضوع ، ولم يرد في ما كتبوه إشارة إليها ، فمؤلفات القهوة المتداولة ظلت إلى حد كبير مقصورة على مؤلف الجزيري بصورة عامة يلحق بها التأسف على ضياع مؤلف أحمد عبد الغفار المالكي وكذلك إلى بعض من مؤلفات ثانوية سنشير إليها لاحقاً . ولذا فإن الاهتداء إلى هذه المؤلفات سيضيف دعماً جديداً وقوياً لحصر أدبيات القهوة ، وسيقوي من معرفتنا بالجهود التي ساهمت في التأليف في موضوعها، مما لم يكن معلوماً من قبل.

لحق التأليف في القهوة عصر بدايات الطباعة في حواضر الإسلام . وكان اللحاق بشيء من الوهن في طبيعة تلك المؤلفات الذي لا يقارن بالحيوية التي كانت سائدة في تأليف القهوة في الماضي . فالقهوة قد كسبت الألفة مما قلل من انطفاء الدوافع في التأليف فيها ، ولعل مما منحها سبل الاستمرار في الكتابة عنها ، أنها لم تتمكن من الانفصال التام عن قرينها اللدود الدخان ، وكان عليها في المقابل أن تتعايش مع ضرة وافدة جديدة عليها تمثلت في الشاي . ولهذا فإن هذه المرحلة من عمر الكتابة في القهوة يمكن إسباغ التبعية عليها ، فلم تعد الكتابة عن القهوة تكتب لذات القهوة ، وإنما وسط قرناء لا نعرف على وجه التحديد كم كانت سعيدة بالاقتران بهم. وتمثل هذا النمط المتبلور في أدبيات القهوة في غير مؤلف

مطبوع يمكن تقديم التعريف بهم على النحو التالي :

يدرج س . ڤان أرندونك محرر مادة " قهوة " في الموسوعة الإسلامية كتاب علوي بن أحمد السقاف " رسالة في قمع الشهوة عن تناول التنباك والكفتة والقات والقهوة " ضمن المصادر الأولية لمؤلفات القهوة[٦٣]. إن إدراج هذا المؤلف الثانوي في قائمة المصادر الأولية لمؤلفات القهوة يعزا إلى أن المتتبعين لما كتب في القهوة لم يكن قد وصل إلى معرفتهم توافر تلك المؤلفات الأصيلة عن القهوة ، والتي قامت الدراسة بالتعريف بها آنفاً .

وكتاب السقاف ، كما يلمح إلى ذلك عنوانه ، هو في الحقيقة مجموعة نصائح موجهة إلى قمع النفس عن تناول عدد من المكروهات وما يدخل في أصنافها ، وفيما يتعلق بالقهوة في هذه النصائح ، لا يميل السقاف إلى التشدد في عرض مضارها وكراهتها مثلما فعل مع التنباك والكفتة والقات ، بل يعرض قضية القهوة بحيادية يبتعد فيها إلى إعلان رأيه فيها[٦٤] وفي معرض الحديث يتكلم عن الخلاف الذي أثير حولها في أول ظهورها ، ثم يعرض لآراء من أحلوها وحرموها ، وباعترافه بأنه انعقد الإجماع على حلها، يمضي السقاف بتكرار ما سبق القول عن فوائدها ، وبطلان دعوى تحريمها من دعوى الإسكار أو نحوه . وينبغي أن نشير إلى أن السقاف بإيراده آراء من اختلفوا في القهوة يحفظ لنا في الواقع آراء مطولة من أقوال من قيل أنهم ألفوا في القهوة ولم نعرف عن مؤلفاتهم أو عن آرائهم شيئاً، بسبب عدم ورودها في تراجمهم ، مما يؤكد على أن التأليف في القهوة كان أوسع مدى ، وأنه لم يصلنا سوى النزر اليسير منه .

وفي عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م نشر محمد الطرابيشي كتاباً باسم "تبصرة الإخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان"[٦٥] وبرغم اقتصار الكتاب على الدخان ، كما يدل عليه العنوان ، إلا أن القهوة، مثلما شاع الأمر في مؤلفات الفترة في مثل تلك المواضيع، وجدت حيزاً في مساحة العمل (٦ صفحات من عدد صفحات الكتاب ٤٢ صفحة) . وفيما له علاقة بالقهوة في تلك الصفحات ، فإن الطرابيشي ، وكأنه يرى في نفسه الإلزام ، اتباعاً لتقاليد التأليف المتبع ، يرى أن حديث الدخان لا يكمل إلا بربطه بحديث عن القهوة ، فهو بعد استطراد الطرح في الدخان يختم الكتاب بسرد سريع لبدايات القهوة في اليمن على يد أبي بكر بن عبد الله الشاذلي المعروف بالعيدروس ، ثم يمضي الحديث إلى من وقف ضدها في الشام ومصر ، ثم يعرج ، كالعادة أيضاً ، إلى الحديث عما قيل في فوائدها وأضرارها ، ثم ينتقل الحديث ، وهذا تناول غير مسبوق عليه ، عن انتشار القهوة في أوربا ، وواضح أن المؤلف كان على بعض الدراية لما كتب عن القهوة في أوربا ، في الغالب عن الجوانب الصحية لها، ومرة أخرى وبرغم قصر المؤلف حديثه عن القهوة في الخاتمة إلا أن الحديث يتحول إلى الشاي ، وهنا يتطرق المؤلف إلى أصل الشاي وموطنه الصين ثم يفصل في أنواعه (الأخضر والأسود) وبعد ذلك إلى كيفية إعداده[٦٦].

ولعل من أشهر هذا النوع من مؤلفات القهوة وأكثرها تداولاً هو كتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي ، "أدبيات الشاي والقهوة والدخان" ، وقد طبع مرتين ، الأولى : ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م والثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م . والكتاب وبرغم بقاء هدف تأليفه مسايراً لما كان متبعاً لمثل هذا النوع من المؤلفات ، وكما قال مؤلفه : "أحببت أن أجمع رسالة لطيفة مما قاله الأدباء والظرفاء فيها على سبيل الفكاهة ، ولم أتعرض لذكر منافعها أو مضارها (الشاي والقهوة والدخان) لأن ذلك لا يخفى على أولي الحكمة والنباهة) ... جمعتها لمفاكهة الإخوان الأفاضل ، ومنادمة الأصدقاء الأماثل ، جلباً للبسط والانشراح وترويحاً للنفس بلطيف المزاج"[٦٧].

إلا أن ما يثير الاهتمام هنا هو تغير الترتيب لهذه المشروبات فهنا يأتي الشاي أولاً ثم تأتي القهوة وأخيراً الدخان ، ولعل هذا يعكس ما ساد من الترتيب في الإقبال على هذه المشروبات في المجتمع المكي في زمن تأليف الكتاب ، الشاي ثم القهوة ويلحق بهما الدخان، مع اختلاف الوضع الترتيبي في مجتمعات أخرى مع بقاء السيادة للقهوة في بعضها .

أما الكتاب ، من حيث المواضيع التي يتطرق له فيما يخص القهوة ، فهو استمرار للنهج الذي ساد في أدبيات القهوة ، فهو جمع لما قيل في موضوعه قديماً ومعاصراً ، مع إيراد شعر منظم في القهوة وإلحاقه ببعض الطرف ، ثم التطرق إلى فوائد مختصرة عن انتشار القهوة خارج ديار الإسلام منقولة عن مقتطفات صحفية عربية مما نشر في الصحف السيارة لاسيما بمصر . والمؤلف يتعامل مع القهوة والشاي والدخان كمسلمات مبتعداً عن إعطاء أحكام فيها .

لعل ما بقي بعد هذا العرض لمؤلفات القهوة التي تمكنت هذه الدراسة من الإحاطة بها ، هو القول أن التأليف في القهوة بربطه بالدخان والشاي وكافة ما يندرج تحت تصنيفات المحرمات والمكروهات قد بدأ يخف تدريجياً ليختفي ذكر القهوة منها تماماً. ففي "كتاب الدخينة في نظر طبيب" لمؤلفه دانيال هـ . كرس Daniel. H. Kress، ألحق معرّب الكتاب به قائمة بالكتب التي تدخل القهوة في عناوينها مع الدخان ، بعضها مما عرضناه في الصفحات الماضية[٦٨] ، بينما لم يتعرض المؤلف نفسه للقهوة . لكن الانفكاك النهائي للقهوة من الدخان تم في كتاب "محاضرات في مضار الدخان والتمباك والجراك وما شاكلها" لمصطفى بدر الدين[٦٩]. في هذا الكتاب ينتهي الترابط المعتاد بين القهوة وأخواتها اللدودات من المشروبات الأخرى ، لتأخذ القهوة مرة أخرى مسار الانفراد بنفسها كما كان العهد بها سابقاً خلال عقود ظهورها الأول .

نحت المجلات الأدبية في مصر منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري /٢٠م منحى نشر مقالات مختصرة عن القهوة تتصف بالطابع الأدبي السردي الذي كان شائعاً حينذاك في مثل تلك المجلات. والأفكار السائدة في هذه المقالات تتصف إما بتكرار الأفكار التي كانت سائدة في الكتابة عن القهوة في الأدبيات العربية القديمة والمتمثلة في الحديث عن بدايات تاريخ القهوة والخلافات الفقهية التي ثارت حولها مع التأكيد على تاريخ بداياتها وانتشارها في مصر ، مشفوعة بالتعريف عن مقاهي القاهرة التاريخية القديمة ، وإما في الحديث عن انتشارها في أوربا مع ربط الحديث في كلتا الحالتين بما كتب عن فوائد القهوة ومضارها من الجوانب الصحية ، ويلحظ على الصنف الثاني من هذه الكتابات اعتمادها على الكتابات الأوربية وبالأخص الفرنسية منها ، وإن لم يشر محررو هذه المقالات إليها والأمثلة لهذه المقالات هي :

١ - "القهوة" ، **المقتطف** ، الجزء الخامس من المجلد السادس والخمسين ، ١ مايو (أيار) سنة ١٩٢٠م / الموافق ١٢ شعبان سنة ١٣٣٨هـ . ص٤٢٠- ٤٣٣ ، بقلم نقولا شكري .

والمقالة عرض سريع لانتشار القهوة من اليمن إلى البرازيل مع التأكيد على كميات الإنتاج والأسعار في المناطق المصدرة للقهوة .

٢ - "البن والقهوة بين التاريخ والعلم" ، لا يذكر اسم كاتبه، **المقتطف** : الجزء الثالث من المجلد الخامس والتسعين، ١ أغسطس سنة ١٩٣٩م / ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٨هـ ، ص ٣٠٧ - ٣١١ .

والمقالة تنصب على التعريف بشجرة البن ، ووصف حبة البن ، ثم الحديث عن انتشار البن من اليمن إلى أوربا .

٣ - "القهوة" ، أحمد زكي ، **الرسالة** ، العدد السابع ، ٢٠ ذي الحجة ، سنة ١٣٥١هـ/ ١٥ أبريل سنة ١٩٣٣م ، السنة الأولى ، ص ص٣٠-٣٣ . تهتم المقالة ببدايات القهوة في اليمن وكيفية الاهتداء إليها ، مع الحديث عن الخلافات التي أثيرت حولها في مكة ، ومواقف الفقهاء منها، ثم يعرج الحديث عن انتشارها في أوربا عن طريق مصر، مع الإشارة إلى البندقية والقسطنطينية، ثم الختم بوصف شجر البن وحبوب القهوة .

٤ - "القهوة حرام ... قصة لها دلالة ، محمد الشرقاوي ، **الأزهر** ، الجزء الأول- السنة ٣٤ - المحرم سنة ١٣٨٢هـ - يونية ١٩٦٢م ، ص ٩٢١ - ٩٢٤ .

كما يلمح إلى ذلك عنوان المقالة ، فإن المقالة تهتم بجدل الحل والتحريم الذي أثير حول القهوة زمناً طويلاً في مكة ومصر والشام ، فيها يعود كاتبها إلى المصادر الأولية مثل " عمدة الصفوة " للجزيري ، حيث يكرر ما ورد فيه ، ثم يتوسع في الحديث عن الجدل عليها في مصر في مبدأ تقديمها ، ويأخذ صاحب المقال دعوة الدفاع عن القهوة .

إن المقالات التي عرضناها هي أمثلة غير حصرية لما كتب عن القهوة حيث تتوافر مقالات أخرى في المجلات نفسها وفي مجلات أخرى[٧٠].

أما عن أدبيات القهوة في الشام فإن نشاط التأليف فيها استمد جذوره من تقليد راسخ مؤسس عُرف بدايته مع بدايات تصنيف كتب التراجم والأعيان التي ضمت الكثير من أخبار رجال القهوة ، ليس في الشام فحسب بل في الحواضر الإسلامية الأخرى. ولذا فإن تواصل هذا النوع من التعبير الأدبي- التاريخي وجد في الشام منهلاً غزيراً ينهل منه ، وهذا ما اتسمت به دراسات القهوة هناك ولقد سبق لنا التلميح إلى كتاب جمال الدين القاسمي (ت سنة ١٣٣٢هـ) باسم "رسالة الشاي والقهوة والدخان" ، ومع أننا لم يتسن لنا الاطلاع على الرسالة، فإننا ننقل بإيجاز العرض الذي عرض به الكتاب في ملحق كتاب الدخينة ، ومما جاء فيه ، حسب كلمات المؤلف نفسه "أنه جمع فيه ما قيل في شأن الدخان والشاي والقهوة في منثور الأوراق منتخباً منها مارق أوراق[٧١] . والكتاب بهذا الإقرار ليس سوى مسايرة لما شاع في التأليف في جمع القهوة مع قرينات أخريات مما عرفنا به سابقاً ، ولا شك أن هذه كانت مرحلة سايرت فيها الشام مناطق أخرى في مثل هذا النوع من التأليف . ومثلما حققت القهوة الانفصال من هذه القرينات في مناطق أخرى ، تحقق هذا الانفصال في الشام بظهور دراسات مستقلة عن القهوة ، ولعل من أهمها :

١ - "القهوة والمقاهي في دمشق في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي" ، إحسان عباس ، **تاريخ العرب والعالم**، السنة السادسة، العدد ٧٠، آب (أغسطس) ١٩٨٤م ، ذو القعدة ١٤٠٤هـ ، ص٦٩-٧٥ .

المقالة دراسة مركزة موثقة عن تاريخ دخول القهوة لدمشق ، يبدأها محرر المقال بإعطاء خلفية عن تاريخ الاهتداء إلى القهوة في اليمن ووصولها الشام مروراً بمكة والمدينة ، مع التعرض للخلافات الفقهية التي تعرضت لها القهوة في دمشق ، مع تتمة عن بدايات المقاهي وأهم المقاهي فيها ، وإحسان عباس بخلفيته التاريخية حرر مقالة غنية بالمعلومات برغم من قصرها ومحدودية النطاق المكاني التي تناولتها.

٢ - "من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر والشام في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي"، محمد م . الأرناؤوط ، **دراسات تاريخية** ، جامعة دمشق ، السنة الحادية والعشرون / العددان ٧١ - ٧٢، رمضان ١٤٢٠هـ، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ تموز - كانون الأول ٢٠٠٠م ، ص ١٣١ - ١٤١ .

لقد سبق لنا القول إن ثراء ما هو متوافر عن القهوة

في الشام منحت لمؤلفي القهوة عوناً غير محدود . وهذه المقالة مثال لما نقول . فهي دراسة مركزة عن تاريخ الجدل الذي أثير حول القهوة مع التركيز على دمشق، فيه حديث عن أوائل المؤلفات في القهوة، وأول من شرب القهوة في دمشق . وينبغي أن نشير إلى أن الأرناؤوط له نشاط حافل في التأليف في القهوة.

٣ – "بدايات انتشار القهوة والمقاهي في بلاد الشام الجنوبية" ، محمد م . الأرناؤوط ، **مجلة اليرموك** ، العدد ٣٥ ، إربد ١٩٩٢م .

البحث مهم وموثق توثيقاً جيداً من بدايات الاهتداء على القهوة في اليمن ، ووصوله إلى مناطق الشام الجنوبية (فلسطين) ، وبدايات الخلافات حولها بمؤثرات عثمانية ، مع تتمة الحديث عن حال القهوة في حاضرة الدولة العثمانية نفسها .

٤ – "من اليمن إلى البوسنة : التاريخ الثقافي للقهوة". محمد م . الأرناؤوط ، **الاجتهاد** ، العددان السابع والأربعون والثامن والأربعون ، السنة الثانية عشرة، صيف وخريف العام ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ . ١٦٧–١٨٣.

المقالة تهتم بالبوسنة التي لا نعرف الكثير عن تاريخ القهوة فيها ، ومع ذلك فهي تحوي معلومات مفيدة للغاية عن تاريخ القهوة وأثرها على ذلك المجتمع المسلم ، والمعلومات المفيدة كثيرة ومنها : عن علاقة البوسنة مع مصر التي كانت تستورد القهوة منها مباشرة ، التلميح إلى مؤلفات عن القهوة في البوسنة وعلى رأس القائمة فيها "رسالة الأقحصاري حول القهوة" ، وكتابات الرحالة عن القهوة فيها .

٥ – كتاب "**القهوة العربية في الموروث والأدب الشعبي**" محمود مفلح البكر ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ١٩٩٥م ، هو كتاب جدير أن نختم به الحديث عن مؤلفات القهوة في الشام، برغم الأرض (البانورامية) الواسعة لكتاب فهو يغطي الجزيرة العربية وشمالها والشام غرباً والعراق شرقاً ، مع التركيز على بادية الشام تحديداً[٧٢].

والكتاب من المؤلفات التي يمكن القول إن الباعث على تأليفه هو حب القهوة ولا شيء غير ذلك، فهو يحوي معلومات عن القهوة تاريخاً ونثراً مما يصعب الإيفاء بما فيه في هذه العجالة . وعليه فهو يبقى من أهم المؤلفات التي تقدم صوراً متوالية عن القهوة وأدواتها وتقاليدها والتعبير الشعري الشعبي الذي نسج فيها .

أعطيت للقهوة أينما شُربت أسماء ذات دلالات فارضة . فالقهوة لا نعرف مشروباً مثلها في تمكنها من الاستيلاء على الذائقة وتسللها إلى الأعراف والتقاليد ، بحيث إنها أينما حلت قدرت أن ترسم طقوساً وشعائر تتشكل حولها مراسيم وعادات . وإذا كانت قدرة القهوة بهذه القوة الفارضة، فإنها بين سكان جزيرة العرب قديماً ودول جزيرة العرب حاضراً اعتلت شأنها السامي لتغدو الرمز الناطق لفضائل الأعراف الاجتماعية المحببة، فهي رمز الكرم والتقدير وحفظ الود والإقبال، وهي بهذه المكانة المعشوقة التي يعبر عن حسنها ودلالها وسحرها ، وعند التعبير عنها شعراً أو تأليفاً، فإن الحديث عنها ينطلق جامحاً.

بهذه العبارات يمكن التعريف بمؤلفات القهوة في المملكة العربية السعودية . والتي حظيت بأربعة مؤلفات لا يمكن عزو بواعث تأليفها إلا للعشق المتناهي للقهوة ، ولأن العشق اللامحدود للقهوة كان دافع التأليف ، فإن أقلام مؤلفي هذه المؤلفات كانت من الجموع بحيث إن أياً منهم لم يضع قلمه جانباً ألا بعد رصد كل حديث عن القهوة ، ويلم بكل شعر قيل فيها في جهد يدعو إلى التقدير، وقدمت بهذا الإصرار موسوعات في القهوة ليس أمامنا سوى أن نوجز في التعريف بها، مؤملين الاستفادة من محتواها في دراسات أخرى ، وهي :

١ - عبد العزيز بن محمد الأحيدب ، **تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء**، (الرياض : مطبعة الجزيرة ١٣٩٠هـ).
موضوع الكتاب فيه تأكيد على مكانة القهوة وعلو منزلتها الرمزية ، وهي في هذه المكانة جديرة بمن يستحقها وهم العقلاء وغير مستحقيها وهم الثقلاء . ويخوض المؤلف طويلاً في شرح معايير هذا التميز ، بيد أن الكتاب ليس كله مقصوراً لهذا الموضوع ، لكنه أيضاً جمع شامل لكل ما له علاقة بالقهوة وما كتب فيها تأريخاً وبحثاً، وأهم ما يكتنزه احتواؤه على شعر ثر فصيح وشعبي فيما قيل عن القهوة قديماً وما بعده إلى الحاضر: ليس في محيط المملكة بل من خارجها أيضاً .

٢ - **الصفوة مما قيل في القهوة : بحوث علمية وأدبية - أشعار فصيحة ونبطية** ، أحمد عبد الله الدامغ (لم يذكر مكان وتاريخ الطبع) ، ٣ أجزاء .
يشيع في بلاد الغرب صنف من المؤلفات تعنون بـ "كل ما تريد أن تعرفه عن .... " ، ولقد سار وليم أوكرز على ذات النهج عندما عنون كتابه " كل ما هنالك عن القهوة " ، فيما أشرنا عليه سابقاً ، وكتاب الدامغ عن القهوة يمكن إدراجه في هذا الصنف من المؤلفات ، فهو حقاً كل ما قيل عن القهوة دراسة وتأريخاً ، فالجزء الأول يحوي تقريباً كل ما قيل عن القهوة نثراً مما أحاط به المؤلف، بحيث إن قارئه يمكن أن يلم بمعلومات واسعة عن القهوة من المرور عليه، والجزءان الثاني والثالث يحويان عرضاً لشعر القهوة قديمة الفصحى وحديثه الشعبي . والكتاب الموسوعي هذا حقاً يقدم للقارئ كل ما يريد أن يعرفه عن القهوة .

٣ - عبد الرحمن بن زيد السويداء ، **القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر** ، (الرياض : دار السويداء للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .
الكتاب ليس كما يشير إليه عنوانه قصراً على القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر، صحيح أن جل الكتاب مخصص للشعر، الفصحى منه والعامي، مع جهد كبير لشرح مفرداته، إلا أنه أيضاً يحوي مداخل في تاريخ القهوة والقضايا التي تعرضت لها والتعريف بها، وما قيل فيها من منافع وأضرار ، مع عرض لتاريخ المقاهي وانتشار القهوة وتوسع زراعتها عالمياً.

٤ - عبد العزيز بن ناصر بن سعود العبدالله، **القهوة الكيف بين الماضي والحاضر**، (١٤٢١هـ: لم يذكر مكان النشر).
الكتاب مرة أخرى محاولة طموحة في سلسلة المؤلفات السابقة للإحاطة بكل ما يحيط بالقهوة تاريخياً والتعريف بها ، مع إضافات شعرية شعبية مما استزاد في شعر القهوة الشعبي .

وإذا كان هناك ما يقصر في المؤلفات الأربعة الآنفة، برغم ثراء مادتها إلا أنها لا تقدم سنداً للمتطلع إلى بناء سياق تاريخي لانتشار القهوة في جزيرة العرب نفسها وتحديد تواريخ لها . وهذه الناحية هي من النواحي التي نشتكي ضعفاً فيها على النقيض من الحواضر الأخرى التي انتشرت فيها القهوة خارج الجزيرة، فهناك نعرف تاريخ البدايات والأسماء التي ارتبطت بها بينما لا يتوافر ذلك بسهولة في مهد القهوة ، وهذه المؤلفات مما حوت من شعر فصيح وعامي كانت ستخدم مؤرخ القهوة لو أنها اهتمت بالشاعر من حيث التعريف به وزمنه ، ولو فعلت لقدمت لمؤرخ القهوة وسيلة فعالة لمتابعة التعاقب الزمني لهؤلاء الشعراء من خلال الأفكار والمعاني التي طرحت في شعرهم .

فضلاً عن الأعمال المذكورة ، هناك دراسات مهمة عن القهوة في هيئة مباحث مختصرة ، ينبغي التعريف بها:

١ - "الحياة الاجتماعية بين الفلاحين" ، حمد الجاسر ،

المجلة العربية ، العدد ١٠٩ ، صفر ١٤٠٧هـ / أكتوبر ١٩٨٦م ، ص ٨ – ٩ .

٢ – "القهوة في الشعر الاحسائي" ، علي محمد العمير ، **المنهل** ، العدد ٤ ، ربيع الثاني ١٣٨٣هـ/ أغسطس ١٩٦٣م ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

٣ – "القهوة العربية"، عثمان الصالح ، **المنهل** ، العدد ١٠ شوال ١٩٣١هـ/ نوفمبر – ديسمبر ١٩٧١م ، ص١٠٥٢-١٠٥٣.

٤ – "هل القهوة مضرة للأطفال"، عثمان الصالح ، **المنهل** ، العدد ٧ ، رجب ١٣٩٤هـ / يوليو – أغسطس ١٩٧٤م ، ص٤٩٩ – ٥٠٠ .

فضلاً عن مقالات أخرى في القهوة للمؤلف نفسه ، انظر : **المنهل** : الأعداد ٧/٩/١ / محرم/ ١٦٤ .

٥ – "التوظيف الرمزي للقهوة العربية في منطقة الأحساء"، مشاري عبد الله محمد النعيم ، **القافلة** – السعودية، العدد ٧، رجب ١٤١٨هـ/ نوفمبر ١٩٩٧م، ص١١-١٦.

٦ – "القهوة" (ملف) ، **عالم الغذاء** ، العدد ٢٢ ، فبراير ٢٠٠١م / ١٤٢١هـ ، ص ١٨ – ٣١ .

كما أن التأليف في القهوة دخل في سياق تاريخ مكة وجدة العام :

١ – أحمد السباعي ، **تاريخ مكة** ، (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ، ص٣٦٥ .

٢ – عبد القدوس الأنصاري ، **موسوعة تاريخ جدة** ، ج١ ، (القاهرة: دار مصر للطباعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٢٣٩.

وختاماً ، لا تدعي الدراسة أنها أحاطت بكل ما صنف في القهوة ، فهناك المئات من المقالات والدراسات موزعة في الدوريات والمجلات ، ولعل ما يحضر منها في الذهن ، مجلة العربي التي تصدر في الكويت ففيها الكثير من المقالات عن القهوة ، وكذلك مجلة "الإكليل" التي تصدر في اليمن والدوريات العلمية والمجلات العديدة الصادرة في الدول العربية الأخرى .

الهوامش

١ – موقع منظمة البن الدولية: http:// www.Juiccnjavaloung.com/ articles/jjcoffeeintro.Hotml: "ويجدر التنويه فيما يتعلق بالمواقع على الإنترنت أنها معرضة للتغيير والحذف والإضافات. .

٢ – Alain Stella, The Book of Coffee, (New York : Flammarion 1997), 17. Antony Wild, The East India Company Book of Coffee, (London: Harper Collins 1994), 8.

٣ – Fernand Braudel, The Structures of Everyday Life: Civilization & Capitalism 15th - 18th Century,, vol. 1, trans : Sian Reynolds, (New York: Harper & Row 1981), 256.

٤ – انظر مباحثه في تجارة البن وتاريخ القهوة :

1) The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II, Trans., Sian Reynolds, (New York: Harper & Row 1972) , vol I, 62, 172 - 176, 184, 467, 564, 582, vol : II, 668, 762, 1224.

2) Capitalism and Material life 1400-1800, (New York: Harper 1967), 183-188.

٥ – William H. Ukers, All About Coffee, (New York: The Tea & Coffee Trading Journal Company 1935) 661-703.

٦ -- Mark Pendergrast, Uncommon Ground, The History of Coffee and How it Transformed Our World, (New York : Basic Book 1999). 431-434.

- The Encyclopaedia of Islam (E.I) , vol. IV, 452-455.

٧ - انظر : W.H.Ukers, All About Coffee 1-2, 7-20, 661-663 .

- F. Braudel, The Mediterraneah, vol. 172-175, 548 - 556 - 564 - 587 - vol. 668 - 670, 760 - 863 - 1224 - 1225 .

- Braudel, The Structure of Everday Life, vol. I, 220 - 224, 249 - 360 , vol. II , 478 - 479.

- Braudel, Capitalism and Material Life, 183 - 188.

٨ - انظر :

١ - ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة د.ت)، ج٧، انظر حوادث السنوات: ٩٣١ - ٩٣٢/ ٩٩٠/ ٩٦٣هـ.

٢ - الجبرتي ، عبد الرحمن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الكتاب له غير طبعة فقد طبع أول مرة في مصر في مطبعة بولاق عام ١٢٩٧م، ويستحسن الرجوع إلى ما فيه ذكر عن القهوة في حوليات: ١٢٢٠ / ١٢٢١ / ١٢٢٢ / ١٢٢٦/ ١٢٢٨ / ١٢٢٩هـ.

٩ - الجزيري ، عبد القادر بن محمد ابن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي ، الدّرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ؛ تحقيق : حمد الجاسر (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ١، ٢٧ - ٢٨ / ج ٢ ، ١٠١٨ ، ١٠٢٥.

١٠- ابن معصوم بن علي صدر الدين ابن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المدني ، رحلة ابن معصوم المدني أو سلوة الغريب وأسوة الأديب ؛ تحقيق : شاكر هادي شكر ، القسم الأول ، مجلة المورد ، ٢٤ ، مج ٨ (بغداد : دار الجاحظ ١٩٧٩م)، ١٧٩ - ١٨٠ / ٢٠١ - ٢٠٢ .

١١- ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله ، القانون في الطب ، ١٨٨ . الرازي ، أبو بكر بن محمد، الحاوي في الطب، ٢٥٣.

١٢- فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ؛ ترجمة : صالح أحمد العلي (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ١٢٤ .

١٣- انظر مثلاً لما يورده الحبشي : محمد بن عمر الطيب بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر؛ تحقيق : عبد الله محمد الحبشي (بيروت : عالم الكتب، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ، ١١-١٣ .

١٤- أبو عبد الله الطيب بن عبد الله ابن أحمد أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها ، تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري (بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م). وعدن معروف بأنه بلد العيدروسي (الشاذلي) وهو من أوائل من شرب القهوة فيه : انظر E.I الموسوعة الإسلامية - vol. 1 ص ص٧١٢-٧٨٠ مادة Aydarus .

١٥- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، ٤.

١٦- محمد عبد الله الحبشي ، أوليات يمانية في الأدب والتاريخ (بيروت : الدراسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١١٤١هـ - ١٩٩١م) ، ١٤٥ .

١٧- معظم الأعمال المدرجة ، طبعت طباعة واحدة ، وعليه آثرنا ذكر

العنوان واسم المؤلف للإشارة إليها فقط .

١٨- طبع في بغداد : ١٣٥٣هـ ، انظر الصفحات : ٢٣/٣٠/٦٠/ ١١٧/١٢٤-١٢٥/١٣٦-١٣٧/ ١٩٢-١٩٧/ ٢٢٦-٢٢٨/٢٣٥- ٢٣٦/٢٦٢-٢٦٣/٢٦٦/٢٨٦- ٢٨٧/٣٠١/٣٥٢-٣٥٣/٣٦٥- ٢٦٧/٣٨٣/٤٣١ .

١٩- بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) . انظر: (جـ١)١٦/٥٣/٥٩/١١٥/٢١/ ١٥٦/٢١٩/-٢٢٠/٢٢٢-٢٢٣/ ٢٧٨/٣٠٦/٣١٠ (جـ٢)١٩- ٢٢/٨٥/١٠١-١٠٢ .

٢٠- بيروت : دار الآفاق الجديدة د.ت) انظر : (جـ ٨) ٣٩/٧١/ ١٧٩/١٩٩/٢٤٧-٢٤٨/٢٦٨/ ٢٨٠-٢٨١/٣٠٦/ ٣٢٨ (جـ١٠) ١٤٣/٣٥٠/ ٤٠٢-٤٠٤ .

٢١- العصامي ، ١٧٣٩ . المحبي : ٤٣٦/٧٠٥/٧٨١/١٠٠٤/٨٤. ١/١١٠٤/١٢٣٩/١٣٦٨/٣٧٣ ١/١٨٨٠ ، وللمحبي كتاب آخر (نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة) : ٤٩٥ . العاملي : ٢٧/٣٩/٨٦/٣٦٠/٤٩٠/٥٥. الأنصاري: ١٦٦. التنوخي١٧٦. عبد الحي (الشريف الندوي) : ٦٧٦/١٦٧٠ . ابن كنان : ٢٥٦. السمعاني: ٢٥٦، ٣٣٩ . المرادي: ٤٢٥/٨٣٩/٨٥١ . السيوطي: ٤٤. الحصني (الحصيني) : ٢٤/١٨٨/ ١٨٩/٢٠١ .

٢٢- العيدروسي ، تاريخ النور السافر ٢٩٨ . بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ٤٤٠ - ٤٤٤ .

٢٣- يذكره صاحب "النور السافر" بأنه "عبد المجيد بن عبد العليم إقبال المعروف بالقرتبي" ، محدداً وفاته يوم الإثنين من شهر رمضان سنة تسع بعد التسعمائة . بمدينة الزبيد ، شبرا" .. وهو يومئذ رأس المفتين بها ، ص٥٢، ويرد الاسم في الفتوى بـ "شرف الدين أبي القاسم بن عبد العليم القرتبي" والأرجح أنه هو فهو يشير إلى ذلك في آخر الفتوى (المخطوط) بالحرفين الأوسطين لاسمه واسم أبيه (مفتي زبيد ج، ع)، مخطوط، مكتبة المحمودية، رقم الحفظ ٢٦٨٢ ، مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة .

٢٤- مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، مخطوط ، مكتبة عارف حكمت ، الرقم الخاص ١٠٤/ التصنيف ٨٠ . ويرد لأبي السعود ترجمتان : مرة باسم أبو السعود ، قاض قتله الشريف بركات سنة ٩٠٨هـ ، الكواكب السائرة، جـ ١ رقم ٢٣٩ ، ص١٢٢. شذرات الذهب، ج٨ ، ص٢٦ . وأخر باسم ، أبو السعود بن بدر الدين زادة، تولى قضاء دمشق وحلب ، وفاته بعد ٩٤٥هـ ، الكوكب السائر ، جـ ٢ ، ص ٩٤ . شذرات الذهب ، جـ ٨، ص ٢٦٥ . والأرجح أنه الأول ؛ لأن الفتوى تتحدث عن القهوة كمشروب أسود ظهر في هذا الزمن ، بينما القهوة في زمن الثاني كانت معروفة ويستبعد أن تعرف بهذه الصفة ، انظر أيضاً: الطبري المكي ، محمد بن علي بن فضل "تاريخ مكة" ، (د. م : ١١٧٣هـ) . إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن؛ تحقيق : محسن محمد حسن سليم، جـ ١ ، (القاهرة : دار الكتاب الجامعي د. ت) ، ٢٩٤-٢٩٥ ، ٥٣١ .

٢٥- عبد الله محمد الحبشي ، أوليات يمانية في الأدب والتاريخ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤١١هـ/١٩٩١م . ١٤١/١٤٣. كذلك : عمدة الصفوة في حل القهوة ، مقدمة المحقق ، ١-٧ .

٢٦- عمدة الصفوة ، ٧ .

٢٧- E.I. Kahwa, IV, 452 .

٢٨- الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ١، ١١٥.

E.I.Aydarus, vol. I, 780

٢٩- سنعود إلى أحمد عبد الغفار ومؤلفه لاحقاً .

٣٠- E.I, Kahwa, vol. IV, 452.

٣١- الزبيدي ، محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس؛ تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، جـ ١، (الكويت : سلسلة التراث العربي ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ٣١.

٣٢- الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ٣ ، ١٩٨٠م .

٣٣- التجيبي ، ابن رزين، فضالة الخوان - تحقيق: محمد بن شقرون ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ١٩٨٤م ، ١٠.

٣٤- محمد الأرناؤوط ، من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر والشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، دراسات تاريخية ، جامعة دمشق : السنة ١٢-ع ١٧-٢٧، رمضان ١٤٢٠هـ - ربيع الأول ١٤٢١هـ / تموز- كانون أول ٢٠٠٠م ، ١٤٣ .

٣٥- الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، (حيدرأباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، ١٦٧٠ (رقم الصفحة هنا من (CD)، (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ولربما يكون الترقيم مختلفاً عن أرقام صفحات الكتاب المطبوع .

٣٦- William H. Ukers, All About Coffee. 666-674. - Ralph S. Hattox, Coffee and Coffeehouses, (Seattle; University of Washington Press 1988), 14-15/42 - 43/ 134/135.

وهاتكس يعتبر أحمد بن عبد الغفار أباً لمن كتبوا في القهوة .

٣٧- أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي ، "دفع الهفوة في حل القهوة" رقم عام : ١٤١٥ : رقم التصنيف ك ٢/٢٥٥ - مكتبة عارف حكمت ، مكتبة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة .

وقد وفق الله كاتب هذه السطور من تحقيق الكتاب، وسيدفع به - بإذن الله - للطبع قريباً .

٣٨- الجزيري ، عبد القادر بن محمد ابن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ؛ تحقيق : حمد الجاسر ، (الرياض : دار اليمامة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

٣٩- محمد بن عمر الطيب بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ؛ تحقيق : عبد الله محمد الحبشي (بيروت : عالم الكتب ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٤٤.

٤٠- ابن فهد الهاشمي ، عز الدين ابن عبد العزيز بن عمر بن محمد القرشي ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام؛ تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، جـ ٣ ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ٣٣٩ .

٤١- الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ١ ، ٣١٠ .

٤٢- الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ١ ، ٥٩ ، ٦٨ .

٤٣- أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي ، دفع الهفوة في حل القهوة ، لوحة ٣ .

٤٤- انظر ترجمة أخرى في شذرات الذهب ٥٩/٨ .

٤٥- آخر المخطوط ، لوحة ١٦٦ .

٤٦- عبد القادر بن محمد الجزيري ، عمدة الصفوة في حل القهوة ؛ تحقيق : عبد الله بن محمد الحبشي (أبو ظبي : المجمع الثقافي، ١٩٩٦م) . ومؤلف الجزيري ، على العكس من مؤلف عبد الغفار المالكي الذي على حد علمنا لا يعرف له سوى

نسخة المدينة ، يوجد له ثلاث نسخ ، واحدة في مكتبة البلدية في الإسكندرية برقم (ت ١١٢٨ ب ، وقد اعتمد عليها المحقق ، الثانية في مكتبة باريس برقم ٤٥٩٠ ، وثالثة في مكتبة الإسكوريال برقم ٧٧٠ ، وهذا ما أدى إلى شيوعه.

أما عن التعريف بالجزيري: انظر دراسة حمد الجاسر في مقدمة كتاب الجزيري "الدرر الفرائد المنظمة" جـ ١، ٣-٦٠.

٤٧- الجزيري ، عمدة الصفوة . ١٤١- ١٨١ .

٤٨- مجموعة المحمودية ، رقم الحفظ ٢٦٧٠ ، مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة ، عشرون ورقة .

٤٩- خير الدين ، الزركلي ، الأعلام ، جـ ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م ، ١٦٢ .

٥٠- لوحة ٧٦ .

٥١- المحبي، خلاصة الأثر ، جـ ١ : ١١٠/٣٥ ، جـ٢ : ٢٤٠ / ٣٨٠، جـ ٣ : ٢٠٣ .

٥٢- المرادي ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، جـ ٢ : ١١-١٩، الزركلي، الأعلام : ١٦٢.

٥٣- الجزيري ، عمدة الصفوة : ٤٨. ويشير الحبشي إلى وجودها برقم ٥٨٢، مكتبة جامع صنعاء الغربية.

٥٤- بافقيه ، تاريخ الشحر : ٣٨٩ .

٥٥- العيدروسي، تاريخ النور السافر جـ ١ : ٣١٠ .

٥٦- مكتبة المحمودية ، رقم ٢٨٦٢ ، مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة .

٥٧- الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ١ : ٥٩ .

٥٨- لوحة ١-٢ .

٥٩- مكتبة الساقزلي ، رقم الحفظ ٤٢١، مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة.

٦٠- ورقة ٢ .

٦١- ورقة ٢ - ٣ .

٦٢- محمد م . الأرناؤوط ، من اليمن إلى البوسنة : التاريخ الثقافي للقهوة ، الاجتهاد، ع ٤٧ - ٤٨، س / ١٢ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٦٣- علوي بن أحمد السقاف ، رسالة في قمع الشهوة عن تناول التنباك والكفتة والقات والقهوة ، (طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٢هـ ويشار في آخر الكتاب بأن المؤلف انتهى من تأليفه عام ١٢٩٥هـ .

٦٤- المصدر نفسه ، ٨ - ١٠ .

٦٥- محمد الطرابيشي الحلبي، تبصرة الإخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان، (مصر: مطبعة الخانجي ١٣٢٨هـ/١٩١٠م) .

٦٦ - نفسه ، ٥٣ - ٤٠ .

٦٧- محمد طاهر الكردي، أدبيات الشاي والقهوة والدخان، (جدة : الدار السعودية للنشر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ٣-٤.

٦٨- دانيال هـ كرس . كتاب الدخينة في نظر طبيب ، ترج / الزهرة (الطائف : مكتبة المعارف ١٣٩٧هـ) . ١١٢-١٢٨. وتحوي قائمة الترجمة الملحقة قائمة طويلة بمؤلفات ألفت في كراهية الدخان وبقية المدخنات .

٦٩- مصطفى بدر الدين، محاضرات في مضار الدخان والتمباك والجراك وما شاكلها ، (مصر : مكتبة مصطفى الحلبي، ١٩٤٧م).

٧٠- "البن" المقتطف ، ٧ كانون الأول، ١٨٨٠، ١٨٣-١٨٤. "تاريخ المقاهي"، الرسالة ، ٢١٧ جمادى الثانية ، ١٣٥٦/ أغسطس ١٩٣٧م. ١٤ - ٣٦. ثلاث مقالات لأحمد حسن الزيات بعنوان "من أحاديث القهوة" ، الرسالة، ٤٢٦، شعبان ١٣٦٠هـ / سبتمبر ١٩٤١م . ١٠٨١- ١٠٨٢، ٣٢٤ ، رمضان ١٣٦٠هـ/ أكتوبر ١٩٤١م ، ١٢٤٩- ١٢٥٠، ٤٣٤ ، شوال ١٣٦٠هـ/ أكتوبر ١٩٤١م ، ١٣٠٥ - ١٣٠٦ .

٧١- دانيال هـ. كرس، كتاب الدخينة في نظر طبيب، ص١١٦-١١٧.

٧٢ - محمود مفلح البكر ، القهوة العربية ، ص٩٠ - ٩٣.

سياسة البلاغة عند عبدالحميد الفراهي

صالح سعيد الزهراني

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

قيل للهندي ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة . وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة»[1] .

فالبلاغة وفق هذا التصوّر «معانٍ واضحة ، ولمحةٌ دالة ، وبراعةٌ أسلوبيّة» .

وهذه الأسس الثلاثة تفضي إلى غاية واحدة هي "الأدب الجميل" الذي ترتضيه الخاصة ، وتدركه العامة ، فالمعاني الواضحة ، وضوحها وضوح بمنطق الفن ، لا يكشف ولا يستر ، ومن هنا يتساوى الوضوح مع اللمحة الدالة، والبراعة الأسلوبية .

وعندما نقرأ "الصحيفة الهنديّة" نقف على رؤية أكثر وضوحاً في "سياسة البلاغة" أوردها الجاحظ وهو يعرض لمفاهيم البلاغة عند سائر الأمم ، وقد جاء فيها : «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخيّر اللفظ ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قواه التصرّف في كل طبقة ، ولا يدقّق في المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام ، وإسقاط مشتركات الألفاظ . وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، وعلى وجه الاستطراف والتظرّف . قال : ومن علِم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقاً ، ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصّراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمّناً ، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أوّل كلامه ، ويكون تصفّحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مونقاً ، ولهول تلك المقامات معاوداً . ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تواتيه آلاته ، وتتصرّف معه أداته ، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً ؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها ، أمنها فأودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدارٌ من الوهن ، ولكل وهَن مقدارٌ من الجهل» [2] .

والمتأمل يجد أن هذه الصحيفة خاصة بفنّ الخطابة وليست لسائر أجناس الأدب ، وأنها تشتمل على عدد من المقاييس الجماليّة للخطبة البليغة والخطيب البليغ ، هي :

١ - رباطة الجأش .

٢ - مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال .

٣ - الاحتفاء بالقول المطبوع .

٤ - التواؤم بين اللفظ والمعنى .

٥ - وحدة الخطبة .

٦ - القدرة على تطويع اللغة للأفكار .

٧ - الإفهام .

وهذه المقاييس الجماليّة التي انطوت عليها "الصحيفة الهندية" نجدها مبثوثة في تراثنا النقدي

والبلاغي في النظريّة والتطبيق[٣] . ولا يعني هذا أن التراث البياني لدينا عالة على هذه المقاييس ، فهي مقاييس جماليّة تجمع عليها الأمم باختلاف ثقافاتها ، وتحققها في الممارسة النقدية وفق منظورها الخاص . فرباطة الجأش ومطابقة الأشكال للمضامين ، وإفهام المتلقين ، لا خلاف حولها ، ولكن الخلاف في طريقة تنفيذها وفق الرؤى الخاصة ، والتصورات الذاتية .

وعندما نقف أمام "سياسة البلاغة "عند عبد الحميد الفراهي نجد أنّ "وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة "تمثل أركان البناء البلاغي عنده ، والوضوح ، والإيحاء ، والحيل الأسلوبيّة تهدف إلى تحقيق غاية كبرى هي "الصدق " ، فالبلاغة هي «حسن في المعنى وتحسين في المبنى» ولا يسمى القول بلاغة حتّى يجتمع له هذا المقوّمان الجماليان .

وقبل أن نعرض لسياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي ، نقدّم تعريفاً موجزاً بشخصيّته العلميّة ؛ لأنّ كثيراً من قراء العربيّة لا يعرفون شيئاً عنه .

فهو «عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان بن قنبر ابن تاج علي ، حميد الدين ، أبو أحمد ، الأنصاري ، الفراهي» .

هاجرت أسرته من المدينة المنورة إلى أفغانستان ثم إلى الهند ، ولد صباح يوم الأربعاء ١٢٨٠/٦/٦هـ في قرية "فراه"من قرى مديريّة "أعظم جره"في ولاية "أترابراديش" الحاليّة .

نشأ في أسرة متديّنة ذات مكانة علميّة واجتماعيّة ، فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، ثم تعلم الفارسيّة وكتب الشعر بها ، ودرس العربيّة على العلامّة شبلي النعماني ، وقرأ الفقه والمنطق على كبار العلماء ، وتتلمذ على يد فيض الحسن السهارنفوري في الأدب العربي ، وأتقن اللغة الإنجليزيّة ، وألمّ بعدد من العلوم الحديثة ، وتلقى محاضرات في الفلسفة الحديثة على يد المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد .

عين عام ١٣١٤هـ مدرساً للعربيّة والفارسيّة في كراتشي ، ثم عين عام ١٣٢٤هـ أستاذاً مساعداً للعربيّة في كلية عليكرة التي تعلّم فيها اللغة العبرانية على يدي اليهودي الألماني جوزن هوردفيتس ، وفي عام ١٣٢٦هـ عيّن أستاذاً للعربيّة بجامعة "الله أباد" ، وفي عام ١٣٣٢عينته حكومة "حيدر أباد" عميداً لكلية دار العلوم ، وظل بها حتّى استقال من منصبه عام ١٣٣٧هـ .

وبعد عودته من "حيدر أباد"تولى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين في "سراي مير" ، ووضع مناهجها ، وحين أسس تلاميذ شبلي النعماني بعد وفاته مؤسسة دار المصنفين اختاروا الفراهي رئيساً لها .

كان رحمه الله زاهداً ورعاً ، عازفاً عن الأضواء ، حسن التعبّد ، مثقفاً ثقافة واسعة عارفاً بأربع لغات هي العربية والفارسيّة والإنجليزية والعبرانية ، ذا عناية خاصة بعلوم القرآن حتى لقبه معاصروه بترجمان القرآن .

توفي رحمه الله وهو يتلو القرآن في ١٣٤٩/٦/١٩هـ إثر عملية جراحيّة ودفن بمدينة "مثورا" تاركاً خلفه ذكراً خالداً ، وعلماً ينتفع به قيّده رحمه الله في مقالات وكتب كثيرة ، وقد طبع منها بالعربيّة اثنا عشر كتاباً هي :

١ - أساليب القرآن ، صدر عن الدائرة الحميدية بالهند عام ١٣٨٩هـ .

٢ - إمعان في أقسام القرآن ، دار القلم بدمشق عام ١٤١٥هـ ، ط ٢ .

٣ - التكميل في أصول التأويل ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٨٨هـ .

٤ - جمهرة البلاغة، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٦٠هـ.

٥ - دلائل النظام ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٨٨هـ .

٦ - ديوانه العربي ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٨٧هـ.

٧ - الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح ، دار القلم بدمشق عام ١٤٢٠هـ ، ط ٣ .

٨ - فاتحة نظام القرآن ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٥٧هـ .

٩ - في ملكوت الله، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٩١هـ.

١٠ - القائد إلى عيون العقائد ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٩٥هـ .

١١ - مفردات القرآن ، الدائرة الحميديّة بالهند عام ١٣٥٨هـ .

١٢ - نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ، صدر منه ثلاثة عشر جزءاً تضم تفسير سورة الفاتحة ، والذاريات ، والتحريم ، والقيامة ، والمرسلات ، وعبس، والشمس ، والتين ، والعصر ، والفيل ، والكوثر ، والكافرون ، واللهب[٤] .

وستكون وقفتنا في هذه الدراسة مع كتابه "جمهرة البلاغة" الذي يمثل رافداً من روافد التفكير البلاغي الحديث.

جمهرة البلاغة:

تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في أنّه رؤية ناقدة للبلاغة العربيّة في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية ، حيث أدت تلك المثاقفة إلى زرع عدد من الرؤى الجمالية التي لا تمثل خصوصيّة البيان العربي ، ولا تقف على كمال بلاغته، وخاصة في كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

كما أن الكتاب "بحث في سياسة الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصيّة البلاغة العربيّة ، وفلسفتها للفن ، وكيف نشأت تلك الفلسفة ؟ وما الذي أدى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار ، من خلال "قراءة شاعريّة" تقف على أدق "قوانين الخطاب الأدبي" في التراث البلاغي والنقدي عند العرب .

والكتاب يقوم على أربعة محاور :

١ - سياسة البلاغة بين العرب والعجم .

٢ - بلاغة الصدق .

٣ - حدود الجنس الأدبي .

٤ - إستراتيجية الإبداع .

في مقدمة كتاب "جمهرة البلاغة" يذهب الفراهي إلى أن «البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو مقوم للإنسان» وهذا معناه أن مزية الإنسان على غيره من الخلائق أنه «حيّ ناطق» فسبحان الله «الذي فضّل بني آدم على سائر الخلائق ، فجعله الحي الناطق»[٦] .

ومعرفة أسرار البيان وفضائله ليست ترفاً فكرياً ، ولكنها عبودية حقّة ، نقف من خلالها ، على عظمة الخالق، وندرك قيمة التكريم ونتحمل مسئولياته ، ونستكمل عناصر الفطرة النقيّة التي فطرنا الله عليها . ومنهج "صناعة المعرفة" بشقيه "التصوري والإجرائي" ينبثق من تصور كوني خاص ، يملي على كل أمة مفاهيم المنهج وحدوده ، وآلياته التي يتوسل بها ، وغايته التي يهدف إلى تحقيقها .

وهذا هو الفرق بين "المنهج العربي" و"المنهج اليوناني" في "سياسة البلاغة" «فإنهم نظروا إليه من نظر دني دنياوي فغالتهم غوائلها ، وأبعدهم عن الحق باطلها ، فتراكمت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض ، ولكي يسطع لك النور البازغ وجهتك إلى الأفق الأعلى ، ثم نصعد بك إلى ربوة المنظر والنقد والتأمل»[٧] .

و"سياسة البلاغة" ومعرفة محاسن الكلام مما يقصر دونه كثير من الناس . إن جميع الأمم قديماً وحديثاً متفقون على وجود الحَسَن والقبيح في الكلام ، ومتفقون «على تحسين ما كان منه في الحسن على غاية الكمال مثل تحسينهم كلام هوميروس في اليونان ، وامرئ القيس في العرب ، وفردوسي في الفرس»[٨] .

هذه السياسة يتساوى فيها كثير من الناس ؛ لأنها

معرفة بسيطة ، تقترب من الحقائق الثابتة كالنور ، والحلاوة ، والراحة بعد التعب[9] ، فهي مما لا ينكره أحد ، لأن القبح والحسن إذا بلغا الغاية صارا معرفة بسيطة مكشوفة لا تحتاج إلى مزيد عناء في البحث عن دقائقها وأسرارها .

وهناك ضرب من السياسة يحتاج إلى مزيد من التأمل وإعمال العقل لتعدد أسباب الحسن ، وتلاؤمها وتناسب مقاديرها «فالشيء إذا اجتمعت فيه أسباب المحاسن أكثر مما هي في دونه وعلى مقدار وسط يرتضيه أكثر النفوس وأواسطها حكموا برجاحته واستقر له حكم الجمهور ، ثم الباقون يضمّون أصواتهم بأصواتهم ولكن مع ذلك منهم من يرجح عليه ما كان أنسب بطبعه بالخصوص، وربما يظهر رأيه إذا لم يُبال بمن لا يوافقه ...»[10] .

هذا الحسن الذي يطرب له أكثر الناس ، ويحكمون برجاحته ، قد يجد نفوساً ذات طباع خاصة ، وأمزجة مختلفة لا يروق لها هذا الحسن ، فتخرج عن هذا الإجماع في الحكم ، لا لعيبٍ في "الموضوع" وإنما "لخصوصيّة في التكوين الجمالي للذات". ولكن الغلبة للإجماع ، وخاصة إذا كان الإجماع مسنوداً برؤى أهل الخبرة من العقلاء والحكماء ، وربما عاد الخارج عن الإجماع إلى دائرة الجماعة ، واتهم ذائقته الجماليّة «ولما أن صوت الجمهور أرفع وأجهر فيبقى الصيت لمن تعصبوا له ، لاسيما إذا كان فيه محاسن يستحبها العقلاء والحكماء فإذا انضم رأيهم برأي الجمهور رسخت في القلوب رجاحة الشيء ، فإن لم يتفق بذوق بعضهم ، فهو يتهم نفسه ويسعى أن يسمع ويرى ما تراه الأمة وسراتها . فإن لم يلتذ به أخفاه في نفسه وألقى كلامه مع كلام الناس . فهكذا وقع لهومروس ، وامرئ القيس ، وأمثالهما فليس كل واحد من الناس يجد في كلامهم ما يهز نفسه . وما استقر لهم هذا الفضل الباهر إلاّ بعد مرور الزمان ، واتفاق كلمة الأمة لهم قرناً بعد قرن ، فما زادت لهم الأيام إلاّ استقراراً وغلبة ، حتى إن سلطانهم يقهر كُلّ من يخالفهم ، وإن كان مَلِكاً مطاعاً»[11] .

وهذا يعني أن "الإجماع" في تقدير "بلاغة القول" لا يكاد يتحقق ، لاختلاف الثقافات ، والخبرات الجماليّة ، فنحن نعجب بهوميروس أو امرئ القيس مثلاً ، لا لأننا نتفق جميعاً مع ما قالوا ، وندرك حسنه ، وإنما نتفق جميعاً بدافع "سلطة الجماهير" القاهرة .

فالقول البليغ له حسن، وقدرة على الغواية والتأثير، ولكنّ "سياسة البلاغة" أمر صعب ، وإدراك سر البراعة، وتمييز طبقات الكلام الناس فيه كإبل مائة لا تجد فيها راحلة «حتى أنك ترى شعراً ونثراً يروق أكثر الناقدين ، وعامة أهل الذوق ، ولكن إذا سألتهم عن وجه الحسن اختلفت كلمتهم ، كما إذا سمعوا صوتاً ، أو شموا طيباً فسألتهم من أي جهة جاءكم هذا اختلفوا في جوابهم»[12].

بلاغة العرب - الإبداع والسياسة :

العرب كما وهبهم الله البلاغة، منحهم القدرة على "سياسة البلاغة". «حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة ، فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم فيقودهم إلى حيث شاء ، ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء ، فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري ذوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة ، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم ، أم كيف يذعن لحكمه أرباب العقل فيهم»[13] .

ولأن العرب «أذكى الأمم وأسرعهم إحساساً ، وأشدهم عاطفة كانوا أولى بالشعر من النثر - نثرهم أبعد من نثر الأمم - أهملوا فيه كل ما يناسب الشعر حتى القافية . وربّ خطبة جاءت منهم نظماً فليس للعجمي أن يفهم نثرهم من غير أن ينظر فيه كأنه نظم مع كلّ ما يختص بنظم العرب خلا الوزن ، وليس له أن يمدحه أو يذمه إلا بعد هذه المراعاة . ثم ليس نظمهم كنظم سائر

الأمم، رب أمة نظمهم كنثر حقيقي كما أن نثر العرب كنظم حقيقي»[١٤] .

والفراهي مع دقة فهمه ، وسعة اطلاعه بلغ به الهوى مبلغه في تفضيل العرب على من سواهم في الذكاء ، وسرعة الإحساس ، وشدة العاطفة . فالقول بتفضيل "عرق" على غيره ، حكم عام تنقصه الموضوعيّة وينفيه الواقع ، فالذكاء ، والأحاسيس غرائز فطر عليها الإنسان ، فهي تولد مع الإنسان أيّاً كان جنسه ، وإننا لنقرأ من شعر الأمم الأخرى ونثرهم فنجد إبداعاً خالداً ، وفنّاً رفيعاً ، أصحابه أندر من الكبريت الأحمر وليس طاغور وتولوستوي، والشيرازي وجوته ، وشكسبير، ودي موباسان، وماركيز وسنقور منّا ببعيد .

لا شك أن العرب بلغوا درجة من الإبداع تصل إلى مستوى "الكتلة الحرجة "فتحقّق لهم من المجد الأدبي ما لم يتحقّق إلا لقلّة من الأمم ، لكن هذا لا يُفسر تفسيراً خوارقياً ، يجعل من العرب عرقاً مميّزاً عن سواه من الأعراق .

وأوّل سجايا العرب في البلاغة "الارتجال "حيث «كانوا يلقون من غير روية خطباً بليغة طوالاً ، وينشدون القصائد الغرر ارتجالاً ..» [١٥] وهم في هذا ليسوا أجدر من سواهم من الأمم الأخرى ، فالتعبير عن الأحاسيس أمرٌ يحسنه كثير من الناس ، لكن العرب سريعو الاستجابة لهواجس النفس ، وجيشان الصدور «حتى كأنهم لم يملكوا أن يردّوا شقشقة لسانهم ، وجيش صدورهم فتراهم أولى باسم الحي الناطق من سواهم» [١٦] .

ومناط الحسن في كلامهم «صحة التأثر ، ووضاحة التصوير ، وإصابة التعبير» [١٧] فكل بيان خلا من هذه "القيم الجماليّة" لا قيمة له ، وإن حاول المبدع أن يبرزه في بنية لغوية حافلة بكل بديع ؛ لأن محاسن البيان فرع عن حسن البيان في ذاته ، والمحاسن لا يمكن أن تجمّل الكلام القبيح «وأما حسن التشبيه والاستعارة فلا يغني شيئاً إن لم يوجد فيه واحدٌ من هذه الثلاث ، ومن صحة التأثر السكوت فإن من أخطأ تأثره لم ينفع كلامه وإن زخرفه بكل بديع . فمحاسن الكلام فرع على حسن الكلام في نفس وجوده ، والكلام لا يجرّد عن موقعه، وأما الكلام الذي لا يعلم موقعه فإن كان كلاماً صحيحاً دلّنا على موقعه كما أنك تقيس من اللباس طول اللابس وضخامته» [١٨] .

أما "سياسة البلاغة" عند العرب فتظهر في نقدهم للكلام واختيارهم لنماذج منه ، بلغت من الجمال مبلغاً كقول الأعشى في هجائه لعلقمة بن علاثة :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونُكم
وجاراتُكم غرثى يبتن خمائصا[١٩]

«وقع الاتفاق على أنه أهجى بيت في الجاهليّة ، ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال : اللهم اخزه واجزه عني إن كان كاذباً» [٢٠] .

وكقول لبيد :

وجلا السُيولُ عن الطلولِ كأنها
زبر تُجِدُّ متونَها أقلامُها[٢١]

«سمع الفرزدق هذا البيت فسجد فقيل : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر . قال الفراهي : كانت العرب تسجد لله تعالى إذا رأت آية تدلّ على حكمته وقدرته ..»[٢٢] .

العجم وسياسة البلاغة :

يعدّ أرسطو مصدراً مهماً من مصادر التفكير النقدي ، فقد تأثر العرب بفلسفته ، وظهر ذلك جلياً في بعض قضايا الفكر النقدي والبلاغي عند العرب[٢٣] التي صرفتها عن مسارها الصحيح مثاقفتها مع فلسفة أرسطو التي لها خصوصيتها ونسقها الثقافي المختلف .

وأوّل انحراف في التصوّر عند أرسطو أنه جعل المحاكاة طبعاً للإنسان والمحاكاة ليست من طبعه ، وإنما

الذي فطرته عليـه أنه "مـخلوق ناطق"، وأن «النطق هو الفصل المقوّم له»[٢٤]؛ لأن الإنسان إنما يحاكي الإنسان، ولو كان من طبعه المحاكاة لحاكى كلّ من مرّ عليه، أمّا محاكاته لوالديه فمثله كمثل سائر الحيوانات، فالطفل له خصال الإنسان بالقوة، فإذا رأى فعلاً انبعثت القوة فيه فخرجت، كرؤية الضحك التي تُضحِك. فالنطق مودع في فطرته، والقـوة تلتـمس السـبيل للعمل وتلهم طريقـة استعمالها، فالرضيع يمصّ إصبعه، ويحاكي الصوت ليعبر عما في داخله، فهو المعلم للسّان، وليس المحاكي، وهو المبدع الذي يخترع الاسماء فيقول للماء مثلاً: مم، أو بب، فالقوة تلهمه طريقة التعبير، فالمحاكاة لها منتهى وأصل ثابت[٢٥]. ولهذا فوصف الإنسان بأنه ناطق، وليس محاكياً أصح[٢٦]؛ لأن النطق نتيجة وعي وتفكير وإبداع، أما المحاكاة فكأنها تحيل الإنسان إلى آلة تُثار فتستجيب.

والنطق الذي خصّ الله الإنسـان به، وأودعـه في فطرته ليس هو نطق الحروف من جهة نغمتها، فالبلبل له نغم، والحـيـوانات لهـا أصـوات، وإنما المراد بالنطق: الإفصـاح عن مراد العقل «فاعلم أن النطق زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية: فليس لأحد من الحيوان فطانة كفطانة الإنسان، ولا لسان كلسانه فمن كان أكملهم علماً وجسماً كان أشرفـهم. ولا يخفى عليك أن اللسان طوع الفـهم بعدما سوّيت خلقته فهو آلة يقلّبها العقل. وهذا الأمر يهديك إلى أن حسن النطق ليس في الحقيقة من جهة نغمته كنغمة البلبل بل حسنه في كونه آلة صحيحة للعقل لكيلا يقصر أدنى الإقصار عن إفصاح ما أراده العقل وعن إبلاغه إلى قلب السامع، فالنطق هو الرسول بين العقل والعقل»[٢٧].

فالنطق في مفاهيم البلاغة ليس حسن الصوت وعذوبته، لأن حسن الصوت موجود عند العصفور، وفي أوتار الآلة الموسيقية، وإنما هو القدرة على الإفصاح والإبانة عن المعاني العقلية والمشاعر النفسيّة. ولهذا فالنطق أساس المحاكاة؛ لأن المحاكاة لا تكون إلا بالنطق المفصح عن المراد فهي «أمر ثانوي تكتسب به وسائل النطق فلو لم يكن النطق في الإنسـان لما اسـتطاع المحاكاة»[٢٨].

وحين يعرض لأسباب الكلام من جهة الفلسفة يجعلها أربعة:

١ – قوة النطق = العلة الفاعلية.

٢ – المعاني والألفاظ = المادة.

٣ – رسالة العقل = العلة الغائية.

٤ – حسن الكلام = العلة الصورية.

فالنطق = العلة الفاعلية يلبس المعاني الألفاظ التي ابتدعها المبدع أو تعلمها بالمحاكاة وذلك لإيصال رسالة العقل المبدع إلى العقل المتلقي لا لإحداث اللّذة؛ لأن الجاهل هو الذي يستعمل القوة للّذة. أما العقل الحصيف فهو الذي يوظفها للحكمة، فالحكمة أحقّ باسم الغاية؛ لأن غاية البيان أسمى من ذلك، وأن تحققت من خلال اللّذة، وهنا يتحقق حسن الكلام وكماله بالقدرة على الإبلاغ. فكل كلام إنما يتحقق له الحسن بالقدرة على الإبلاغ هو معيار حسن الكلام[٢٩].

والبلاغ لا يكون حسناً وكاملاً إلا إذا كانت المعاني والصور التي يبلغها حسنة، ولقبلها العقل السليم، ويستحسنها الذوق الرفيع، أمّا إذا كانت المعاني والصور قبيحة فلا يكون البلاغ حسناً، ولو أحسن المبدع بناءه اللُّغوي وطريقة عرضه، ولهذا ينتقد الفراهي مقولة قدامة ابن جعفر التي يذهب فيها إلى أن «فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودته كما أن رداءة الخشب لا تعيب جودة النجار؛ لأن الشاعر لا يراد منه الصدق، وإنما يطلب منه الجودة والإبداع»[٣٠].

فقدامة «لم يرد من الشعر إلا شيئاً نازلاً ، وصناعة دنيّة ، كما هو وجد أكثر المنتسبين إليه ، وإليهم الإشارة في قوله تعالى : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (الشعراء : ٢٢٤) ونحن نلتمس محاسن الكلام كما يليق به ، وكما وضعته الفطرة الإلهيّة ، ويقتضيه كمال قوة النطق ، ويستعمله الشاعر أو الخطيب الجدير بهذا الاسم»[٣١] .

لقد كان قدامة «ممن يشار إليه في علم المنطق»[٣٢] وكتابه نقد الشعر يمثل أوّل محاولة في النقد العربي لتطبيق المنطق الأرسطي على الشعر العربي . ومنطق أرسطو له سياقه الثقافي الذي أنتجه . ونظرية الشعر الأرسطية إحدى خصوصيات ذلك السياق وهذا ما أدركه الفراهي حيث قال عن أرسطو وموقفه من الشعر : «وهو أول كاتب يوجد رأيه في هذا الفن فبدأ كتابه عن الشعر بقول كاد يهديه إلى الصواب حيث قال : إن أصناف الشعر والنغم جنسه الأعلى محاكاة ، فإن الإنسان إما من الفطرة أو من التعلّم يحاكي أشياء مختلفة بوسيلة اللون والشكل أو بالصوت ، فلو قال : إن الشعر بل كل كلام ونغم جنسه الأعلى "تصوير" لكان أقرب إذ ليس بين "المحاكاة" و"التصوير" إلا فرق يسير ولكنه أبعده عن الصواب خطؤه في غاية الشعر ومادته ومبدئه ، وكان مثار خطائه كلام قومه واستعمالهم إياه ، ولو بحث عن أمر الشعر على طريق الفلسفة ، ونظر فيه من جهة العلل التي ألح على البحث عنها في ما بعد الطبيعة ، وردّ فيه على الحكماء الأقدمين لم يخف عليه الصواب بعد الاقتراب ، ولم تلتبس عليه غاية الشعر فمرة يزعم أنها الأثر والإطراب ، وحيناً يزعم أنها القصة ؛ لأن العمل غاية كل شيء إلا الصفة وهذا مع الخبط مغلطة أخرى ، فإن العمل لا وزن له من دون الصفة ، ولكن هذا أمر يخرجنا من فن البلاغة إلى علم الأخلاق»[٣٣] .

الخطأ الذي وقع فيه أرسطو أنه جعل الشعر محاكاة ولم يجعله تصويراً ، والمحاكاة والتصوير مختلفان. والفراهي لم يبيّن لنا درجة الاختلاف بينهما ، ولعلّ المحاكاة - كما فهمها الفراهي - تدلّ على عدم الدقة في إدراك خصوصيّة الشعر ، فالشاعر يصوّر الأشياء ولا يحاكيها ، لأن المحاكاة تقليد ، والتصوير كشف لجوهر الأشياء ، ونظر خاص إليها ، لكن أرسطو لم يكن يريد بالمحاكاة ما نظن أن الفراهي ذهب إليه ، فالمحاكاة عند أرسطو لا تعني التقليد كما هي عند أستاذه أفلاطون ، وإنما تعني كشف جوهر الطبيعة الإنسانية . ولذلك فضل أرسطو الشعر على التاريخ ؛ لأن التاريخ يصور ما هو واقع ، أما الشعر فإنه يصور ما يقع ، وما يمكن أن يقع[٣٤] .

ويذهب الفراهي إلى أن كتاب "فن الشعر" لأرسطو كان بداية فلسفته ، وكان يمكن الصفح عند زلته تلك ؛ لإحسان الظن به ، ولكن هذا الرأي ذهب إليه في كتابه تغلغل في عقول الناس ، وأفسد أفكارهم[٣٥] .

والذي جرّ أرسطو إلى هذا الاعتقاد تراثه الثقافي فقد «نظر في كلام قومه فبنى فن نقد الشعر حسب ما وجد في أحسن كلامهم ، ولما كان جُلّ أشعار يونان قصصاً وحكايات مكذوبة مثل نظم هومروس وسوفاكليس وغيرهما فأمعن فيهما لاستنباط أصول النقد ومناط المحاسن ، وهذا هو الطريق فإن المحاسن توجد أولاً ثم أهل النظر يستخرجون منها الأصول ، كما أن أصول الطبيعيات تستخرج عن آثارها ، ولكن قلمّا يسلم المرء من الخطأ في استنباط أصول الآثار ، فإن الشيء المؤثر يستجمع عدة صفات ، فالمستنبط ربما يتوهم صفةً غالبةً على سائرها مناط الأثر الذي يطلب أصله ..»[٣٦] .

لقد توهم أرسطو أن الشعر محاكاة ، لما استقرأ الشعر اليوناني ووجده حكايات خارقة لبطولات الشعب اليوناني كما في الإلياذة والأوديسا لهوميروس ، وقصصاً خرافية كما في الأساطير اليونانية وهي حكايات وقصص

كاذبة لا تطابق الواقع ، ولما رأى أن كذبها يزيدها حسناً «غلب على ظنه أن حسن الكلام في كونه حكاية . ثم التمس المثال فوجد أن التصوير يستحسن وإن كان يحكي شيئاً قبيحاً . ثم أحكم هذا الرأي بالتماس علاقة بين الاستحسان والحكاية فاعتصم بأمرين :

الأول : أن الإنسان حاكية بالطبع أكثر من سائر الحيوانات فهذه الصفة أنسب بطبعه وأحبّها إليه . والثاني أن العلم مرغوب بالطبع وحكاية الشيء تخبر عن المحكي عنه فلذلك هي محبوبة فإذا رسخ هذا الرأي عنده استقام عليه وتعصب له وردّ على كل امرئ رأى خلافه مثلاً استحسن جواب سوفاكليس حين أخذوا عليه أنك وصفت الناس خلاف صفتهم فقال : إني وصفتهم كما ينبغي ويورابيدس وصفهم كما هم عليه»[٣٧] .

وكما فرضت طريقة التصوّر الشعري على أرسطو هذه الرؤية ، عززت غاية الشعر عند اليونان نظريته في المحاكاة «ثم لمّا كان جلّ أشعارهم للتلذذ والتلهي في محافل المسامرة ، ونادي اللهو بحكايات مضحكة أو مبكية لم يجد لمحاسن الأشعار غاية إلا الإطراب فقال : إن يكن الصدق لا يطرب فينبغي للشاعر أن يزيد أو ينقص . ولم يكن في هذا الرأي بدعاً في قومه فإنه ظن كما ظنوا فإن اسم الشاعر عندهم المختلق الذي يصنع الحكايات والقصص لإطراب السامعين»[٣٨] .

هذا الموقف الأرسطي من الشعر أصبح أحد روافد النظرية النقدية عند العرب ، وهو رافد انحرف بسياسة البلاغة من سياسة عربيّة إلى سياسة أعجمية بدأت بوادرها مع قدامة بن جعفر ، واتسعت وترسخت - بحسب رأي الفراهي - مع عبد القاهر الجرجاني «القدوة للذين جاءوا من بعده فاتبعوا خطواته ، فكان سبيله سداً بينهم وبين العرب ، فلو التزموا كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مهدها المبعدون لكان خيراً لهم ، وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق ، وإن لم يكونوا من طريق الصناعة»[٣٩] .

وخطأ عبد القاهر ومن جاء بعده في نظر الفراهي ، أنهم نقلوا معرفة ناجزة ، وسياسة بلاغة فرضتها مرجعيّة ثقافية مغايرة . وسياسة البلاغة يجب أن تكون مؤسسة على خصوصيّة ثقافية ، واستقراء للإبداع ، واستخراجاً لمقاييس الجمال ، التي ستغدو نموذجاً جمالياً للإبداع بعد ذلك ، ومحكّاً لمعرفة الجيد من الرديء ، والذاتي من المستنسخ . لقد عني علماء الإسلام بسياسة البلاغة «لأجل الكشف عن إعجاز القرآن ، فلو أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه ، وقيّدوها بالحدود ، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام ، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته ، ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم ، فإنهم أثرت فيهم علوم العجم ، كما خالطتهم سجاياهم إلا الأولين منهم كالجاحظ ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز ، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخُلّص ، فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة ، واعترف بفضلهم على المولدين ..»[٤٠] .

هناك بلاغتان "بلاغة كذب" "وبلاغة صدق" وهناك سياستان للبلاغة "سياسة أعجميّة" تمجد القول الكاذب ، وتبحث فيه عن مواطن الحسن ولو كان قبيحاً في ذاته ، و "سياسة عربيّة" تجعل مدار الجودة على الإصابة في القول والحسن في الذات .

أما البلاغة الكاذبة أو "بلاغة الكذب" فهي بلاغة شعراء اليونان ، وبلاغة "المولدين البلديين المتكلفين" الأولى قبيحة في ذاتها ، والأخرى قبيحة في تقليدها الفجّ حين يُستكره فيها القول ، وتعتسف اللغة بلا وعي .

أما "بلاغة الصدق" فهي بلاغة العرب الأقحاح

الذين ينطقون بالحق ، ويمجدون الفضيلة ، ويرتقون بوعي الإنسان وغاية الفن .

وقد أدرك الجاحظ هاتين البلاغتين ففرق بينهما عندما قال : «لم أجد في خطب السلف الطيّب ، والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة ، ولا معاني مدخولة ، ولا طبعاً ردياً ، ولا قولاً مستكرهاً ، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ، ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نتاج التخيّر والتفكر»(٤١) .

العرب الأقحاح والسلف الطيّب كانت ألفاظهم مقبولة لتنزهها عن الدلالات المستكرهة ، ومعانيهم نقيّة لا يداخلها زيف ولا كذب ، وطباعهم عربيّة ، تنبو عن الخنا والرذائل ، وأساليبهم تنم عن رؤية صافية ، وإبداع خلاق ، وهؤلاء هم الذين أعارهم الله من معرفته نصيباً كما يقول أبو عثمان : «ومن أعاره الله من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذنوباً ، حنّت إليه المعاني ، وسلس له نظام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم» فجعل مدار البلاغة نور العلم ، وطهارة القلب ، وهل ينشأ الكلام من غيرهما ، أو يُهتدى للقول الصائب بدونهما» (٤٢) .

منهج العرب الأقحاح كان "نقاء في اللغة" و "طهارة في القلب" وأصبح منهج المولدين "لفظاً مستكرهاً" و "طبعاً رديئاً" و "معنى مدخولاً" فلما ترك المولدون منهج العرب «صار أهم شيء عندهم البديع ، ومطمح نظرهم التشبيه وعند العرب أولهما مُنكر والثاني غير مهم لذاته» (٤٣) .

وما أشار إليه الفراهي فيه شيء من الصواب ، فقد كانت اللغة الشعرية التي تقوم على استثمار طاقات المحسنات البديعيّة عند الشعراء المحدثين في العصر العباسي أساس المعركة النقديّة بين الشعراء وعدد من النقاد العرب الذين رأوا في هذه اللغة خروجاً على مذهب العرب في البيان .

إن البديع قيمة جوهرية في لغة الشعر ، ولكن النقاد كانوا يرون أن مسلم بن الوليد وأحزابه من الشعراء قد أفرطوا في تقدير هذه القيمة حتى أصبحت شغلهم الشاغل ، فالشعراء قبلهم كانوا يعنون بها ، ويستثمرون طاقتها الفنية ، ولكنهم لم يولعوا بها ، ويفرطوا في استخدامها كما فعل هؤلاء الشعراء .

أما التشبيه فكان جوهر كلام العرب ، «وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف ، وكلما كان إلى المعنى أسبق كان بالحذق أليق»(٤٤) وما كان التشبيه كذلك ، إلا لأنه من أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى كما يذكر ابن رشيق(٤٥) .

لكن الفراهي لما وجد عبد القاهر يذكر أن محاسن القول متفرعة عن التشبيه ظن أن هذا مسلك بلاغة الأعاجم التي أسس لها عبد القاهر .

"التبعية الثقافية" ، كما رآها الفراهي يمكن اختصارها في "نظرية المحاكاة" التي فسّر بها أرسطو الفنون الجميلة . وهي نظرية قوامها الكذب ، فالشاعر تكمن عبقريته في اختلاقه الأكاذيب ، وعلى هذا قال أصحاب التبعيّة: «أعذب الشعر أكذبه» (٤٦)، ولأن التشبيه والتمثيل شبيهان بالقصة والحكاية عمود البلاغة عند أرسطو صارت جلُّ محاسن القول متفرعة عن التشبيه «ولما رأوا أن أرسطو أسس الأمر على مهارة الاختلاق سبق إلى ظن بعضهم أن أحسن الشعر أكذبه . وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة والحكاية إلا التشبيه ظنوا أن الغلو في التشبيه من المحاسن . وكما أن المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة . ثم إنهم وافقوه في عين هذا الرأي فإنه قال في عدّ محاسن الكلام:

«إن أعلى كمال البليغ أن يكون حاذقاً في استعمال التشبيه» وقال صاحب أسرار البلاغة «كان جل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها (أنواع التشبيه) وراجعة إليها»[٤٧] .

ونتيجة لهذه "السياسة المستنسخة" كما يرى الفراهي عمد بعض أدباء العربيّة وهم من يصفهم "بالمتكلفين من المولدين" إلى الإكثار من التشبيه ، والمبالغة فيه «فغاب عنهم ما كان للعرب من سحر الكلام وإعجازه»[٤٨] .

لقد أبعدهم الاستغراق في التشبيه عن "الصدق" الذي هو جوهر البلاغة العربيّة عند الفراهي ، وازدادوا بعداً عندما أولعوا بالتشبيه الذي حذف أحد طرفيه "الاستعارة" ؛ لأن التشبيه وإن كان يبعدهم عن الصدق ، فإنه يظل محافظاً على حدود الأشياء ، أما الاستعارة فإن الطرفين فيها يندمجان اندماجاً كاملاً ، وهذا أبلغ في الكذب ومجافاة الصدق «فإنك مثلاً إذا قلت زيدٌ كالأسد ، فإنما شبهته بالأسد ، ولكن إذا قلت رأيت أسداً فكأنك جعلته عين الأسد ، فغلب على ظنهم أن الحسن أميل إلى الكذب وستعلم أن العرب لهم أصولٌ أخرى لمحاسن الكلام»[٤٩] .

التشبيه أمر «علته التكلف ، واسمه الاختلاق ، وناصره الكذب ، وغرضه التلهي» ومحاسن الكلام أساسها "الصدق" لاسيما في بلاغة العرب ؛ لأنها بلاغة قامت أسسها على تصور ديني ، وارتبطت بأظهر معجزات المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، القرآن الكريم ، فالعاقل لا يرضى أن يبحث عن الجمال في الكذب «لاسيما إن كان ممن يعلم أن البلاغة من أهم كمالات المرسلين ، ولاسيما إن كان من الذين يؤمنون بأنها من المعجزات أعلاها وأدناها وأبقاها»[٥٠] .

إن البلاغة كامنة في إبلاغ المعاني الحسنة ، وليست في المحاكاة ، وإن غاية البلاغة أن تكون "سفيراً صادقاً للعقل" لا أن تكون إطراباً للسامع ، وتحذيراً له[٥١] .

إن المبدع يتوسل بطاقات اللغة ، وخصائص الجنس الأدبي إلى تحقيق غاية نبيلة ، هي إيصال المعاني الجميلة، والقيم الرفيعة إلى ذهن المتلقي ، ولهذا فالاشتغال بمحاسن القول عن حسنه صرفُ للكلام إلى غير جهته فوزن الشعر وإيقاعه الجميل مثلاً ليسا أصل البلاغة فيه ، وإنما أصل البلاغة فيه "شرف المعنى"[٥٢] ، لأن آليات الإبداع وسائل لبلوغ الغاية الكبرى "الإبلاغ" على طريقة العرب الأقحاح وعلى هذا كان العرب يحمدون الكلام لحسن معناه كما قال زهير :

وذي نعمة تممتُها وشكرتها
وخصمٍ يكاد يغلب الحقَّ باطلُه
دفعتُ بمعروفٍ من القول صائبٍ
إذا ما أضلَّ الناطقين مفاصِلُه
وذي خطل في القول يحسَب أنه
مصيب فما يُلمِمْ به فهو قائله
عبأت له حلماً ، وأكرمت غيره
وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله[٥٣]

فانظر كيف جعل معروف القول صائبه ، وبيّن أن حسن القوافي ربما يضل الناس ، ولكن بإزاء المعروف يضمحل رونقه ، فإذا جاء الحق زهق الباطل ، ثم كيف استحقر من يقول كلّ ما يجري على لسانه ولم يرد أنهما لم يبلغا معناهما ، ولكنه عدّه غير صائب نكر ذا خطل يرده القلب ، فهل تظن أنهم يسمون أمثاله بليغاً . أم تظن إن رأيت صخاباً يشتم أحداً ذاهباً في كل مذهب من الاستعارة والتشبيه ومصوراً لكل أمر قبيح فهل تسميه بليغاً أو فصيحاً . فهذا يبين لك أن حسن الكلام تابع لحسن المعنى ، فلا نسمي الكلام حسناً إلا بعد أن حسن معناه ، ولا نترك للكلام فضيلة إلا صحة الأداء ، فإذا أدى

الكلام من قلب المتكلم أدى حقّه ، ولكنه مع ذلك غير بليغ إن لم يكن المعنى مما يبلغ القلب . وكثر في كلام العرب ذم الفحش والخنا والهجر والبذاءة حتى إذا خلط شعرهم بهذه المساوي صار ساقطاً ألا ترى كيف أمر الحجر بقتل ابنه امرئ القيس لقول الشعر ، وسماه الناس ضليلاً ، وكيف ذموا النابغة لمدحه الملوك ، والعرب تحب مدح الشاكر وذم الساخط ، وتأنف عن مدح المتذلل» (٥٤) .

"سياسة البلاغة" عند الفراهي ، بحث دقيق في جماليات المعاني ، التي لا تتحقق جمالياتها إلاّ في ذاتها أوّلاً. فالأديب صانع أفكار ، قبل أن يكون مبدع أشكال . وقيمة الأدب لا تكمن في طريقة تشكيله ، وإنما تكمن في معانيه وأفكاره أولاً ، ثم في فنيات النسج والبناء ثانياً ، فالرؤية مقدّمة على طريقة عرضها ، ما لم تكن الرؤية صادقة، متمثلة لقيم الحق والخير والجمال كما تمثلت في القرآن والسنة وكلام العرب الأقحاح ، مؤثرة في عقل المتلقي ووجدانه فلا ميزان لها في "سياسة" الفراهي وهذه هي البلاغة ، فما سمي الكلام بليغاً إلا «لكونه يبلغ القلب حيث قال [تعالى] : ﴿ **وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ ، وحيث قال : ﴿ **ولله الحجة البالغة** ﴾ فاتضح أن أبلغ الكلام أبلغه في القلوب وأهداه إلى العقل» (٥٥) .

وهذه هي البلاغة التي تحيي القلوب كما قال عبيد الأبرص:

القائـل القـول الـذي مثلُـه
يَمْـرَعُ مـنه البلـدُ الماحـلُ(٥٦)

والصدق الذي يشترطه "الفراهي" للبلاغة ، هو الصدق الذي يشترطه النقاد والبلاغيون العرب ، ولا يعني الصدق هنا أن يفقد الفن سحره ، ومسلكه في التعبير عن حقائق الوجود وأحوال النفس الإنسانية ، فالنقل الفوتوغرافي ، ومطابقة الفن للواقع يفقده قدرته على التاثير والإمتاع ، ولهذا يستحسن الفراهي الكذب الذي يرد في الشعر "لصحة التمثيل" وذلك من خلال التقديم الحسي للمعاني المجرّدة ، فالتقديم الحسي يخاطب النفس بما تحب، كما نجد ذلك في التشبيه والتمثيل والكناية ، وحكايات العجماوات والاستعارات التي تتجافى المبالغة ، وتتجاوز الحد وهو إحساس النفس ، فإذا كانت هذه الوسائل في كذبها غير متجاوزة لأحاسيس النفس فهي صادقة ، وهذا هو الفرق بين "الإحساس والافتراء" الذي جهله كثيرٌ من الناس فظنّ الكذب أساساً من أسس الشعر الجيد ، والشعر لا يبنى إلا على الصدق(٥٧) ، والبلاغة لا يطلق عليها بلاغة إلا «لكونها يمين العقل ، وعنصر الإنسانية ، وترجمان الصدق وإكليل العز»(٥٨) .

فبلاغة العجم هي التي أفسدت "منهج التذوق" بالقواعد المستنبطة التي لا يمكن أن تقف على حقيقة الحسن، لأنها تنطلق من تصور مغاير لطبيعة البيان العربي الشريف ، فكان فساد الإجراء نتيجة لفساد التصور ، وفساد الإجراء يتأكد في ثلاثة أمور :

١ - تحكيم المنطق والنحو في الكلام حيث جعلوا الحسن في الدلالة الالتزامية وأجزاء القول من مسند ومسند إليه ووصل وفصل وهذه أمور تحجب الحسن ولا تدل عليه.

٢ - نسبة الحسن إلى غير مصدره مما صرف الناس عن إدراك موطن الحسن في الكلام .

٣ - الاقتصار على شكل الكلام وبنائه ، مع أن أصل الحسن في "المعنى" ممّا أدى إلى إدراكٍ دونيّ للبلاغة وتغافل عن الحسن في أعالي القول(٥٩) .

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الفراهي تنقصه الدّقة ، فبلاغة المعنى وحسنه في ذاته ، أمر لا ينكره أحد، إذ لا بدّ أن يكون المعنى مقبولاً ، ومتوافقاً مع قيم الدين ، وما ذهب إليه بعض النقاد القدماء من أن الصدق يراد من الأنبياء والشعراء يراد منهم البلاغة في القول ، أو أن فحاشة

المعنى لا تذهب بلاغته ، أو أن البلاغة هي تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق[٦٠] .

لا يشكل الرأي الأكثر حضوراً في التراث النقدي . ولهذا نجد على سبيل المثال لا الحصر عبد القاهر الجرجاني الذي يجعله الفراهي أساس فساد البلاغة العربيّة لا يورد بيتاً واحداً في كتابيه لشاعر كأبي العلاء المعريّ ، ولا أرى ذلك إلاّ ازدراءً لمعانيه وأفكاره .

أما القول بأن تحكيم النحو في البلاغة ، والبحث عن أسرار البلاغة وراءه اشتغال بغير المقصود ، ونسبة للحسن إلى غير مصدره ، فهذا أمرٌ غير صحيح ؛ لأن براعة الأديب لا تكمن في صدق معانيه، لأن صدق المعنى موجود لدى المؤرخ ، والفيلسوف ، وعالم الدين ، والاجتماع والنفس ، وإنما البراعة في طريقة تشكيل المعنى الصادق ، وإلباسه حلّة الفن وبلاغة البيان ، ولهذا يروى عن عبد الملك ابن مروان أنه لما أنشده الراعي قصيدته التي يقول فيها :

أخليفة الرحمن إنا معشرٌ
حنفاءُ نسجد بكرة وأصيلا
عَرَبٌ نرى لله في أموالنا
حقَّ الزكاة منزلاً تنزيلا

قال له عبد الملك : «ليس هذا شعراً ، هذا شرح إسلام ، وقراءة آية»[٦١] .

إنّ الأدب لغة ، وفهم الأدب لا يتّم إلا من خلال كشف طاقات النّص اللغويّة ، وسبر علاقات البناء اللغوي ، وهو ما تعوّل عليه اللسانيات الحديثة كما عولّت عليه البلاغة العربيّة قديماً .

حدود الجنس الأدبي :

الشعر والخطابة :

اجتهد الفراهي في إقامة حدود فاصلة بين جنسي الأدب العربي الشعر والخطابة ، وترامى به الحديث إلى التفريق بين الشعر والنثر البليغ انطلاقاً من وعي دقيق بخصائص كل جنس . فإذا كان أرسطو يفرّق بين الشعر والخطابة من طريق المحاكاة ، فيحصر الشعر في محاكاة أفعال الناس الحسنة «المأساة» والقبيحة «الملهاة» والخطابة في البرهان فإن الفراهي يفرق بينهما من طريق آخر، فهما شريكان في البلاغة ، ولكن مع ذلك بينهما فرق عظيم يتجاوز حدود الشكل الخارجي «الوزن والقافية» إلى البحث في سيكلوجيّة الشاعر والخطيب ، واستقراء دلالتي التسمية عند العرب فالشاعر يشعر بما لا يشعر به غيره ؛ لأن إحساسه النفسي قاهر عليه، فنفسه سريعة الاستجابة للمستحثات من حزن وفرح ، وسخط ورضا ، وهذا لا يعني أنه يفرح أكثر مما يفرح الآخرون أو يحزن فوق ما يحزنون وإنما المراد «أن شعره يعمل فيه فينبه متخيّله ونطقه وغناءه فتيقظ [هكذا] فيه هذه القوى ، وأما غيره فشعوره جامد خامد فكأن الشاعر نبات حيٌّ إذا سقيت أصله ذهب الماء في كل عرق منه فاهتزّ فكذلك الشاعر يدب الإحساس في جميع مشاعره فيفيض منه الكلام كما قال عبد الله بن عمرو بن عثمان حين قيل له كيف تقول الشعر مع النسك والفقه ، فقال : إن المصدور لا يملك أن ينفث ، وقيل لصُحار العبدي ما هذا الكلام الذي يظهر منك قال : شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا»[٦٢] .

فالشاعر إنسان لا يملك التحكم في مشاعره فهي تتدفق عند حصول الباعث ، ولهذا لا يستطيع الشاعر أن يقول الشعر متى شاء ، يُروى عن الفرزدق أنه قال : «قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت علي الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر»[٦٣].

أما الخطيب فإن له شعور الشاعر ، ولكنه شعور منظم ، خاضع لرقابة الوعي، وعلى هذا فإن الخطيب أكثر إبداعاً من الشاعر عند الفراهي ، لأنه اجتمع له شعور الشاعر ، وعقل الخطيب «فالخطيب أرفع منزلة لغرضه الأعلى، وأقوى عقلاً ، وأشد قوة ، وأذكى نفساً»[٦٤] .

ولا يكون الشعر أسمى من النثر إلاّ حين ينبثق من منبع «الروح» «ثم من الشعر ما ينبعث من منبع الروح ، فإن الروح أشبه بالنفس في الاشتعال ، وهذا الشعر أرفع من الخطبة ، فإن طهارة الفطرة ، وعلو الغرض ، بل علواً من الغرض يرفعه على آثار العقل ، ولكن هذا الشعر لا يحتاج إلى الوزن ، ولكنه إن زوج بالوزن والنغمة علق بالروح وأذابه فسال معه»[٦٥] .

والتفريق بين «النفس والروح» عند الفراهي يقوم على رؤية مغايرة للمألوف ، ذهب إليها بعض الفلاسفة ، حيث جعلوا النفس بعض الروح[٦٦] . فالروح أعمّ ، لأنها تكون بمعنى «القوة المفكرة» ، فكأن الروح تجمع هيجان النفس وضبط العقل ، والشعر إذا اجتمع فيه هذان الأمران كان الغاية في الإبداع عند الفراهي .

وهذه المنزلة التي يتبوؤها الخطيب تحتاج إلى متلق من نوع خاص «ولذلك من نظر في كلام الخطيب ، وهيجان قلبه ، ولم يؤمن بعلو غرضه ، وطهارة نفسه ، وصحة رأيه، لم يفرقه من الشاعر ، بل لتصويره البعيد المنتظر الذي لا يراه غيره يظنه مجنوناً»[٦٧] .

لقد أدرك العرب هذا التمايز بين «القصيدة» و«الخطبة» فوصفوا الشعر بالسحر ، والخطبة بالحكمة والبيان ، لخروج الخطبة من «العقل الصافي» والقصيدة من «النفس النقيّة» .

وربما تداخل الجنسان فكان للخطبة وزن الشعر وخياله المحلّق، وللقصيدة حكمة الخطبة وللخطيب الإحساس القاهر للشاعر ، وللشاعر قدرة الخطيب في ضبط المشاعر وتنظيم الانفعالات وهنا يكون العجب والدهشة ، كما تعجب العرب من حكمة الشعر وسحر البيان فقالوا : «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً»[٦٨] .

وكثير من النّاس يزلّون في التفريق بين الشعر والنثر ، فيعتقدون أن الشعر صورة «كلام ذو مجاز وتشبيه»[٦٩] ، فيشتبه عليهم بعض النثر بالشعر كوعظ عيسى عليه السلام المليء بالتشبيهات والأمثال ، والفرق لا يقع بينهما من هذه الجهة فقد يمتزجان . ولهذا حين نتأمل بعض الرؤى في التراث النقدي توائم بين الشعر والخطابة حتى إنه يقال للقصيدة : خطب ، وربما قال بعضهم مصرّحاً :

وما الشعر إلا خطبة من مؤلفٍ

يجيء بحق أو يجيء بباطل[٧٠]

وإنما المعوّل في ذلك على سيكلوجية المبدع فالشاعر «أغنَ طبعاً وأرق فطرة»[٧١] ، ولهذا حين يتأثر بأمر ينعكس التأثر في «الوزن والنغمة والرقص»[٧٢] ؛ لأنها فيه فطرة راسخة ، وهذا ما خفي على أرسطو الفيلسوف الذي لا يعرف كنه الشعر ، فزعم أنه «محاكاة» عندما رأى المغنين والرقاصة يبرزون بالغناء والرقص أحوال النفس ، وأفعال الناس ، وهي ليست كذلك فهي «لم تستعمل للمحاكاة ، وإظهار ما تظهره إلا لأنها نتائج أحوال النفس مثلاً التأوه لا يظهر الحزن ، والتبسم لا يظهر المسرّة إلا لأن النفس تفهم هذه الإشارات لمّا أنها تبعث فيها حالة خاصة ، كالغناء والرقص والوزن أمور تنشأ في نفس من رقت نظراته»[٧٣] .

فالعواطف الإنسانيّة تبعث في النفس الرقيقة ، والقلب الحيّ دفقاً شعورياً يتجسد أثره «صوتاً، أو غناءً ، أو رقصاً ، أو تململاً»[٧٤] .

الشعر والنثر البليغ :

يعرض الفراهي رأي أرسطو وجان مل في الشعر فأرسطو يذهب إلى أن للمحاكاة طرقاً شتّى ، وأن وسائل المحاكاة في الكلام ثلاث : وزن ، وألفاظ ، ونغمة ، قد تجتمع في كلام ، وقد يحاكى بكل وسيلة على حدة وقد يُحاكى باثنتين ، ويجعل المحاكاة هي الشعر ، ويسمّي محاكاة معالي الأمور أبوبيه Epope وتكون بالألفاظ وحدها كما في محاورة سقراط .

أو باللفظ والنظم كنظم فلان وفلان ، ويرى أن الوزن اتصل بالشعر عن طريق العادة ، ولكنّ الذين نظموا كتباً في الطب أطباء وليسوا شعراء، لأن الشعر لا يتم بالوزن وحده[٧٥].

وأما «جان مل» فيجعل الشعر هيجاناً ، فالشاعر يخاطب نفسه ، ولهذا يرى «الفراهي» أن «جان مل» مقارب للصواب ، وأكثر احتياطاً من أرسطو : لأنه أمن التخليط بين الشاعر والخطيب أو الحكيم حين جعل الوزن زائداً على الشعر ، ولم يعد محاورة سقراط شعراً[٧٦] .

وخطأ أرسطو ، يكمن في أنه جعل الشعر محاكاة ، لأن الصفة الغالبة على الإنسان عنده أنه «كائن محاك» والحقيقة أن الإنسان «كائن ناطق» فالصفة الغالبة عليه النطق ، وليس المحاكاة .

وأنه جعل المحاكاة في الشعر يمكن أن تكون بطريقة واحدة من الطرق الثلاث «اللفظ - الوزن - النغمة» وهذا غير صحيح ، فالشعر لا يكون شعراً إلا باكتمال جميع عناصره و«الكل لا يوجد بمجرد أن يوجد منه جزء»[٧٧] .

إن الشعر «لا يتجرّد عن الوزن والنغمة والرقص ، ولكن الوزن يحتمل فيبقى بالكلام ، فأما النغمة فلا يحتملها الكلام إلا قليلاً ، والرقص أمرٌ على نهاية الإحساس حتى يخرج المرء عن وقاره، والكلام لا يحتمله فيبقي من آثار حركات النفس بالكلام قدر ممكن وترك ما لم يمكن ولم يلتزمه ، فإن كمال الشيء ليس مما يصحبه في كل حال ألا ترى العقل من مقومات الإنسان ، ولكن كمال العقل لا يلتزمه ، وكذلك البلاغة كمال النطق ولكنها لا توجد في كل ناطق ، فكذلك النغمة لا توجد مع كل شاعر ، ولكن مع ذلك لا يوجد الشعر خالياً عن النغمة كل الخلو ، فإننا لا نتصور شاعراً لا يترنّم والعرب لا تعرف الشعر بغير الإنشاد والوزن طرفٌ من النغمة»[٧٨] .

والوزن والنغمة والرقص عند الفراهي من منبت واحد ، فهي أثر من أثر الحركة النفسانية التي تتجسد في إشارات موزونة ، عند من منحه الله نطقاً ورقة وغناء[٧٩] .

والوزن أكثر ائتلافاً بالشعر ، ولهذا لم يجرد القدماء الشعر من الوزن ، وإنما جرّدوه من النغمة، وإن بقي منه شيء منها فالشعر «قوة تخييلية» «محاكاة» و«قوة إيقاعيّة» «وزن» «فمن ظنّ أن مكالمة سقراط جنس الشعر لم يعرف من كنه الشعر إلا المحاكاة ، ومن ظنّ أن الوزن ليس من الشعر لم يعرف من أصل حقيقة الشعر إلا طرفاً واحداً هو الهيجان المفيض إلى النطق»[٨٠] .

وهذا الذي يذهب إليه «الفراهي» «هو حال المطبوعين من الشعراء والخطباء فأما المتصنعون وهم الأكثرون فهم تابعة لهم ، وعيال عليهم فبحسب ما أحسنوا التتبع أحسنوا العمل»[٨١] .

المطبوعون «ملوك صناعة» يعتسفون اللغة بفنّ من فنون الحيلة ، ويعرفون مداخل الإبداع ومخارجه ، وتتجلى أنفاسهم فيما يكتبون ، فلهم لغتهم الخاصة ، ونفسهم المميّز الذي لا يخفى على المتأمل البصير .

أما المتصنعون فهم قومٌ ضعيفو الإحساس ، يحاكون المطبوعين فأجودهم أقربهم اتصالاً بالنموذج المحاكى «المتصنع المتكلف لا يتكلم بروح ولا يجري قوله من قلب مهتاج ، فإنه يتصنع في إظهار العواطف ، أو يتكلف في تأليف الكلام حسب عاطفته العاجزة عن النطق، فيأخذ من أقوال المطبوعين ما يوافق مستكن ضميره ، وهذا ربّما يقرب من المطبوع ، وأما المتصنّع في أول أمره فهو مخادع ومنافق لا روح في كلامه»[٨٢] .

بَلاغَةُ الصِّدْقِ :

البلاغة هي : إبلاغ قصد المتكلم إلى المتلقي على هيئة حسنة تتمثل في أربعة أمور :

١ - دقة اللغة في تصوير الواقع الخارجي .

٢ - قدرة اللغة على تجسيد خيال المبدع .

٣ - وضوح الدلالة اللغويّة .

٤ - قوة التأثير في المتلقي[٨٣] .

١ - لكي يكون الكلام بليغاً عند الفراهي لا بد أن يكون مطابقاً للواقع الخارجي ولهذا لا يرتضي مقولة أرسطو إن «محاكاة الشاعر ينبغي أن تكون مثل تماثيل زوكسيس ، التمثال أكمل من أصل الشيء»[٨٤] . فلا غرابة أن يقول أرسطو هذا ؛ لأن غاية الشعر عنده الإمتاع وليس الصدق كما يريد الفراهي .

٢ - أن يكون قادراً على تجسيد خيال المبدع ، فإذا عجزت اللغة عن حمل رؤية المبدع كان عيّاً ، أو مخادعة وكلاهما يقعدان بالكلام عن أن يكون بليغاً ؛ لأن الرؤية هنا تكون ضبابيّة ، وذلك لا يكون إلا نتيجة ضعف في الموهبة ، وقصور في الإبداع .

٣ - أن يكون واضح الدلالة ، ولا يكون الكلام واضح الدلالة حتى يشترك المبدع والمتلقي في معرفة الدلالة اللغويّة ، فإذا قال المبدع رأيت فيلاً ، فلابدّ أن يكون المتلقي عارفاً بهيئة الفيل الذي تعبّر عنه هذه العلامة اللغوية .

ووضوح الدلالة يتأكد حين تقترن الصفات بالذوات الموصوفة ، فالأبيض والأسود حين نقول : أبيض كالثلج ، تخرج الذوات من التجرّد إلى التشخص ، وهذا نجده في التشبيهات والتمثيلات ، وعلى هذا كل كلمة «تصوير» عند الفراهي ؛ لأنها تحضر صورة معناها ، فلا ينحصر التصوير في التشبيه . ورداءة التصوير تكمن في التقصير أو الإسراف وكلاهما يؤديان إلى الاستهجان والنفور . وفي هذا يكمن صواب الإشارة[٨٥] .

٤ - أن يكون مؤثراً في المتلقي، ولا يكون الكلام كذلك إلا إذا خوطب المتلقي بأحسن قول، وألين جانب، ولهذا أمر الله رسله باتباع هذا السلوك في الدعوة فقال لموسى عليه السلام : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٨٦] ولمحمد ﷺ : ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[٨٧] و﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٨٨] .

وحين يعرض الفراهي لطرق توضيح الكلام يحصرها في ثلاثة أمور :

١ - من جهة الألفاظ .

٢ - من جهة الصوت .

٣ - من جهة اختيار المعاني[٨٩] .

١ - من جهة الألفاظ :

اللغة العربية لغة شجاعة تعبر عن المعنى بألفاظ متعددة ، وطرق مختلفة ، فالألفاظ تتعدّد ، وهناك أسماء ، وأوصاف ، تارة يرد الاسم بلا صفة ، وتارة ترد الصفة مكان الاسم ، وأخرى يرد الاسم مقروناً بوصفه ، فنحن نقول : رأيت أسداً ، ورأيت ضرغاماً ، أو رأيت أسداً جهم المحيا ، أو رأيت ذا لبدتين هريت الشدق ، وربما وضع الخاص موضع العام فنقول : رأيت زيداً بدلاً من رأيت رجلاً . والعرب لهم باع طويل في هذه العبقرية ، فعندهم ألفاظ خاصة تحت كل جنس عام فيصوّرون الشيء ويمثلونه مشخصاً من غير أن يضمّوا إليه صفته ، ولهم في ذلك طرق كثيرة منها :

١ - وجود الأسماء الدالة على أنواع جنس واحد .

٢ - وجود الأفعال نحو كسر وحطّم وفتق وفلق .

٣ - وجود الاشتقاق الدال على التأنيث والتثنية وجمع القلة ، وعلى الشدة في الأفعال مثل كسر وكسّر ، وفي الأسماء مثل خضّم وعفرناة، وفي الصفة والمصدر مثل فاعل وفعّال، وللدلالة على هيأة الاشتراك ثم فرق المتعدّي من اللازم في الاشتراك مثل شتم وشاتم وتشاتم ، واشتقاق الأفعال من الأسماء كتأبط وحملق ، ومن الجملة كهلّل وحوقل ، وغير ذلك من دلالات الاشتقاق التي لا تكاد تنتهي[٩٠] .

ويرجع هذه العبقريّة التي تتمتّع بها العربية وخاصة في دلالات الاشتقاق إلى أمر نفسي يجده المتلقي عندما يستمع إلى الكلمات المشتقة ويتخيّل المراد ففرق بين أن

يقال : فتح عينه كأنه جعلها حلقة ، وأن يقال : حملق «إن التخييل يكون دفعة وجملة كما أن إحساس الأشياء يكون جملة ودفعة فالذي في الخيال صورة متّحدة ، فإن أعطيت السامع جزءاً جزءاً خالف أصل الصورة ولم يودّها»[٩١] .

ولولوع العرب برفع الإبهام عن الشيء ، والدقة في تصويره وإيضاحه لم يقنعوا بأن يدعوا الرجل باسم سمّته به أمه . فأعطوه اسماً آخر يدل على صفة له ، أو حادث أحدثه أو وقع عليه ، فغلب اللقب على الاسم كما في تأبط شراً ، وذي الإصبع .

ولمّا تدنّست أخلاقهم بمخالطة العجم ، وتجاوزوا الحدّ في التنابز بالألقاب نهاهم الله عن الفسوق فيه ، أما الألقاب الحسنة فلم ينههم عنها كما في زيد الخير وزيد الفوارس[٩٢] .

٢ – من جهة الصوت :

التناسب بين الصوت والمعنى موجود في كل لغة ، هو في العربيّة جزء من شاعريتها ، وعبقريتها في الإبانة ، ويتجلّى ذلك في عدة أمور :

١ – الشدّة في البناء تدلّ على شدّة في المعنى فكسّر أشد من كسر .

٢ – زيادة المبنى دليل على الزيادة في المعنى مثل كفر واكفهرّ .

٣ – توالي الحركات في الصوت تدل على توالي الحركات في المعنى مثل خفقان وعسلان .

٤ – تكرار الصوت دليل على تكرار في المعنى مثل كبكب .

٥ – دلالة جوهر اللفظ على المعنى ، وهو قسمان ظاهر وخفي ، الظاهر مثل قطّ ، وشقّ ، فاللفظ يدل على الصّوت ، والخفي أن يدلّ على غير الصوت وهو أن تترجم حاسة بلسان حاسة أخرى وهو ما يسمى «تراسل الحواس» وهذا علم قديم أضاعه الغافلون[٩٣] .

وتراسل الحواس كثير في شعر الشعراء الذين كُفّت أبصارهم أمثال بشار بن برد وأبي العلاء وهومروس وملتن وغيرهم . إن أمثال هؤلاء الشعراء حرموا البصر و«إن من حرم حسّاً كان أميل إلى التشبيه وإجادته فإنه لا يعلم من الشيء الذي لا يحسه إلا مثاله فيجمع في خياله صور الشيء ملبوسة بلباس الحسّ الآخر ، ثم كثرة تعاطيه بالتمثيل تجعله أقوى عليه فإن القوى تشتد بإعمالها ، ومن كثرة التعرض له ربما يعثر على أحسن ما فيه»[٩٤] .

ومن هذا قول بشار :

وكأن رفض حديثها ... قِطَعُ الرياض كُسين زهرا
وتخال ما جمعت عليـ ... ـه ثيابها ذهباً وعطرا
وكأن تحت لسانها ... هاروت ينفث فيه سحرا[٩٥]

وهذه العلاقات الجديدة التي يقيمها المبدع بين الكلمات نتيجة إدراك عميق للأشياء عند المبدع مبصراً كان أو كفيفاً .

ويذهب الفراهي في معرض حديثه عن العلاقة بين «الجرس والمعنى» إلى نقد عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن المتكلم معنيٌّ بالمعنى ولا عناية له باللفظ من جهة جواهرها «والعجب كل العجب كيف غلب الوهم على صاحب دلائل الإعجاز فزعم أن المتكلم لا يعنيه إلا المعنى ، ولا همّ له في الألفاظ من جهة جواهرها ، وخالف جمهور العلماء، فإن تصرف البليغ في أنحاء الكلام حتى يصطفي ما شاء من الألفاظ المناسبة معنى وصوتاً أو معلوم لا يخفى إلا على من أضله الوهم، وتسلط عليه الولوع بالمبتدع»[٩٦].

وكما أن للجرس علاقة بالمعنى ، فإنّ له علاقة بالمقصد، فالأغراض تستدعي طبقات من الجرس الموسيقي تفرضها مقاصد الكلام ، فجرس النسيب لا يصلح لجرس الفخر . وله علاقة بالمبدع ، فكلام الملوك ، أفخم من كلام العامة ، وعلاقة بالمخاطب حيث يبني الكلام، وتحدّد موسيقاه لتحقق الغاية في المخاطب ، وتراعي أحواله ،

وهذا ما أدركه النقاد والبلاغيون في كثير من ملاحظاتهم النقديّة، ومقاييسهم الجمالية، التي تجمعها القاعدة الذهبيّة التي تجعل البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٣ - من جهة اختيار المعنى:

كما أن العرب برعوا في توضيح المعاني وتعيينها من خلال البناء اللغوي «النظم» وطريقة التأليف، واستثمار الطاقة الصوتية للغة، برعوا في اختيار المعاني «فكما أنهم يصوّرون الصفات قائمة بجواهرها لكي يطابق الحاكي بالمحكي فكذلك يزوجون أفراد المعاني بقرنائها ليطابق التصوير بالمصوّر»[٩٧].

وهذا يظهر جلياً في أغراض الشعر حيث يمعنون في ذكر تفاصيل الأشياء، فهم لا يقتنعون بالحديث العابر، وإنما يعمدون إلى الاستقصاء الذي ينفث في الكلام سحراً «لولاه لكان جامداً عاطلاً»[٩٨]، فهم «في كل أمر يأتون بذكره من الصيد والسباق والحرب والشجاعة والسير والنعاس والجود والضيافة والغزل والسكر والمدح والنياحة فلا يذكرون شيئاً إلا وهم ينشرون بين يديك صفحات مصوّرة بل يختلسونك عنك ويوقفونك بإزاء الشيء، فكأنهم استودعوا أشعارهم جغرافيتهم وتاريخهم، وحكمهم وشمائلهم حتى إن كل من يقرأ أشعارهم غير غافل بعرفهم كأنه أقام فيهم وعاشرهم، ولذلك قالوا قديماً «الشعر ديوان العرب»[٩٩].

أما طرقهم في تصوير المعاني الخاصة فيجعلها الفراهي في أمرين اثنين:

١ - ما ليس فيه تشبيه.

٢ - ما فيه تشبيه صادق مصوّر للأصل حقّ التصوير[١٠٠].

١ - ما ليس فيه تشبيه كقول امرئ القيس في وصف رحلة الصيد:

فقلت لفتيان كرامٍ ألا انزلوا
فعالوا علينا فضل ثوبٍ مطنّبِ
وأوتاده مـاذيّـةٌ وعـمـاده
رُدينيّةٌ فيها أسنّة قعضبِ
وأطنابه أشطان خُوصٍ نجائبٍ
وصهوته من أتحميٍّ مُشرعبِ
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا
إلى كل حاريٍّ جديد مُشطّبِ
نمشّي بأعراف الجياد أكفّنا
إذا نحن قمنا عن شواءٍ مضرّبِ[١٠١]

٢ - ما فيه تشبيه صادق كقول النابغة الذبياني في تصوير الصيد:

أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه
عاري الأشاجع من قُنّاص أنمار
مخالف الصيد تبّاع له لَحِم
ما إن عليه ثياب غير أطمار
يسعى بغضف براها - وهي طاويةٌ -
طولُ ارتحالٍ لها منه وتسيارُ
حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه
أشلى وأرسل غُضْفاً كلُّها ضاري[١٠٢]

«فصوّر لك ظاهر أمور الصيد وباطنه ما تراه عياناً وممّا تفهمه»[١٠٣].

التصوير الشعري أو طريقة الأداء الفني في الشعر لا تنحصر في لغة المجاز، فهناك في الشعر «قوة تأليفيّة» و«قوّة تخييليّة» في «القوة التأليفيّة» يكون الشاعر مبدعاً في إحكام بناء اللغة، وتطويعها لتجربته، واستقصائه لمعناه، فلا يُفْرِط في ذكر ما لا داعي له، ولا يُفرّط في ترك ما لا يصح الكلام إلا به. وفي «القوة التخييليّة» يعمد الشاعر إلى اقتناص العلاقات الخفيّة بين الأشياء فيشبّه، ويمثّل، ويستعير مطابقاً بين الصورة البلاغية والأصل الذي تعبّر عنه؛ لأن غاية البلاغة عند الفراهي الصدق و«سياسة البلاغة» تكون من جهة «البلاغ» وليس من جهة

«اللّذة» «فإذا نظرنا إلى التشبيه وصنويه الاستعارة والمجاز من جهة البلاغ اختلف بحثنا عما يكون لمن ينظر إليه من جهة اللذة كما يختلف نظر الطبيب إلى الطعام من نظر الطباخ»[١٠٤] .

الذين تعاطوا الشعر من جهة اللّذة جعلوا غرابة التصوير وندرته أمراً جوهرياً في الشعر وهذا ما نلمسه في استقراء جماليات الصورة البيانية عند البلاغيين والنقاد ، فهؤلاء منقادون لغواية البيان وسحره ، والبلاغة يراد منها الصدق وليس السحر ولهذا لا يرتضي الفراهي سياسة البلاغة عند عبد القاهر حين جعل ندرة التشبيه لازمة له ليكون بليغاً «فلا يضلنّك ما قال صاحب أسرار البلاغة إن المغايرة بين المشبه والمشبه به لازمة لأجل الحسن فإنه لم يدر كنهه ، فلو كان نظر من جهة التأدية لظهر عليه الوجه الصحيح»[١٠٥] .

ومما جاء من التشبيهات صادقاً دقيقاً في تصويره قول صفية بنت عمرو ترثي أخاها :

كنّا كغُصنين في جرثومة بسقا
حيناً على خير ما تنمي لها الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما
وطاب غرسهما واستوسق الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان وما
يُبقي الزمان على شيء ولا يذرُ
كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ
يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر[١٠٦]

وقول عبيد بن الأبرص :

برمت بنو أسد كما
برمت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من
نشم وآخر من ثمامة[١٠٧]

أمّا التشبيهات الرّديئة فهي التشبيهات النادرة والبعيدة التي أسهب في كشف محاسنها عبد القاهر الجرجاني ، ولم يورد منها الفراهي شيئاً ، وسبب رداءتها غرابتها ، وقلة توارد العقول عليها ، وهذا إغراب واشتغال بغير المقصود بحسب سياسة البلاغة عند الفراهي ؛ لأن جوهر البلاغة عنده «الصدق والإصابة» والغرابة والندرة ، فيهما مجافاة لذلك ، أما عند عبد القاهر فبلاغة التشبيه تكمن في إدراك مبدعه للعلاقات الجديدة بين الأشياء ، «وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحيّة أقرب ، وذلك أن موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألّف للنافر من المسرّة ، والمؤلّف لأطراف البهجة ، أنك ترى الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين ...»[١٠٨] .

والحكم على جودة التشبيه عند الفراهي يقوم على أمرين : الأول : البحث في غايات الكلام، وإدراك تلك الغايات ، «التعليم والتحريض» ؛ لأن التعليم إما أن يكون للحق أو للباطل ، والتحريض على الخير أو على الشر[١٠٩]، والأمر الآخر : نجاح المتكلم في إبلاغ مقصد الكلام . فالبلاغة تساس أولاً من جهة مضامينها ، فيحكم لها بالجودة أو الرداءة ، ثم ينظر إليها من جهة بنيتها اللغوية وتشكيلها الجمالي ؛ لأن بواعث توظيف التشبيه في الكلام عند الفراهي تكمن في إظهار مكنونات النفس الإنسانية والتأثير في المتلقي ، فالغاية إبلاغ وإمتاع ، إبلاغ للمعاني الصادقة ، وقيم الحق والخير في بنية جمالية مستوفية لشرائط الفن الجميل الممتع .

الأسس الجماليّة للبلاغة :

ترتكز بلاغة القول على عشرة أسس جماليّة تتصل بالقول ذاته ، وبمبدعه الذي أنشأه ، وبمتلقيه الذي يتلقاه بالقبول والإعجاب وهي :

١ - الاعتدال .

٢ - مطابقة الكلام للمعنى .

٣ - سذاجة الكلام .

٤ - الترتيب .

٥ - المقابلة .

٦ - تمييز المعاني وفرق درجاتها .

٧ - تنقيح الألفاظ .

٨ - الإيجاز .

٩ - ادخار الألفاظ والأساليب .

١٠ - منبع الكلام[١١٠] .

ويمكن تقسيم هذه الأسس الجماليّة العشرة وفق نظرية الاتصال اللغوي «المبدع - الخطاب - المتلقي» لتكون الصورة أكثر وضوحاً ، ولكننا سنمضي مع الفراهي في تقسيمه لشدة تداخل عناصر النظرية في هذه الأسس بحيث لا يستطيع المتأمل الفصل بينها .

١ - الاعتدال :

البلاغة قوامها التوازن بين متطلبات المعنى ، ومقتضيات الأحوال ، ونجاح المبدع يكمن في إدراكه لهذا الأساس الجمالي ، وقدرته على توظيفه ، فيستوفي متطلبات المعنى ، ويتجنب فضول القول التي تفسد بلاغة القول ، وتصرف النفس الإنسانية عن التعاطف معه ، وهذا ما أدركه البلاغيون ففرقوا بين الإيجاز والإخلال ، والإطناب والإسهاب ، وقد كان عبد القاهر يقول : «تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن»[١١١] .

٢ - مطابقة الكلام بالمعنى :

حيث تكون العبارة بألفاظها وبنائها ، وأصواتها وصورها مؤسسة للمعنى ، ومعبّرة عنه أبلغ تعبير ، فلكل مقام مقال ، ولكل منحى من مناحي القول لغته الخاصة ، فالمديح له لغته والرثاء له بيانه ، ولا يصلح هذا لذاك ، ومن هذا ما قاله حاتم الطائي :

فـإذا مـا مـررتَ فـي مُسبطِـرٌ

فاجمعِ الخيلَ مثل جمعِ الكِعاب[١١٢]

والقرآن يقع في الدرجة العليا من هذا الباب ، حيث تتناسب ألفاظه وأصواته وعباراته وصوره مع معانيه كقوله تعالى : ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[١١٣] .

٣ - سذاجة الكلام :

سذاجة الكلام تعني عند الفراهي بساطته وعفويته في سياقه الذي يقتضيه ، فبعض السياقات تقتضي لغة سهلة ، ومعاني عفويّة ، يصبح معها الاهتمام بحشد الصور ، وتكلّف العبارات فساداً للمقام ، وكفراً بجماليات الفن وعياً وليس بلاغة كقول الشاعر :

مشينـا مشـيـة الليـث

غدا والليث غضبان[١١٤]

٤ - الترتيب :

حسن الترتيب وصحة النسق أساس جمالي في بنية الكلام البليغ فإذا قدّم ما حقّه التأخير ، أو تأخر ما واجبه التقديم فسد الكلام ، فترتيب الأجزاء عنصر جمالي في الفن القولي وفي جميع الفنون الجميلة «والحكيم لا يضع لفظاً أو معنى أو مثلاً إلا وقد علم الموقع الصالح له ، وبذلك تتفاوت درجات الكلام ، وكما أن في الترتيب سر الحسن وسحره ، وكما أنه لا يصلح إلا به ، فكذلك فيها دلالات جمّة ، فكم من المعاني الدقيقة والحكم الغامضة مستودع فيه»[١١٥] .

ونظراً لغموض أسراره البلاغية ، وخفاء نمنماته ، غفل كثير من المجتهدين في استنطاق أسرار الجمال لأنهم «ذهبوا مذهب تدقيق النظر فوقعوا في تحليل المركب ، واعتادوا تضييق البصر ، ولما أن سرّ الترتيب لا يظهر إلا إذا أوسعت نظرك ، ورأيت الشيء مع أطرافه ، وما

حواليه، ثم قابلت بعضها ببعض، فكان المحللون أبعد الناس عن إدراك دلالات الترتيب، وهذه غلبة عادة التحليل على عادة التركيب [داء](*) دهياء قهرت العقول كالكابوس، وجعلت مروج العلوم كالحصيد اليبس، وكثر المتون والحواشي وقدوتهم أرسطو. وأعظم المصائب انها صارت سداً دون معاني القرآن، فلم يقنع الشرّ بإماتة العلوم، ولكن بسط يده إلى الدين وهل هما إلا توأمان»[116].

إن مذهب الفراهي هذا قريب من نظرة «الجشطالت» إلى الفن، حيث يكون التأمل منصبّاً على الكل أولاً، ثم ينفذ بعد ذلك إلى إدراك الجزئيات.

وممّن فات عليه إدراك حسن الترتيب في بعض الكلام، والكشف عن جمالياته عبد القاهر الجرجاني فقد ذكر أن قول المرقش:

النشر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عنم[117]

ليس فيه ترتيب والصواب أن فيه ترتيباً خفيّاً فالمرقش «ذكر النشر أولاً لأنك تجده عن ظهر الغيب، ثم ذكر حسن الوجوه لما تجده عند المشاهدة، ثم إذا اقتربت ولمست الأكف وجدت نعومتها»[118].

ووقع عبد القاهر في مثل هذا حين نقل بعض كلام الجاحظ - الذي قال فيه: «جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً وحبّب إليك التثبت، وزيّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس، وعرّفك ما في الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلّة»[119].

ولم يجد فيه عبد القاهر ترتيباً يدل على نظم رفيع، ولكن لهذا الكلام غوراً وترتيباً عند الفراهي «فاعلم أن الشبهة أوّلُ البليّة فتغادر المرء متحيّراً لا يدري أيّ الأمرين يرجح، فإن كان له سبب إلى المعرفة مال إليها فهدي إلى الصدق، وحينئذٍ يحتاج إلى التثبت عليه ثم التثبّتِ يعود تعسفاً إذا نبذ الإنصاف فيجمد على ما عرف ولا يصعد إلى ما هو أرفع منه، فإن زيّن في عينه الإنصاف تاق إليه، وههنا كملت له أسباب العلم فهذه ست منازل في العلم، ثمّ لا بد من العمل بما علم وإلا فسد رأيه فيوشك أن يرى الباطل حقاً. وبذا علمت شدة حاجتنا إلى تهذيب أخلاقنا؛ لأجل إصابة الرأي فمن الأوّل احتاج المرء إلى مدد التقوى، فإنها منبع فعل الخير والمتقي في هذه الدار الفانية ربما ابتلي بالبؤس والضّر فإذا نبذ الدنيا وقنع بالتقوى فنّده الناس واستهانه الجمهور، فإن صبر على الضرّ فكيف يصبر على المهانة إلا أن يشعر بذل الباطل، وعزّ الحق فيكرم نفسه، ويهون في عينه جاه الأشرار ليقينه الثابت بفلاح المتقين فبهذا العزّ الذي أشرب قلبه طرد عنه ذل اليأس، ولو هجمت الشدائد، وبعد عنه الوعد الإلهي فحينئذ يرى الباطل عين الذلة ويرى الجهل عين الفقر»[120].

ففي كلام الجاحظ نظم وترتيب، ترابطت فيه الأفكار، وتنامت العبارات تنامياً يدلّ على عبقريّة الجاحظ الفنيّة «فانظر كيف جمع أسباب العلم والعمل، وجعل ستة للعلم وستة للعمل، وكيف ختم الكلام بذكر أن ملاك أفعالنا رغبة النفس إلى العزّ والغنى، ولكنه علم أن النفرة أقوى من الرغبة سلطاناً على أفعالنا فذكر الذلة والفقر فما أدقّ نظره حين بدأ القول بالشبهة وختم بالمعرفة الغامضة التي هي مصدر الإرادات»[121].

٥ - المقابلة:

الجمع بين الأضداد، وعقد الصلّة بين المتنافرات أساس جمالي حين يستخرج المبدع الطاقة الكامنة خلف جدل الكلمات، فتكون النفس مولعة باكتشاف تلك الطاقة المولّدة، وقد ذهب الفراهي إلى أن المقابلة بين الأضداد تنتزع النفس من الرتابة، وتظهر الحسن في أزهى

صوره، ولهذا جعل المقابلة قانوناً كونياً عاماً «فكأن مصور الخلق تعالى شأنه أظهر المحاسن بها فأخرج الأزهار الحمر والصفر والبيض من بين أوراق خضر ، وأبرز النجوم البيضاء من صفحة سوداء ، والقمر الفضي في الصحن الزبرجدي»[١٢٢] .

قال صلوات الله وسلامه عليه في مدح الأنصار : «يقلون عند الطمع ، ويكثرون عند الفزع»[١٢٣] .

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي
يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً
وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا[١٢٤]

وغاية البلاغة تتجلى في كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) ﴾[١٢٥] «فمن فهم معنى الآيتين صورت بين يديه جماعة أولاً فزعوا فأرادوا الفرار فلم يمكنهم الإفلات بل أخذوا على مكانهم فلما يئسوا قالوا آمنا ولات حين الإيمان ، فإن وقت الإيمان كان بالغيب في حياتهم الأولى وقد فاتهم الآن وبعد عنهم مكاناً فيمدون إليه أيديهم كالمتناوش لما بعد فأنّى له ذاك»[١٢٦] .

٦ - تميز المعاني وفرق درجاتها :

الكلمات تختلف في دلالاتها ، والعبارات تتباين في معانيها ، وقد يظن غير المتأمل أنها بمعنى واحد ، فلا يهتم بإدراك الفروق بين العبارات ، والاختلاف بين أنظمة الكلام، فيبقى على سطح اللغة ، لا يتسرب إلى أعماقها ، ويكتشف أسرارها فيظن أن هناك تكراراً وتأكيداً لأمر واحد وتصويراً لشيء واحد بصور مختلفة ، والحقيقة أن هناك تبايناً شديداً، وترتيباً دقيقاً ، ودلالات مختلفة ، وربما سعى الجاهل إلى التقليد مع سوء الفهم فجمع بين النقيضتين .

وقد ذهب الفراهي إلى أن هناك من علماء البلاغة من يأتي في أسلوبه بفقرات مترادفة ظناً منه أنها شبيهة بكلام أبي عثمان السابق وشتان ما هما ، كما فعل عبد القاهر الجرجاني والباقلاني وأمثالهما مع طول باعهما في التصرف في اللغة والقدرة على اعتسافها ، وهذا من التكلّف المحض ثروة في الكلمات ، وفقر في المعاني ، والمعاني لب البلاغة وجوهرها[١٢٧] .

٧ - تنقيح الألفاظ :

اختيار الألفاظ دليل على براعة المبدع ، فاللغة اختيار وتأليف ، وفي دقة الاختيار تستوفي البلاغة جزءاً مهماً من شرائط الحسن ، حيث يكون اللفظ شديد المطابقة واللصوق بالمعنى ، فيوضع موضعه اللائق به ، وقد جعله الخطابي رحمه الله عمود البلاغة[١٢٨] .

ومن شدّة عناية العرب بتنقيح الألفاظ ، أنّهم يسمون بكلامهم فالمرقّش إنما سمّي المرقش ؛ لأنه أول من استعمل لفظ الرقش لبقايا الرسوم في قوله :

الدار قفر والرسومُ كما
رقَّش في ظهر الأديم قلم[١٢٩]

وكان الرقش يستعمل لألوان مختلطة متباينة واضحة كما على جلد الحيّة فهذه اللفظة أوضحت التصوير، ولم يضع حسن اختياره في قوم فُطن ..»[١٣٠] .

قال قراد بن غويّة يرثي نفسه :

وكنت له عماً لطيفاً ، ووالداً
رؤوفاً ، وأماً مهّدت وأنامتِ[١٣١]

«انظر كيف اختار ثلاث صفات لم تجد أليق منها بموصوفها . ثم في الترتيب صعود من العم إلى الأب ، إلى الأم ولا مصعد وراءها»[١٣٢] .

٨ - الإيجاز :

إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ، فالإيجاز دليل صفاء الرؤية ، ونضوج الفكرة ، وهو فوق هذا «سنة

الطبع» «فإن التخييل يكون جملة ، كما أن إحساس الأشياء يكون بنظرة ووهلة ، فإن طال الكلام خالف سنة الطبع»[١٣٣] . والبلاغة إيجاز ، حتى الإطناب في سياقه يُعَدّ إيجازاً إذا ما قيس الخطاب الأدبي ، بالتاريخ والأخبار وما إلى ذلك ، فالإطناب فيه يكون إسهاباً في غيره ، لأن المبدع وإن أطنب في ذكر التفصيلات واستقصى الجزئيات ، فإنه ينتقي أشياء ويدع أشياء تركها ضرب من البلاغة الرفيعة ، «وهذا القليل الكثير ضالة البلغاء يحومون حولها ولا يجدونها ، فإذا هي وجدت قال كلهم : هي هي . هذه التي كنت أبغي وكانت هي تجول في قلبي وكنت ألمسها ولا أجد ، فأعجبوا بها لا لشدة قربها فما كان منها أقرب كان أحسن»[١٣٤] .

وهذا «السهل الممتنع» و«القريب البعيد» الخط الفاصل بين بلاغتي العرب والعجم ، وبين المبدعين في الشرق والغرب أمثال هوميروس وشيكسبير وفردوسي . والعجم طلبوا النادر من القوافي والتشبيه والبديع والعرب طلبوا الصدق ، فأعجب أولئك «بتصنع المتكلم» وأعجب هؤلاء بحسن الكلام وصدقه وقوة تأثيره[١٣٥] .

والأولى عند الفراهي أن نسمي الإيجاز «إحكاماً» والإطناب «تفصيلاً» كما ورد في القرآن: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١٣٦] «فالإحكام يدل على حكمة القائل ومعرفته بالأصول وحقائق الأمور، والتفصيل يدل على سعة علمه بتفاصيل الأمور»[١٣٧] .

وكلا الأمرين بلاغة في موقعه، الإيجاز أو «الإحكام» في خطاب الحكماء ليتفكروا ، وفي الحديث إلى الجمهور لقربه إلى أذهانهم، وبيان حجّته، والحكمة عند ذوي الألباب النقيّة هي الجوهر واللباب . وقاعدة الإيجاز أو «الإحكام» الاقتصار على الأصول ، والتركيز على أقرب أصل يشير إلى الفرع الذي يترامى معه الذهن إلى آفاق قصيّة[١٣٨] .

والإطناب أو «التفصيل» يراعي فيه تحريك نداء الفطرة في القلوب ، فتتذكر ذلك النداء المخبوء في أعماقها، فيكون الإطناب أو التفصيل تحريكاً للكامن ، وتذكيراً بالمنسي ، وبهذا سمّى الله القرآن وكتبه الأخرى ذكراً ، وإلى هذا أشار حسان في قوله :

وإن أحسن بيت أنت قارئه

بيت يقال إذا أنشدته صدقاً[١٣٩]

وهو مراد أفلاطون في مقولته «إن علومنا ذكر ما نسينا»[١٤٠] .

٩ – ادخار الألفاظ والأساليب :

وذلك بأن يكون لدى المبدع «ثروة لفظيّة» يحسن الإنفاق منها ، واستثمارها في مشاريع إبداعه ، وهذا أمرٌ لا يحصل إلاّ بطول الممارسة ، وبعد النظر . فاللغة هي مادة الإبداع ، وعبقرية المبدع تكمن في ثراء معجمه اللغوي وغزارة تراكيبه ، وتجدد أسلوبه ، وصوره الفنيّة ، وكل ذلك لا ليجعل من إبداعه معرضاً لألفاظ اللغة ، ولكن لإبلاغ معانيه المتجددة ، ورؤاه الخلاقة[١٤١] .

١٠– منبع الكلام :

الكلام طبقات ، و«سياسة البلاغة» تحتاج إلى معرفة عميقة «بجيولوجيا النص» وكمال البلاغة ليس في تحسين الكلام وإنما في حسنه . «إن الصناعة في الألفاظ وتجهيزها عيال على المعنى فليكن هم المرء الذي يحاول تكميل النطق والبلاغة أن يكمل عقله وفكره وتميزه فكم من فصيح ليس إلا كالبلبل والببغاء يعجبك صوته ولا شيء تحته وهذا هو داء عضال وضلال بعيد»[١٤٢] .

ويرى الفراهي أن هذا الضلال يتجسّد في ضلال بعض الحمقى حين جعلوا مقامات الحريري «أحسن من القرآن»[١٤٣] ، ويتعجّب من سقطة الزمخشري – مع ولعه بلسان العرب – حين قال في كلام الحريري :

أقسم بالله وآياته

ومشعر الحج وميقاته

أن الحريري حريٌّ بأن

تكتب بالتبر مقاماته[١٤٤]

استراتيجية الإبداع :

كما عني الفراهي «بسياسة البلاغة» من حيث هي «منهج في المعرفة» ، عني بها من حيث هي «إنتاج للفن الجميل» فجعل قسمين من كتابه «جمهرة البلاغة» ، للكشف عن بعض استراتيجيات الإبداع أو «البلاغة في شقها الإبداعي» ، والقسمان هما :

١ - القسم الخصوصي .

٢ - مباحث متفرّقة .

والمتأمل لهذين القسمين يجد أنهما يشتملان على عدد من الأساليب التي يسعى المبدع إلى استثمارها لإيصال أفكاره ورؤاه إلى المتلقي ، وهي : «دلالة الوصل - دلالة الفصل - فصل ووصل بالخيال - حظ السامع - دلالة الحذف - إدراج الدليل - المقابلة - الاستثناء - انتهاز الفرصة - ما يشبه انتهاز الفرصة في القرآن - المجاز والكناية والتشبيه - دلالة المجاز في الأزمنة - لسان الغيب - الإشارة والكناية والتعريض - صرف الكلام عن سننه - الجملة المعترضة»[١٤٥] .

وهذه الأساليب تحتاج إلى مبدع خلّاق ، يوظفها لتحقيق مقاصد الخطاب البلاغي ، فليس الغاية منها تحسين القول ، وإنّما إيصال حسن القول ؛ لأن حسن القول في ذاته يحتاج إلى أسلوب في التعبير يوصل به المبدع رسالته ويحقّق بها الإمتاع والتأثير. فالبلاغة معان حسنة وأساليب جميلة.

ويمكن حصر هذه الأساليب في مسالك ثلاثة :

١ - الحذف ودلالة الغياب .

٢ - الذكر ودلالة الحضور .

٣ - الإيحاء .

١ - الحذف ودلالة الغياب :

الإبداع الأدبي قائم على «الاستقراء الناقص» ، فالمبدع ينتقي أحداثاً أو أشخاصاً انتقاءً خاصاً يقوم على التماسك والانسجام ، ويشكل وحدة كلية للنَّص ، ومنذ أرسطو والنقاد يؤكدون على وحدة البناء اللغوي وتماسكه .

ومع هذا الانتقاء والتكثيف يعمد المبدع إلى ترك فراغات في النَّص يقوم المتلقي بملئها ، وبملء هذه الفراغات يشارك المتلقي المبدع في صياغة النص ، ويشترك معه في التجربة الفنية ، وفي هذه المشاركة الفاعلة تكمن لذّة القراءة .

والبلاغة العربيّة في سياستها للنص الأدبي أفسحت للمتلقي الواعي مجالاً رحباً في صناعة النَّص، فليس معنى المعنى والحذف والتأويل والالتفات والمخاتلة الأسلوبيّة في بعض الفنون البديعيّة إلا جزءاً يسيراً من المساحة التي تركتها البلاغة العربيّة للمتلقي ليؤدي دوره الفاعل في القراءة الفاعلة ، أو ما يسميها تودوروف القراءة الشاعريّة[١٤٦] .

والحذف في سياسة الفراهي للبلاغة ذو أساليب متعددة ، ومنازع مختلفة ، تارة يكون «بوصل الطرفين في القصة» «والغرض ليس إلا صرف الذهن عن أمور لا يعلق به الغرض ، ولكيلا يضيّع قوة الذهن ، ويتفرق همّته»[١٤٧].

ومن ذلك ما ورد في قصة مؤمن آل فرعون في سورة «يس» قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾[١٤٨] .

فتكثيف أحداث القص تم عن طريق الحذف الذي

حقّق قيماً بلاغية عظيمة تتمثّل في وصل أطراف القصة، وحذف ما يستكره ذكره من أقوال الكافرين وأفعالهم، وتناسي ما فيه الشغب والسرعة؛ لأن حذفه أبلغ وأدلّ على ما في حقيقة الحادثة من كيفيّة في القول والفعل والسرعة»[١٤٩].

ويكون بجمع حالات في سياق واحد، حيث تتصل وتتوالى كما في وصف الخيل في أوّل سورة العاديات ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)﴾[١٥٠].

وكما في قول ابن زُيَّابة الحماسي:

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب[١٥١]

حيث «جمع المجيئة والفوز والرجوع»[١٥٢].

وتارة يكون لاتصال النتيجة بالسبب كوصل أنعام الله تعالى بعد الاستغفار من الذنب «دلالة على سرعة رحمة الله تعالى وأن الكرم لا يحتمل»[١٥٣] التأخير كما ورد في استغفار نوح عليه السلام في سورة هود، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾[١٥٤] «فانظر كيف ضم السلام والبركات بدعائه»[١٥٥].

وتارة يكون بالتقديم والتأخير في عرض الزمن لأجل التصوير الدقيق للحادثة، كما ورد في قصة نوح عليه السلام حين نادى ابنه للركوب معه في السفينة فأبى، فأغرقه الموج، ودعا ربه فعاتبه الله فاستغفر نوحٌ ربَّه فغفر له «كل ذلك جاء متأخراً بعد تمام الواقعة ولا شك أن سؤال نوح في ابنه كان قبل غرقه، وقبل استواء الفلك على الجودي. فلو وضع هذه الأمور في محلها الزّماني لتباعدت أجزاء التصوير ولم يتضح، حتى إنَّك لو شئت مثّلته على القرطاس ...»[١٥٦].

وأخرى يكون «بإدراج الدليل» لإثارة المتلقّي، ومخاطبة النفس الإنسانية بما تحب «لأن المخاطب إذا أحسّ بأنك تريد إثبات شيء أخذته النُّفْرة، ولكنه إذا جاء مطوياً أثّر في قلبه»[١٥٧] كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[١٥٨] «فنبه على أنهم يدعونكم من غير غرض لهم. وعدم الغرض لا يكفي للاتباع لمن ضل نفسه ولكنهم مهتدون، فهذا بيان الدليل ليس إلا بطريق الاحتجاج على سبيل الاستمالة ألا ترى كيف خاطبهم بكلام المودة فقال يا قوم»[١٥٩].

والقيمة البلاغية للحذف عند الفراهي تكمن في أنه «يجعل الخيال جسراً بين معنيين فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما، فكل فصل زيادة في المعنى كأن الكلام وشاح مفصل بشذر من اليواقيت بين اللآلي ..»[١٦٠]. وهذا الحذف يحدث أثراً في النفس الإنسانية عبّر عنه الفخر الرازي (بالدغدغة النفسيّة)[١٦١].

وإذا كان الحذف يحتاج إلى «تقدير» للمحذوف، وهو الذي يسميه الفراهي «جسراً بين معنيين» مظنته الاختلاف، فإن الوقوف على حقيقة الأمر المقدر يصعب إدراكه وقد يؤدي إلى الزلل وخاصة في تفسير القرآن الكريم، فالقرآن له نظام من لم يستطع إدراك نظامه وقع في المحظور.

وبناء القناطر وتجسير فجوات النّص التي يتركها المبدع في «الخطاب الأدبي» تجعل من المتلقي منتجاً للنص وليس مستهلكاً له، ولهذا فالمتلقي هو الذي يمنح النّص وجوده وصيرورته، أو يحكم عليه بالفناء، ولهذا دائماً يعمد المبدع إلى مراقبة المتلقي، ومراعاته، وربما مداعبته بزرع بعض الحيل الأسلوبيّة المخاتلة التي تستفزّ المتلقي، وتستثير قواه النفسية للبحث في أعماق النّص، والكشف عن أسراره «فمنها الاستفهام لينتبه السامع، ومنها

السكون ليستريح ، ومنها بعض الحذف ليصير السامع متكلّماً في نفسه فيعمل عقله ومنها منبهات الرَّغبة والنُّفْرة ، ومنها الالتفات لينتبه بما أحسَّ من تجديد ومنها التمثيل ليشاهد محسوساً فينتبه من رقدته ، ومنها كلّ تبدل من الحركات والالتفات ومهيجات الضحك والحزن فهذه الأمور مع فوائدها الأخر أسباب لانتباه السامع ..»[١٦٢] .

٢ – الذكر ودلالة الحضور :

إذا كان المبدع يعمد إلى السكوت عن أشياء بغية استثارة المتلقي ليتحدث عن المسكوت عنه، فإنَّ المبدع قد يذكر أشياء يكون في ذكرها ثراءً للنص ، وخصوصية لدلالته، ومدعاة لتساؤل المتلقي عن دلالة الحضور كما تساءل عن دلالة الغياب في الحذف .

والبراعة تكون في طريقة «الذكر» ، واستراتيجية المبدع في إيراد الكلام ، وهذا ما عرض له الفراهي تحت «باب في انتهاز الفرصة» حيث يعرف المبدع كيف يزرع في النّص بعض الكلمات أو العبارات أو الجمل ليحمّلها بدلالات خاصة لا تتحقق في سواها وهو ما يسميه علماء العربيّة «الجملة المعترضة» «فشأن هذه المعترضة ليس بهيّن ، فإن لها مواقع خفية لا يفطن لها إلا الذكي المتوقّد فمتى ما وجد لها فرصة انتهز لها حتى إنه إن فاتته الفرصة ثم تذكرها ندم على فواتها»[١٦٣] .

كقول النابغة الذبياني :

لو أنها عرضت لأشمط راهب

يدعو الإله صرورة متعبّد

لصبا لبهجتها ، وطيب حديثها

ولخاله رشداً وإن لم يرشد[١٦٤]

«لخاله رشداً ضم أمراً زائداً ، ولكنه أبلغ الشعر ذروة الكمال ثم قوله : وإن لم يرشد ، أدق مسلكاً فإنه جلى شبهة كون الراهب لطيفاً بها رحيماً عليها مع سلامة قلبه»[١٦٥] .

٣ – الإيحاء :

جوهر الأدب الإيحاء ، وقوامه «اللمحة الدالة» ؛ لأنه ينبع من أشد مراكز النفس الإنسانية غموضاً ، ويتحدث عن مشاعر وأحاسيس غامضة ، ولا بُدّ لهذه المشاعر من لغة تساوقها في طبيعتها . وسياسة البلاغة العربيّة للنص الأدبي قائمة على إدراك هذه الحقيقة ، وهو ما عرض له الفراهي في حديثه عن لغة المجاز فالكناية أبلغ من التصريح ؛ لأنها تذكر أوضح هيئات الشيء وأشرفها[١٦٦] . والبليغ من عادته أن يعرض أحسن الهيئات إذا مدح ، وأقبحها إذا هجا ، ولكن هذا العرض لا يكون إلا بمنطق الفن الذي يزيد الجمال جمالاً ، ويعرّي القبيح بما لا تشمئز منه النفوس ؛ لأن «الذكر القبيح لا يليق بالأحرار والمتيقن»[١٦٧] أمّا بذاءة اللسان ، كما ورد في مناقضات جرير والفرزدق والأخطل «فإنهم فيها أجدر باسم الشيطان منهم باسم الشاعر ..»[١٦٨] .

وغاية الأمر فإن «استراتيجيّة الإبداع» تقوم على أسس أربعة :

١ – العلم : حيث يكون المتكلّم عارفاً باللغة التي يتحدث بها ، ومدركاً لكثير من أساليبها .

٢ – القدرة : حيث يستطيع تطويع اللغة لتجاربه الفنية والجماليّة .

٣ – الحكمة والتدبير : حيث يعرف المتكلم جيد المعاني من رديئها حتى لا يقول إلا صدقاً .

٤ – النَّفَس الخاص ، حيث يستطيع المتكلم أن يكون متفرّداً في كلامه ، فلا يقلّد غيره ، وإنما يعتمد على عقله حتى لا يشتبه كلامه بكلام غيره ، كما لا يشتبه صوته بصوت غيره[١٦٩] .

وهكذا تتضح لنا «سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي» كما تجلّت في كتابه «جمهرة البلاغة» الذي يمثل إضافة نوعية للتفكير البلاغي في العصر الحديث ؛ لكونه

رؤية خاصة للبلاغة العربيّة في الإبداع وسياسة القول ، وقراءة واعية لأصول البلاغة العربيّة كما تجلت في البيان المعجز وكلام سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه ، وأدب العرب الخُلّص ، ورؤية ناقدة لتحولاّت البلاغة العربيّة إبداعاً وسياسة للنَّص عقب مثاقفتها مع الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو ، التي كان لها أكبر الأثر في رؤى البلاغيين والشعراء المجددين في العصر العباسي .

وقد وفّق الفراهي في كثير من الرؤى النقدية ، وجانبه الصواب في رؤى أخرى انطلاقاً من تصور غير دقيق للقضيّة ، أو وقوعاً تحت سلطة قراءة إسقاطية فرضت على الفراهي النتيجة قبل عرض المسائل والمواقف كما حدث في نقده لسياسة البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني التي يقلّدها وينقدها .

ومع هذا يظل هذا الكتاب رافداً مهماً في مسيرة التفكير البلاغي وخاصة في سبيل تأسيس «نقد ذاتي» يعيد القراءة ، ويبحث في المشكلات ، ويعيد تأصيل الأسس والمفاهيم ، والخطأ أول الطريق إلى الصواب ، والذين لا يخطئون لا يصيبون ولا يعملون .

هوامش البحث وإحالاته

١ - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؛ تحقيق عبد السلام هارون ٠- ط٤٠- بيروت : دار الفكر ، بدون تاريخ ٨٨/١ .

٢ - المصدر نفسه ١ / ٩٢ ، ٩٣ .

٣ - لا نكاد نجد كتاباً في التراث البلاغي والنقدي لا يعرض لمفاهيم المطابقة ، والطبع ، والمشاكلة بين اللفظ والمعنى، وأن غاية البلاغة هي الإفهام .

٤ - اعتمدت اعتماداً كلياً على تعريف محمد أجمل الإصلاحي في بحثه "كتاب مفردات القرآن للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن"، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ ، ص١٣ - ٣٢ .

٥ - جمهرة البلاغة ، عبد الحميد الفراهي ، طبع على نفقة الدائرة الحميديّة بالهند ، مطبعة معارف بمدينة أعظم كره، ١٣٦٠هـ، ص١.

٦ - المرجع نفسه ، ص١ .

٧ - نفسه ، ص ١ ، ٢ .

٨ - نفسه ، ص ٢ .

٩ - نفسه ، ص ٢ .

١٠- نفسه ، ص ٢ .

١١- نفسه ، ص ٢ ، ٣ .

١٢- نفسه ، ص ٣ .

١٣- نفسه ، ص ٤ .

١٤- نفسه ، ص ٨٣ .

١٥- نفسه ، ص ٨٤ .

١٦- نفسه ، ص ٨٤ . يريد ألسنتهم وجَيَشَان .

١٧- نفسه ، ص ٨٢ .

١٨- نفسه ، ص ٨٢ .

١٩- شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا الحتّي.٠- ط١٠- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٩٠ .

٢٠- جمهرة البلاغة ٨٥ ، والبيت مذكورٌ من ضمن أشهر ما قيل في الهجاء في الجاهليّة ، انظر على سبيل المثال المصون في الأدب للعسكري ، ص١٩ .

٢١- ديوان لبيد بن ربيعة العامري.٠- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص ١٦٥ .

٢٢- جمهرة البلاغة ، ص٨٥ .

٢٣- في هذا الموضوع انظر التفصيل فيما كتبه طه حسين في مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ، وبلاغة أرسطو بين العرب

واليونان لإبراهيم سلامة . والدراسة التي كتبها شكري عياد في ذيل ترجمته لكتاب أرسطو في الشعر بعنوان البلاغة وكتاب الشعر ص٢٢٧ ، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .

٢٤- جمهرة البلاغة ، ص ٨ .

٢٥- المرجع نفسه ، ص ٨ .

٢٦- علماً بأن أرسطو يعرّف الإنسان بأنه «الحي الناطق» انظر البيان والتبيين ١ / ٧٧ .

٢٧- جمهرة البلاغة ، ص ٩ .

٢٨- المرجع نفسه ، ص ٩ .

٢٩- نفسه ، ص ٩ .

٣٠- انظر نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر : تحقيق كمال مصطفى ·- ط٣·- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩م ، ص١٩ ، ونص قدامة: «وعلى الشاعر إذا شرع في أيّ معنى كان ، من الرفعة والضعة، والرفث ، والنزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح والعضيهة ، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة - أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة ... وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته» ص١٩ - ٢١ .

٣١- جمهرة البلاغة ، ص١٠ .

٣٢- الفهرست ، النديم ، بيروت : دار المعرفة، بدون تاريخ، ص١٨٨.

٣٣- جمهرة البلاغة ، ص ٥ .

٣٤- في الشعر ، أرسطو طاليس ، ترجمة شكري عيّاد ، ص٦٤ .

٣٥- جمهرة البلاغة ، ص ٥ .

٣٦- المرجع نفسه ، ص ٥ .

٣٧- نفسه ، ص ٦ .

٣٨- نفسه ، ص ٦ .

٣٩- نفسه ، ص ٤ .

٤٠- نفسه ، ص ٣ .

٤١- جمهرة البلاغة ، ص١٢ ، والنص موجود بالبيان والتبيين ٢ / ٨ .

٤٢- جمهرة البلاغة ، ص١٢ .

٤٣- المرجع نفسه ، ص ٢ .

٤٤- البرهان في وجوه البيان ، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب ؛ تحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بغداد : مطبعة العاني ·- ط١·- بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص ١٣٠.

٤٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ؛ حققه ، وفصّله ، وعلق حواشيه ، محمد محيي الدين عبد الحميد ·- ط٤·- بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢م ٢ / ٣٢٦ .

٤٦- هذه المقولة وردت صريحة أو ضمنيّة في كثير من المصنفات اللّغوية والنقديّة ومنها على سبيل المثال :

- الصاحبي ، أحمد بن فارس؛ تحقيق السيد أحمد صقر·- القاهرة : عيسى الحلبي ، ١٩٧٧م ، ص ٢٢٩.
- البرهان في وجوه البيان : إسحاق بن إبراهيم الكاتب ؛ تحقيق أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي·- ط١·- بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص١٥٣.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، السجلماسي؛ تحقيق علال الغازي ·- ط١·- الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٥٢ .

على أن المراد بالكذب في الشعر هو أن يقوم الشعر على قوّة تخيلية ، ورؤيا خلاّقة ليكون شعوراً جديداً بالأشياء ، وليس الشعر إلا الفطنة في النظر ، ولهذا سمي الشاعر شاعراً .

٤٧- جمهرة البلاغة ، ص ٦ ، ٧ .

٤٨- المرجع نفسه ، ص ٧ .

٤٩- نفسه ، ص ٧ .

٥٠- نفسه ، ص ٧ .

٥١- نفسه ، ص١٣ .

٥٢- نفسه ، ص ١٠ .

٥٣- شـرح ديوان زهيـر بن أبي سُلمى، صنعة الإمام أبي العباس ثعلب ،- القاهرة : مطبعة دار الكتب المصـرية ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ص١٣٨ ، ١٣٩، ورواية الديوان إذا ما أضلّ القائلين ، وعبأت له حلمي : أي جمعت .

٥٤- جمهرة البلاغة ، ص ١١ .

٥٥- المرجع نفسه ، ص١٣ .

٥٦- جـمـهرة البـلاغـة ، ص ٢١٤ ، وديوان عـبـيـد بن الأبرص ؛ تحقيق وشرح حسين نصار ، ص ١٠٠ .

٥٧- جمهرة البلاغة ، ص ١٣ .

٥٨- المرجع نفسه ، ص ١٤ .

٥٩- نفسه ، ص ٨ .

٦٠- انظر على سبيل المثال البيان والتبيين ١ / ١١٣ .
والممتع في علم الشعر وعمله ، عبد الكريم النهشلي ؛ تحقيق منجي الكعبـي ، تونس، بدون تاريخ ، ص ٣١١ .

٦١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعـراء في عـدة أنواع من صناعة الشعـر ، للمرزباني ؛ تحـقـيق علي البـجـاوي ،- القاهرة، ١٩٦٥م ، ص ٢٤٩ .

٦٢- جـمـهـرة البـلاغـة ، ص ١٥ ، والمقولتان في البيـان والتبيين للجاحظ ؛ تحقيق عبد السلام هارون ،- ط٤،- بيـروت : دار الفكر ، ٤ / ٤٦ ، والخبر الثاني في ١ / ٩٦ .

٦٣- الخبر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، الطبعة التونسية ٢١ / ٣٦٥ ، وفي البـيـان والتبيين ١ / ١٣٠ .

٦٤- جمهرة البلاغة ، ص ١٥ .

٦٥- المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٦٦- المعجم الفلسفي تأليف جميل صليبا ،- ط١،- بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م، ١/٦٢٥.

٦٧- جمهرة البلاغة ، ص ١٥ .

٦٨- المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٦٩- المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٧٠- للاتساع في هذه القضية ينظر: الشـعـرية العـربيّـة الأنواع والأغراض/ رشيد يحياوي ،- ط١،- الدار البـيـضـاء : أفريقـيـا الشرق ، ١٩٩١م ، ص١٢١ وما بعدها.

٧١- جمهرة البلاغة ، ص ١٦ .

٧٢- المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٧٣- نفسه ، ص ١٦ .

٧٤- نفسه ، ص ١٧ .

٧٥- نفسـه، ص ١٨ ونص كـلام أرسطو : «فكما أن من الناس من إنهم ليحاكون الأشياء ويمثلونها بحسب ما لهم من الصناعة أو العـادة بألوان وأشكال ، ومنهم من يفعل ذلك بوساطة الصوت ، فكذلك الأمـر في الفنون التي ذكرناها ، فـجـمـيـعـها تحدث المحاكاة بالوزن والقول والإيقاع، إما بواحد منها على الانفراد أو بها مجتمعة .
فـالإيقـاع والوزن – مـثـلاً – يستعملان وحدهما في الصفر في الناي وصنعة الضرب على القيـثـار ، ومـا قـد يكون من صنائع لها مـثل قـوتهـمـا ، كصفارة الراعي . والوزن وحده – بغـيـر إيقـاع – يسـتـخـدم في الرقص ، فـإن الرقص أيضـاً يحاكي الخلق والانفعال والفعل بوساطة الأوزان الحركية . أما الصنعـة التي تحـاكي باللغـة وحدها منثورة أو منظومة – ومن النظم مـا يكون في جـمـلة أعاريض مـجـتـمـعـة ، ومنه مـا يكون في جنس واحـد من الأعـاريض – أما هذه الصنعة فلم يعرف لها اسم حتى الآن ، فليس لدينا تسمية عامة لمشاهد سـوفـرون وكـسـناخـورس ومـحـاورات سقراط ، ولا لما قد يعمل من المحاكاة في العروض الثلاثي أو الإليجي أو غيرهما من الأعـاريض . إلا أن الناس يلحقون كلمة الشعر – أو العمل (بوياين) – بالعروض المقول فيه، فـيطلقـون اسم "الشـعـراء

الإليجيين" على فريق ، واسم الشعراء الإبي على فريق آخر، لا يرجعون في تسمية هؤلاء وأولئك شعراء إلى المحاكاة بل إلى العروض دون تمييز بين محاكٍ منهم وغير محاكٍ ، حتى لقد جرت عادتهم أنه إذا وضعت مقالة طبية أو طبيعية في كلام منظوم سمّوا واضعها شاعراً . على أنك لا تجد شيئاً مشتركاً بين هوميروس وأمبدوكليس ما خلا الوزن ، بحيث يحق لك أن تسمي الأوّل منهما شاعراً ، أما الثاني فيصدق عليه اسم الطبيعي أكثر من اسم الشاعر...» ٢٩ ، ٣٠ ، ترجمة شكري عيّاد .

٧٦- جمهرة البلاغة ، ص ١٨ .

٧٧- المرجع نفسه ، ص ١٨ .

٧٨- نفسه ، ص ١٩ .

٧٩- نفسه ، ص ١٨ .

٨٠- نفسه ، ص ١٩ .

٨١- نفسه ، ص ١٩ .

٨٢- نفسه ، ص ٢٠ .

٨٣- نفسه ، ص ٢٠ .

٨٤- نفسه ، ص ٢٢ . ونص كلام أرسطو : «فأما عن الصنعة الشعرية فينبغي أن يفضل المستحيل المقنع على الممكن غير المقنع . فقد يكون من المستحيل وجود أشخاص كالذين يصورهم زويكسيس . وأما عن تحسين الواقع فينبغي أن يكون المثال أفضل وأسمى من الحقيقة» ، ١٥٠ ، ترجمة شكري عيّاد .

٨٥- جمهرة البلاغة ، ص٢٣ .

٨٦- سورة طه ، آية ٤٤ .

٨٧- سورة النساء ، آية ٦٣ .

٨٨- سورة النحل ، آية ١٢٥ .

٨٩- جمهرة البلاغة ، ص ٢٤ – ٣٩.

٩٠- المرجع نفسه ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

٩١- نفسه ، ص ٢٥ .

٩٢- نفسه ، ص ٢٦ .

٩٣- نفسه ، ص ٢٧ .

٩٤- نفسه ، ص ٢٩ .

٩٥- ديوان بشار بن برد ، جمعه وشرحه وكمله وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور .- تونس : الشركة التونسية، ١٩٧٦م ، ٤/ ٦٩، ٧٠، ورواية الديوان وكأن رجع، وتقديم البيت الثالث على الثاني.

٩٦- جمهرة البلاغة ، ص ٣١ .

٩٧- المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

٩٨- نفسه ، ص ٣٣ .

٩٩- نفسه ، ص ٣٣ .

١٠٠- نفسه ، ص ٣٤ .

١٠١- ديوان امرئ القيس ؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٣.- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩م ، ص٥٢-٥٤ ورواية الديوان فقالوا لفتيان ، وشواء مضهب : أي لم ينضج .

١٠٢- ديوان النابغة الذبياني ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٢.- القاهرة: دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠٣ .

١٠٣- جمهرة البلاغة ، ص ٣٩ .

١٠٤- المرجع نفسه ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

١٠٥- نفسه ، ص ٣٠ .

١٠٦- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ / ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، وفيه : في جرثومة سمقا . حيناً بأحسن . فطاب فيناهما واستُنظر الثمر . وما يذرُ . فهوى من بينها .

١٠٧- ديوان عبيد بن الأبرص ؛ تحقيق وشرح حسين نصار .- ط١.- القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، ص١٢٦ .

١٠٨- كتاب أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ؛ تحقيق : هـ. ريتر.- ط٢.- بيروت : دار المسيرة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م .

١٠٩- جمهرة البلاغة ، ص ٣٦ .

١١٠- المرجع نفسه ، ص٣٨ – ٦٠ .

١١١- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر .- القاهرة : الخانجي ، ١٩٨٤هـ ، ص١٤٦ .

١١٢- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره ، صنعة : يحيى ابن مدرك الطائي ، ورواية

هشام الكلبي ؛ ودراسة وتحقيق عادل سليمان جمال.- القاهرة: مطبعة المدني ، بدون تاريخ ، ص ١٩٥ والمسبطرّ : الطريق الممتد ، وأجمح : أرسل ، والكعاب فصوص النَّرد .

١١٣- سورة إبراهيم ، آية ٢٦ .

١١٤- البيت من مقطوعة له في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .- ط٢.- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ١ / ٣٥ . وفي الأغاني ٢٣ / ٢٥١ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي تصحيح العلامة محمد الشنقيطي .- القاهرة : لجنة التراث العربي ، بدون تاريخ ، ٢/ ٩٤٥ والرواية : «شددنا شدَّة اللَّيثِ» .

١١٥- جمهرة البلاغة ، ص ٥٠ .

١١٦- المرجع نفسه ، ص ٥٠ ، ٥١ . وفيه داءٌ والمراد داهية .

١١٧- المفضليات . المفضل الضبي ؛ تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون .- ط٣.- القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٤م ، ص٢٢٨ .

وذهب عبد القاهر إلى أنه لا ترتيب فيه فقال : «إنما يجب حفظ هذا الترتيب فيها (يعني التشبيهات) لأجل الشعر ، فأما أن تكون هذه الجمل متداخلة كتداخل الجملة في الآية (٤٢ من سورة يونس عليه السلام) وواجباً فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنسق في الأشياء إذا رتبت ترتيباً مخصوصاً كان لمجموعها صورة خاصة مفردة فلا» طبعة ريتر ، ص ٩٧ .

١١٨- جمهرة البلاغة ، ص ٥١ .

١١٩- الحيوان ، الجاحظ ؛ تحقيق عبد السلام هارون .- ط٣.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، ١ / ٣ .

١٢٠- جمهرة البلاغة ، ص٥١ ، ٥٢.

١٢١- نفسه ، ص ٥٢ .

١٢٢- نفسه ، ص ٥٤ .

١٢٣- جزء من حديث لم أقف عليه فيما بين يديَّ من كتب الحديث .

١٢٤- ديوان أوس بن حجر ؛ تحقيق وشرح محمد يوسف نجم.- بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٩٢، ورواية البيت الثاني في الديوان ولكن أخوك النائي ما دمت آمناً ، وهو مكسور .

١٢٥- سورة سبأ ، آية ٥٢ .

١٢٦- جمهرة البلاغة ، ص ٥٥ .

١٢٧- المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

١٢٨- بيان إعجاز القرآن ، للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام.- ط٣.- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٦م، ص٢٩.

١٢٩- المفضليات ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

١٣٠- جمهرة البلاغة ، ص ٥٦ .

١٣١- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ٢ / ١٠٠٧ وفيه : «وأماً مهدت فأنا مت» .

١٣٢- جمهرة البلاغة ، ص ٥٧ .

١٣٣- المرجع نفسه ، ص ٥٧ .

١٣٤- نفسه ، ص ٥٧ ، ٨٥ .

١٣٥- نفسه ، ص ٨٥ .

١٣٦- سورة هود ، الآية ١ .

١٣٧- جمهرة البلاغة ، ص ٨٥ .

١٣٨- نفسه ، ص ٥٨ .

١٣٩- ديوان حسان بن ثابت ؛ حققه وعلق عليه وليد عرفات.- بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م ، ١/ ٤٣٠.

١٤٠- جمهرة البلاغة ، ص ٥٩ .

١٤١- المرجع نفسه ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

١٤٢- نفسه ، ص ٦٠ .

١٤٣- نفسه ، ص ٦٠ .

١٤٤- نفسه ، ص ٦٠ .

١٤٥- جمهرة البلاغة ، ص ٦٢ وما بعدها .

١٤٦- الخطيئة والتكفير ، من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر/ عبد الله الغذامي .- ط١.- جدَّة : النادي الأدبي الثقافي، ١٤٠٥هـ/

١٩٨٥م ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

١٤٧- جمهرة البلاغة ، ص ٦٢ .

١٤٨- سورة يس ، الآيات ٢٠-٢٧.

١٤٩- جمهرة البلاغة ، ص٦٢ ، ٦٣.

١٥٠- سورة العاديات ، الآيات ١-٥.

١٥١- شرح شواهد المغني للسيوطي ٢ / ٤٦٥ ، وخزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ؛ تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ·- ط١·- القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ٥ / ١٠٧.

١٥٢- جمهرة البلاغة ، ص ٦٣ .

١٥٣- المرجع نفسه ، ص ٣٦٦٣ .

١٥٤- سورة هود الآيات آية ٤٧-٤٨.

١٥٥- جمهرة البلاغة ، ص ٦٤ .

١٥٦- المرجع نفسه ، ص٦٤ ، ٦٥ .

١٥٧- نفسه ، ص ٦٩ .

١٥٨- سورة يس ، الآيات ٢٠-٢١.

١٥٩- جمهرة البلاغة ، ص ٦٩ .

١٦٠- نفسه ، ص ٦٦ .

١٦١- المحصول في علم أصول الفقه، الفخر الرازي ؛ تحقيق : طه العلواني·- ط١·- الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلاميّة ، ١٣٩٩هـ، الجزء الأول القسم الأول ص٤٦٧ .

١٦٢- جمهرة البلاغة ، ص٦٧ ، ٦٨.

١٦٣- المرجع نفسه ، ص ٧١ .

١٦٤- ديوان النابغة الذبياني، ص٩٦.

١٦٥- جمهرة البلاغة ، ص ٧٣ .

١٦٦- المرجع نفسه ، ص ٧٥ .

١٦٧- نفسه ، ص ٧٥ .

١٦٨- نفسه ، ص ٧٥ .

١٦٩- نفسه ، ص٨٣ .

المصادر والمراجع

١ - **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني·- تونس : الشركة التونسية .

٢ - **البرهان في وجوه البيان** ، إسحاق بن إبراهيم الكاتب ؛ تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ·- ط١·- بغداد: مطبعة العاني ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٣ - **بيان إعجاز القرآن** ، الخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ؛ تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلاّم ·- ط٣ ·- القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٦م.

٤ - **البيان والتبيين** ، الجاحظ ؛ تحقيق : عبد السلام هارون ·- ط٤ ·- بيروت : دار الفكر ، بدون تاريخ .

٥ - **جمهرة البلاغة** ، عبد الحميد الفراهي، الهند: الدائرة الحميديّة، مطبعة معارف ، ١٣٦٠ هـ .

٦ - **الحيوان** ، الجاحظ ؛ تحقيق : عبد السلام هارون ·- ط٣ ·- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

٧ - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، عبد القادر البغدادي ؛ تحقيق وشرح عبد السلام هارون·- ط١·- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٨ - **الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر**، عبد الله الغذامي ·- ط١·- جدة : النادي الأدبي الثقافي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٩ - **دلائل الإعجاز** ، عبد القاهر الجرجاني ؛ قرأه وعلق عليه محمود شاكر ·- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤م .

١٠- **ديوان امرئ القيس** ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ·- ط٣·- القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩م.

١١- **ديوان أوس بن حجر**؛ تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم·- بيروت: دار بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢- **ديوان بشار بن برد** ؛ جمعه وشرحه وكمّله وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور ·- تونس : الشركة التونسية ، ١٩٧٦م .

١٣- **ديوان حسّان بن ثابت** ؛ تحقيق: وليد عرفات ·- بيروت : دار صادر ، ١٩٧٤م .

١٤- **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره** ، صنعه يحيى ابن مدرك الطائي ورواية هشام الكلبي ؛ دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال .- القاهرة : مطبعة المدني ، بدون تاريخ .

١٥- **ديوان عبيد بن الأبرص** ؛ تحقيق وشرح حسين نصّار .- ط١ .- القاهرة : مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

١٦- **ديوان لبيد بن ربيعة** ، بيروت : دار صادر ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٧- **ديوان النابغة الذبياني** ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٢ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥م .

١٨- **شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس** ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنّا الحتّي .- ط١ .- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٩- **شرح ديوان الحماسة** ، للمرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .- ط٢ .- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٢٠- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة الإمام أبي العباس ثعلب** .- القاهرة : دار الكتب المصريّة ، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م .

٢١- **شرح شواهد المغني** ، السيوطي، تصحيح العلامة محمد الشنقيطي .- القاهرة : لجنة التراث العربي ، بدون تاريخ .

٢٢- **الشعرية العربيّة الأنواع والأغراض** ، رشيد يحياوي .- ط١ .- الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، ١٩٧١م .

٢٣- **الصاحبي** ، أحمد بن فارس ؛ تحقيق السيد أحمد صقر .- القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م .

٢٤- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، ابن رشيد القيرواني ؛ حققه محمد محيي الدين عبد الحميد .- ط٤ .- بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢م .

٢٥- **في الشعر** ، أرسطو طاليس ؛ ترجمة شكري عيّاد .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .

٢٦- **الفهرست** ، النديم ، بيروت : دار المعرفة ، بدون تاريخ .

٢٧- **كتاب أسرار البلاغة**، عبد القاهر الجرجاني ؛ تحقيق هـ. ريتر .- ط٣ .- بيروت : دار المسيرة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٨- **المحصول في علم أصول الفقه** ، الفخر الرازي ؛ تحقيق طه العلواني .- ط١ .- الرياض : مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩هـ.

٢٩- **المعجم الفلسفي** ، جميل صليبا .- ط١ .- بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧١م .

٣٠- **مفردات القرآن للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن** ، محمد جميل إصلاحي ، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ١٤٢١هـ .

٣١- **المفضليات** ، المفضل الضبّي ؛ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .- ط٣ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م .

٣٢- **الممتع في علم الشعر وعمله** ، عبد الكريم النهشلي؛ تحقيق منجي الكعبي .- تونس، بدون تاريخ.

٣٣- **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع** ، السجلماسي ؛ تحقيق علال الغازي .- ط١ .- الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .

٣٤- **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر** ، المرزباني ؛ تحقيق علي البجاوي .- القاهرة، ١٩٦٥م .

٣٥- **نقد الشعر** ، قدامة بن جعفر ؛ تحقيق كمال مصطفى .- ط٣ .- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م .

المكتبات المدرسية في الدول المتقدمة والدول العربية
نظرة تحليلية مقارنة

مبارك بن سعد سليمان
جامعة الملك سعود - الرياض

تمهيد :

مما لا شك فيه أن مرافق المعلومات في أي مجتمع من المجتمعات تتكامل فيما بينها تكاملاً عضوياً بحيث تشكل ما يعرف بالنظام الوطني لمرافق المعلومات . ويسعى هذا النظام في الأساس إلى تقديم خدمات المعلومات ، والسعي الحثيث إلى توصيل المعلومات إلى المستفيدين بكل الأساليب التقليدية وغير التقليدية ، وذلك إيماناً بأن المعلومات هي المورد الحقيقي لتقدم المجتمعات ورقيها ، وأن استثمارها في خدمة قضايا المجتمع يفوق كل ما عداها من مقومات، وليس أدل على ذلك من أن الدول الحريصة على الأخذ بأسباب التقدم عملت جاهدة بكل ما تملك من أساليب على دعم مقومات استثمار المعلومات، وربطها بجميع جوانب الحياة ، وبالتالي حرصت على دعم المؤسسات والمرافق التي تقدم خدمات المعلومات دعماً مادياً ومعنوياً، كما حرصت على تطوير خدماتها ومناشطها وأهدافها ، وتطوير سبل الضبط الببليوجرافي لمصادر المعلومات .

والمتأمل في مدى ترابط مرافق المعلومات في أي مجتمع يلحظ أنها تشكل - كما أشرنا من قبل - منظومة متكاملة، من المكتبات بأنواعها كافة، ومراكز التوثيق والمعلومات بتباين توجهاتها وأهدافها، وغير ذلك من مراكز الإرشاد ومراكز تحليل المعلومات العامة منها والمتخصصة .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن المكتبات المدرسية تشكل من وجهة نظرنا القاعدة الأساسية لجميع هذه المرافق ، ذلك لأسباب كثيرة لعل من أهمها أن هذه الفئة من المكتبات تتعامل في الأساس مع الإنسان في مراحل حياته المبكرة ، وفي مراحل تعلمه وتربيته الأساسية وبالتالي فإن ما تحدثه من أثر في هذا الإنسان يظل ملازماً له طوال حياته . من هذا المنطلق كان للمكتبة المدرسية وظائف متعددة ، تعليمية وتربوية وتثقيفية وترفيهية وإعلامية ، فالوظيفة التربوية تكمن في غرس العادات والقيم الراقية ومراعاة النظام والمحافظة على الممتلكات العامة، المتمثلة في مقتنيات المكتبة ومواردها . كما تمثل الوظيفة التعليمية في خدمة المكتبة لأهداف المناهج والمقررات الدراسية وإتاحة الفرصة للتلميذ لمزيد من المعرفة من خلال تقديم مصادر المعلومات الأخرى غير تلك المقررة عليه ، وبالتالي تؤدي إلى توسعة مداركه وإكسابه القدرة على تحصيل المعلومات بنفسه من تلك المصادر ، لا الاعتماد على المدرس وعلى عمليات التلقين ، كما تتمثل الوظائف الترويحية والترفيهية في توفير المكتبة للمواد والمصادر التي تساعد التلميذ على استثمار وقت الفراغ بالنافع المفيد الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والفلاح ، أما الوظيفة الإعلامية فتكمن في إتاحة وتوفير المكتبة المدرسية للمصادر والوسائل الإعلامية كالصحف والمجلات والإذاعة المسموعة والمرئية ... إلخ . التي تحيط التلميذ علماً بكل ما يدور في بيئته ومجتمعه .

موضوع الدراسة وأهميتها :

في إطار الرؤية السابقة للباحث ، يمكن القول بأنه بقدر قناعة المجتمع ورؤية متخذي القرار فيه ، بذلك الدور الذي يمكن أن تنهض به المكتبة المدرسية ، والأثر الإيجابي الذي يمكن أن يحققه هذا الدور ، وبقدر قناعتهم كذلك بوظائفها الأساسية ، وما يرتبط بها من وظائف فرعية وما تحققه من أهداف ، تكون نظرة

المجتمعات لها ، ويكون دعم متخذي القرار والمسؤولين لها حتى تحقق هذه الوظائف والأهداف ، ولا شك أن ذلك يختلف من مجتمع لآخر، ومن بيئة لأخرى نظراً لاختلاف ظروف المجتمعات وتباين رؤى المسؤولين واختلاف توجهاتهم . من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة التي تحاول إلقاء الضوء على واقع المكتبات المدرسية في مجتمعين متباينين ، مجتمع الدول العربية من ناحية ، ومجتمع الدول المتقدمة من ناحية مقابلة .

أهداف الدراسة :

في إطار العرض السابق لموضوع الدراسة ومحور اهتمامها يمكن القول بأن الدراسة تسعى إلى تحقيق هدفين أساسين هما :

١ - إلقاء الضوء على واقع المكتبات المدرسية في بعض الدول النامية متمثلة في الدول العربية ، وفي بعض المجتمعات المتقدمة .

٢ - المقارنة بين مدى توافر مقومات وجود المكتبات المدرسية وخدماتها ومواردها وأنشطتها في هذين المجتمعين ، ويشمل ذلك ما يلي :

أ - واقع العاملين .

ب - واقع الخدمات .

جـ - واقع تقنيات المعلومات .

د - واقع المباني والتجهيزات .

هـ - برامج تدريب المستفيدين .

ويشكل عام يمكن القول بأن ما تسعى الدراسة إلى تحقيقه يمكننا من الإجابة عن هذا التساؤل الحيوي الذي يتبلور فيما يلي :

- إلى أي مدى تتوافر مقومات نجاح المكتبات المدرسية في أداء وظائفها في بعض المجتمعات العربية وفي بعض المجتمعات المتقدمة ، وما هي أبرز أوجه التفاوت بين هذين المجتمعين ؟

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تقوم باستعراض واقع المكتبات المدرسية ومراكز مصادر التعلم في العالم العربي ، ثم استعراض واقعها في الدول المتقدمة ، ثم دراسة العوامل المؤثرة في الجانبين . وإبراز نقاط القوة والضعف فيهما ، وأخيراً محاولة استثمار نقاط القوة في دعم مقومات المكتبات المدرسية ومراكز المعلومات في العالم العربي . وتجدر الإشارة إلى أن استعراضنا لواقع المكتبات في كلا المجتمعين يستند أساساً إلى قراءة في الإنتاج الفكري السابق المنشور عن هذا الموضوع بالإضافة إلى المعايشة والملاحظة لهذا الواقع .

النتائج والتحليل :

الجانب الأول - المكتبة المدرسية والمنهج المدرسي في المجتمعات العربية والمتقدمة .

أولاً - المكتبة المدرسية والمنهج في العالم العربي :

يعد وجود المكتبة المدرسية من أهم مظاهر النهضة التربوية وتطوير العملية التعليمية التي تتميز بها المدارس الحديثة ، فقد أجمعت كثير من الدراسات : محمد سعيد (١٩٨٩م) ، عمر همشري (١٩٩٤م) ، مود اسطفان هاشم (١٩٩٤م)، وغيرهم ، أن المكتبة المدرسية تهدف إلى مساندة العملية التربوية وتدعيمها وتحسينها، ولها دور أساسي في تكوين الانتماء الثقافي للمجتمع ، وتزويد الطلاب بمصادر معلومات أخرى غير الكتاب المدرسي . ولكي يؤدي المنهج الدراسي الهدف المنشود منه لا بد من توافر مجموعة شروط أساسية حصرها سلمان الشطي في النقاط التالية :

١ - مراعاة الفروق بين التلاميذ .

٢ - توفير جميع أوعية المعلومات المختلفة من كتب وغيرها ، وعدم الاعتماد على الكتاب المدرسي .

٣ - تنمية الميول والقدرات لدى الطلاب، وربطها بالمكتبة المدرسية للاستفادة منها .

ويرى بعض الباحثين أهمية التقويم التربوي لدور المكتبة المدرسية ، والتعاون بين أمين المكتبة والمدرسين ، ولا بد من كسر الحواجز التقليدية بين المقررات الدراسية، وتوفير مصادر المعلومات للمدرسين والطلاب ، وضرورة وجود علاقة وثيقة بين المكتبة المدرسية والمناهج الدراسية،

وفي دراسة ميدانية لاستخدام المكتبة المدرسية بالمدارس المتوسطة بالكويت ، وأثرها في العملية التربوية ، (أحمد العلي وغيره ١٩٩٦م) ثبت منها :

١ - عدم تنوع مصادر المعلومات التي تخدم المادة الدراسية مثل : المواد السمعية والبصرية وغيرها .
٢ - عدم توافر المراجع المتخصصة في مجال المواد الدراسية ، وعدم تعاون أمين المكتبة مع المعلم .
٣ - عدم الاستفادة من حصة المكتبة بالشكل المطلوب في تنمية المهارات المكتبية .
٤ - وجود مشكلة تتعلق بتوافر الخدمات المرجعية هناك أيضاً، ومشكلة بالخطة الدراسية والمنهج الدراسي وأساليب التقويم .

وقد نشرت عدة دراسات أخرى حول المكتبات المدرسية وأثرها على العملية تناولت واقع المكتبات المدرسية ، والعوائق التي تحول دون أداء المكتبة المدرسية دورها الفاعل في العملية التعليمية ، وعدم التعاون بين الإدارة وبين أمناء المكتبات والطلاب . وتناولت أيضاً واقع المكتبات وسبل تطويرها ، ومدى العلاقة بين المكتبة المدرسية والمنهج الدراسي (انظر على سبيل المثال : أحمد العلي وغيره ١٩٩٦م)، وانتهت جميعها إلى تجسيد الواقع المتدهور الذي تعيشه المكتبات المدرسية في الدول العربية ، وهو واقع ينبئ عن انفصام تام بين المكتبة والمدرسة والعملية التعليمية برمتها .

ثانياً - المكتبة المدرسية والمنهج في الدول المتقدمة :

من خلال استعراض آراء بعض الباحثين والمتخصصين في هذا المجال عن دور المكتبة المدرسية وعلاقته بالمنهج في الدول المتقدمة يتجسد لنا كيف ننظر إلى المكتبة المدرسية ؛ حيث يرى بعض الباحثين أن المكتبة المدرسية مكان مساند للعملية التعليمية من خلال المواد التي تدرس ، مما يؤدي إلى توسيع مدارك أفكار الطلبة، وتنمية ميولهم القرائية ، والقدرة على التفكير والإبداع المستمر (Eberhart , 1985) .

كما يشير (Makenna , 1994) ، إلى أن المكتبة المدرسية المتكاملة ، تلبي احتياجات الطلبة ، من موهوبين وعاديين ، وبرامج المكتبة جزء أساسي ومهم من المنهج الدراسي ، ومن خلال ذلك يظهر مفهوم محو الأمية المعلوماتية ، وتزويد كل مكتبة بالتجهيزات المناسبة التي تساعد على توصيل المادة العلمية للفرد والمجتمع على حد سواء .

ولذلك كان لمفهوم محو الأمية المعلوماتية أثرٌ واضح في المناهج الدراسية ، وتظهر أهميته من خلال آراء بعض الباحثين في أن مفهوم محو أمية المعلومات هي بمثابة قاسم مشترك بين كل من المنهج والمكتبة ، وذلك باكتساب الطالب المهارة في الوصول إلى المعلومات المطلوبة ، مع طريقة جديدة في التفكير وكيفية استخدامها ، ويتطلب ذلك ثلاث مهارات أساسية في استخدام مصادر المعلومات ، وهي :

١ - المهارة في التعامل مع مصادر المعلومات .
٢ - المهارة في حل المشكلات الخاصة بالتكاليف وإيجاد الحلول المناسبة لها .
٣ - المهارة الإنسانية، وهي الإحساس بالمسؤولية تجاه الحياة .

ولا شك أن مفهوم محو الأمية المعلوماتية عن طريق استخدام التقنية الحديثة في التعلم ، مثل الكمبيوتر، لا يعني معرفة تشغيل الجهاز ، بل هو أشمل من ذلك بكثير ، هو بحث عن المعلومات واستخدام البرامج التعليمية وحفظها وكتابة التقارير والبحوث العلمية وسواها . وفي سنة ١٩٨٨م وضعت نظرية تتبنى مفهوم محو الأمية المعلوماتية ، من خلال مشكلة المعلومات بالمهارات الستة الأساسية التالية التي تتمثل في :

١ - مهارة معرفة التكاليف ، وتحديد الشيء المطلوب، وتحديد المعلومات .
٢ - مهارة تخطيط عملية البحث وذلك بتحديد مصادر المعلومات المناسبة واختيار الأفضل منها .
٣ - مهارة تحديد أماكن وعناوين مصادر المعلومات.
٤ - مهارة استثمار المعلومات المتوافرة التي يحصل

عليها وذلك بالتفاعل معها وانتقاء المناسب منها لحل المشكلة المطروحة .

٥ - مهارة عرض المعلومات وذلك بتنظيمها وعرضها بطريقة منطقية .

٦ - مهارة تقييم العمل الذي تم إنجازه .

وقد طبقت هذه المهارات في ولاية مينيسوتا الأمريكية من خلال منهج مقرر الكمبيوتر التعليمي . وتبين أن تطبيق هذه المهارات مختلف باختلاف احتياجات المدرسين للمواد المتوفرة في المكتبة المدرسية كعملية مساندة للمنهج المدرسي ، فقد يستعين بها في مادة أو جزء من المنهج ولا يستعين بها في منهج آخر (Association American) . في هذا إشارة واضحة إلى الربط الوثيق بين المكتبة المدرسية والمقررات الدراسية تأكيداً ودعماً لدورها ووظيفتها التربوية .

الجانب الثاني - العاملون في المكتبات المدرسية ومراكز مصادر التعلم :

أولاً - المكتبات المدرسية ومراكز مصادر التعليم في العالم العربي :

إن أهم عنصر من عناصر الخدمة المكتبية هو العنصر البشري ، ولا بد أن تتوافر له مؤهلات متميزة في مجال المكتبات والمعلومات ، وأهم مواصفات العاملين بالمكتبات كما يراها بعض الباحثين مثل أحمد علي تاج (١٩٩١م)، وناصر السويدان (١٩٩٦م)، وغيرهم هو المؤهل العلمي والحماس للعمل والقدرة على تأدية مهامه الوظيفية، والثقة بالنفس ، وقوة التحمل، والمرح ، والتعاون ، والصبر وغيرها .

وقد حدد ربحي عليان الواجبات الرئيسة لاختصاص مركز مصادر التعلم في التالي :

١ - ينظم مركز مصادر التعلم بالمدرسة .

٢ - يدرس مبادئ البحث والحصص الثقافية والأدبية حسب البرنامج .

٣ - يقدم المشورة للمعلمين .

٤ - يصنف الكتب والمواد السمعية والبصرية .

٥ - يحافظ على العهدة ، وينظم استخدام الأجهزة والمواد التعليمية .

٦ - ينظم الإعارة والاسترجاع .

٧ - يوفر احتياجات المركز من مصادر تعليمية كما يوفر التسهيلات للمعلمين .

٨ - يعد خطة عمل سنوية ، ويطور نظم العمل وأساليبه .

ويفضل آخرون أن يعمل في المكتبات متخصصون في علم المكتبات ولديهم الخبرة الكافية ، والاستعداد الشخصي ، وضرورة التعاون بين أمين المكتبة والمعلم (حسين الطويجي ١٩٨٠م ، وناصر السويدان ١٩٩٦م) .

وحدد أحمد علي تاج (١٩٩٠م) فئات العاملين بالمكتبات المدرسية في مصر ونوعيات وظائفهم ، على النحو التالي :

١ - أخصائيو المكتبات .

٢ - هيئة التوجيه الفني .

٣ - هيئة الإدارة .

٤ - الموظفون الكتابيون .

٥ - العمال .

وقد تناولت بعض الدراسات (ناصر الموسوي وفيصل الحواجي ١٩٩٤م) تقييم العنصر البشري في المكتبات المدرسية بمصر والمملكة العربية السعودية فبينت قلة العناصر المؤهلة المتخصصة في مجال المكتبات بل وعدم توافر الحد الأدنى من أمناء المكتبات في معظم المدارس ، وأشارت كذلك إلى أن العاملين غير مؤهلين وينقصهم التدريب المكتبي . ناهيك عن إسناد مهام المكتبات المدرسية لغير المتخصصين .

ثانياً - في الدول المتقدمة :

يرى بعض الباحثين من تلك الدول أهمية التعاون بين المدرسين وأمين المكتبة حيث أصبح دور أمين المكتبة ضئيلاً في ظل مصادر المعلومات الإلكترونية ، وأصبح أمين المكتبة أخصائياً للمعلومات لكل من الطالب والمدرس . كما أن نجاح المكتبة المدرسية يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية أمناء المكتبة المتخصصين في مجال المعلومات وعددهم .

ويجب على أمين المكتبة التعرف إلى طبيعة المناهج الدراسية وتطوير سياسة المكتبة والتعاون بين كل من الإدارة والمدرسين والطلبة ، كما أن دور أمين المكتبة يكمن في مجال المعلومات، والتعامل مع الكمبيوتر، والإنترنت للوصول إلى عالم المعرفة .

ويشير (Simpson , 1996) إلى أن لأمين المكتبة دوراً إيجابياً في زيادة الثقة بمقدرة المكتبة على الإفادة من مصادر المعلومات، وكما أن له دوراً قانونياً من حيث معرفة مشاكل حقوق الطبع والنشر وما يرتبط بذلك من السرقات العلمية وغيرها .

وهناك إشارات كثيرة إلى أن تلك الدول تحرص على توفير أمناء المكتبات المؤهلين في هذه المكتبات، دعماً لوظيفتها، بل وتضع ضوابط محددة وصارمة لمن يتهاون في أداء مهام العمل بالمكتبات المدرسية ومراكز مصادر التعلم .

الجانب الثالث – خدمات المكتبة المدرسية :

أولاً – في العالم العربي :

للمكتبة المدرسية خدمات وأنشطة كثيرة يستفيد منها الطالب والمعلم على حد سواء، ويرى سالم السالم في هذا الصدد أنه لا بد من القيام بالخدمات والأنشطة التي تسهم في زيادة ثقافة الطفل وغرس حب القراءة والاطلاع لديه .

وللمكتبة المدرسية دور واضح في عملية الاتصال الثقافي مع التلاميذ من خلال ثلاثة مستويات يحددها عمر أحمد همشري (١٩٩٤م) في التالي :

١ – الاتصال الشخصي، أي الاتصال المباشر مع التلميذ من خلال إرشاده وتوجيهه .

٢ – الاتصال المجتمعي من خلال اشتراكه في لجنة أصدقاء المكتبة وغيرها .

٣ – الاتصال الجماهيري من خلال حصة المكتبة والبرنامج التدريبي بكيفية استخدام المكتبة، والأنشطة تهدف إلى تنمية ثقافة المستفيدين والارتقاء بمستواهم التعليمي والفكري .

ويرى ربحي عليان (١٩٨١م) أن أبرز الخدمات التي تقدمها المكتبة المدرسية تتمثل في :

١ – خدمة الإعارة الداخلية والخارجية .

٢ – الخدمات المرجعية والإرشادية .

٣ – الخدمات الإعلامية .

٤ – خدمات التصوير والنسخ .

٥ – خدمة تدريب الطلبة والمعلمين على التعامل مع مصادر المكتبة وخدماتها .

وقد تناول سالم السالم (١٩٩٧م) هذا الجانب بالدراسة والتحليل في سياق دراسته حول مكتبات الأطفال العامة في دول الخليج العربي ، وقد انتهى في دراسته إلى جملة من النتائج لعل أبرزها ما يلي :

١ – عدم وجود فلسفة واضحة لخدمة المعلومات الموجهة للطفل .

٢ – اقتصار الخدمات على الفئات التي تحضر إلى المكتبة وإهمال الآخرين كالمعاقين والمكفوفين .

٣ – افتقار المكتبات إلى المواد السمعية والبصرية .

كما انتهت دراسة أخرى لناصر السويدان (١٩٩٦م) تناولت واقع المكتبات المدرسية في الخليج العربي إلى عدة نتائج أهمها :

١ – ضعف الخدمات التي تقدمها المكتبات للطلاب والمدرسين .

٢ – عند وجود الخدمة فهي إعارة وإرشاد الطلاب عند البحث عن المواد، أما بقية الخدمات المهمة فقليلة أو معدومة أحياناً .

٣ – اختلاف في خدمة الإعارة من مدرسة لأخرى .

٤ – بيانات الإعارة كانت غير منضبطة، وأعمال الفهرسة والتصنيف غير مكتملة .

وهناك دراسات أخرى : إيمان باناجه (١٩٨٦م)، كاظمية منصور ناصر (١٩٩٠م)، محمد الغول (١٩٨٦م) أكدت ضآلة دور المعلم في النهوض بالمكتبة والارتقاء بمستوى الخدمات التي يمكن أن تقدمها لمرتاديها من الطلبة والمدرسين ، وقصور الخدمات والأنشطة التعليمية

والتربوية والتثقيفية المقدمة للمستفيدين وتدني حجم الإعارة في المكتبات المدرسية .

ثانياً – في الدول المتقدمة :

أظهرت كثير من الدراسات (Eberhart , (1985)' Dole, (1994) أن المكتبات المدرسية في معظم الدول المتقدمة تعمل على توفير خدمات متعددة وأنشطة متفاوتة ويلخصها بعض الباحثين في الخدمات التالية :

١ – توفير مصادر المعلومات التي تدعم المناهج الدراسية وكيفية استخدامها .

٢ – تنظيم مقتنيات المكتبة عن طريق توفير الفهارس والببليوجرافيات .

٣ – بناء المجموعات وتوفير المعلومات للمدرسين والطلبة في المكتبة وفي الفصول الدراسية .

٤ – دعوة الطلبة والمدرسين للمساعدة في بناء المجموعات المكتبية .

٥ – تيسير إجراءات الإعارة الداخلية والخارجية وتبادل الإعارة بين المكتبات .

٦ – تدريب الطلبة والمدرسين على كيفية استخدام المكتبة وكيفية الحصول على المعلومات في المطبوعات والمرئيات .

٧ – تقييم المجموعات المكتبية بالمشاركة مع المدرسين والطلبة .

٨ – العمل والمشاركة مع الجهات التعليمية للتخطيط لكيفية تطبيق المنهج الدراسي .

٩ – الإشراف على برامج المكتبة المدرسية وتوجيه الطلبة والمدرسين .

١٠– توفير خدمة الاتصال بمصادر المعلومات من خلال شبكة الإنترنت .

الجانب الرابع – تقنيات المعلومات الحديثة بالمكتبات المدرسية :

أولاً – في العالم العربي :

إن المكتبات هي من أهم وسائل نقل المعرفة إلى أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية ، ولا بد من إيجاد مصادر معلومات مختلفة لأغراض الدراسة والبحث والثقافة والتسلية، ومن أهم مصادر المعلومات بالمكتبة المدرسية الكتب ، والدوريات والمراجع والمواد السمعية والبصرية .. إلخ . ويعد الحاسب الآلي أحد مصادر المعلومات الأساسية للثقافة والتعلم .

وقد ثبت من خلال بعض الدراسات عن واقع المكتبات في العالم العربي أن الكتاب يكاد يكون هو المصدر الوحيد بالمكتبة وليست ثمة مصادر أخرى غيره (مريم جبر، ١٩٨٥م) ، و يوسف قنديل ، ١٩٩٤م) .

وقد أشارت دراسة أخرى عن المكتبات في المدارس الثانوية في البحرين (ربحي عليان ١٩٩٤م) إلى قلة عدد الكتب ، وقلة تنوعها ، والأجهزة السمعية والبصرية تقليدية ، وأن الحاسب الآلي لا يتوافر إلا في مكتبة واحدة . وقد تم تحسين الوضع في البحرين عام (١٩٩٢م) فزاد عدد الكتب وزاد عدد الحاسبات الآلية وتحولت المكتبات إلى مراكز مصادر تعلم .

ومن خلال دراسة مشابهة للمكتبات المدرسية في المملكة (محمد أمين مرغلاني، ١٩٨٦م)، (عبدالعزيز المسفر، ١٩٨٨م)، تبين أن المكتبات ما زالت بحاجة إلى مواد غير الكتب والأجهزة، وأن المكتبات لم تحظ إلا بالقليل من بوادر التطور .

وهناك دراسات أخرى مشابهة في مصر والخليج العربي : محمد الغول (١٩٨٦م)، (سعيد إبراهيم ١٩٩٦م)، (ناصر السويدان ١٩٩٦م) ، كان من نتائجها :

* قلة مقتنيات المكتبات .
* صغر حجم المكتبات .
* قلة الدوريات أو انعدامها، وكذلك الحال مع الخرائط والصحف .
* قلة المواد السمعية والبصرية أو انعدامها .
* خدمات المكتبة قليلة وضعيفة، مما يضعف دورها الفاعل في المدرسة .

ثانياً – في الدول المتقدمة :

تشير كثير من الدراسات إلى أن المكتبات في الدول المتقدمة تسعى سعياً واضحاً إلى توفير مصادر المعلومات

التقليدية وغير التقليدية ويحددها (Foote, 1995) في :

١ - المواد التقليدية المطبوعة مثل :
- كتب المراجع مثل الموسوعات .
- كتب السير الذاتية .
- الكتب العلمية .
- القصص والسلاسل .
- الدوريات المتنوعة (صحف ومجلات)

٢ - المواد السمعية والبصرية .

٣ - المواد الإلكترونية :
- استخدام الاتصال المباشر مع قواعد البيانات المتنوعة .
- استخدام أقراص الليزر .
- استخدام شبكات المعلومات المحلية والعالمية .

الجانب الخامس - التسيير الإداري والفني للمكتبات المدرسية بالاعتماد على استخدام تقنيات وأنظمة الحاسب :

أولاً - في العالم العربي :

ثبت من دراسة ناصر السويدان (١٩٩٦م) التي تتعلق بالإدارة المركزية المسؤولة عن المكتبات المدرسية عدة نتائج من أهمها :

١ - تكليف إدارة المكتبات المدرسية بإدارة مكتبات أخرى مما يشتت جهودها ويقلل اهتمامها بالمكتبات المدرسية .

٢ - قلة الإمكانات والقدرات المالية والبشرية لهذه الإدارات، مما يؤدي إلى عدم تلبية حاجات المكتبات المدرسية .

٣ - من أسباب ضعف إدارة المكتبات، موقعها في الهيكل التنظيمي للوزارة، فهي في أكثر الدول إدارة صغيرة متفرعة عن إدارة أخرى، ومدير الإدارة غالباً يشغل وظيفة صغيرة، أو متوسطة، فيدل على ضعفها وعدم الاهتمام بها .

٤ - افتقار أكثر الإدارات إلى التنظيم الداخلي، يضاف إلى ذلك قلة الموظفين في الإدارة .

٥ - قلة الصلاحيات المخولة لهذه الإدارات في المبنى والتأثيث والتجهيز .

٦ - عدم تنفيذ اللوائح والقرارات الخاصة بالمكتبات المدرسية .

٧ - ضعف التنسيق والترابط بين الإدارات المختلفة في أجهزة التعليم له أثر في التقليل من شأن المكتبة .

٨ - ضعف الإشراف الفني والإداري للمكتبات .

٩ - اختيار مصادر التعليم لا يتم عادة على أسس علمية .

١٠- عدم تنظيم الفهرسة والتصنيف وقصورها .

١١- تأثير مديري المدارس على المكتبات فهناك ثلث المديرين لا يؤمنون بالدور التربوي للمكتبة .

ويتبين من ذلك أن الإجراءات الإدارية والفنية للمكتبات المدرسية في العالم العربي تقدم بالطريقة التقليدية، ولم تعتمد على استخدام التقنيات الحديثة وأنظمة الحاسب لتطوير أعمالها الإدارية والفنية .

ثانياً - في الدول المتقدمة :

استخدمت التقنيات الحديثة في الدول المتقدمة مبكراً، وقد أشارت بعض الدراسات Coulehan, (1995)' Ei-senberg, (1992) إلى أنه خلال الفترة من عام ١٩٧٠م إلى ١٩٩٠م تمت ميكنة غالبية المكتبات المدرسية في أمريكا واستخدام لذلك نظام OPAC كنظام جيد لميكنة المكتبات ، (Eberhart, 1995) وذكرت أيضاً بأن ميكنة المكتبات المدرسية أدت إلى تطور إدارتها وذلك لعدة أسباب منها :

١ - سهولة ويسر استعمال الفهارس للطلبة والمدرسين .

٢ - تقليل المجهود على أمين المكتبة .

٣ - تقليل الأخطاء في الفهارس وسهولة تعديل الخطأ .

٤ - زيادة فاعلية إدارة المكتبة المدرسية .

٥ - توفير في ميزانية المكتبة .

الجانب السادس - تدريب المستفيدين :

أولاً - في العالم العربي :

ذكر عبدالله الصوفي (١٩٩٣م)، في دراسة حول المكتبات المدرسية أنه لا بد من توفر الإمكانات البشرية المدربة والإمكانات المادية وتيسير السبل والوسائل كافة لتقوم المكتبة بإعداد الطلبة إعداداً سليماً سواء من الطلاب

المقبلين على المكتبة أو غيرهم .

أما حسن عبدالشافي (١٩٨٦م)، فإنه يرى أنه لا بد من تدريب الطلبة على المهارات المكتبية من خلال تنميتها في استخدام مصادر المعلومات المتاحة في المكتبة المدرسية. ومن خلال استعراض بعض الدراسات التي أجريت حول المكتبات المدرسية : (إيمان باناجة ، ١٩٨٦م)، عبدالإله الخناني ، ١٩٨٩م) ، تبين ما يلي :

١ - انحصار ارتياد المكتبة للطلاب في الجامعة فقط، وهذا يؤثر على حصيلته العلمية حين يصبح معلماً .

٢ - وجود بعض المشاكل في الوقت المخصص لاستخدام المكتبة وفيما يتعلق بتدريب التلاميذ على استخدامها .

٣ - عدم وجود تدريب للتلاميذ ، أو عدم تخصيص وقت لزيارة المكتبة .

٤ - عدم تدريب المتعلمين على كيفية استخدام مصادر الاطلاع .

ثانياً - في الدول المتقدمة :

يرى بعض الباحثين Englewood, (1995)' Kuhlthau, (1995) أن نجاح برامج المكتبة المدرسية يتمثل في توفر أساسيات هامة منها :

١ - زيادة عدد مصادر المعلومات .

٢ - سعة المكتبة وزيادة عدد الموظفين .

٣ - زيادة أعداد المجموعات المكتبية الأخرى .

٤ - توفر أخصائي معلومات متفرغ لمساعدة وتوجيه الطلاب والمدرسين .

٥ - مشاركة أخصائي المعلومات بتحضير الدروس .

٦ - التعاون مع الطلاب في كيفية استخدام المكتبة .

٧ - توفير المواد المتعلقة بالتدريس والمنهج المدرسي .

كما يروا أن أخصائي المعلومات يخطط مع الجهات التعليمية لعمل البرامج التعليمية ويكسب التلاميذ المهارات المناسبة التي من أهمها :

١ - مهارات أساسية مثل التعامل والفهم .

٢ - مهارات فكرية لحل المشاكل ووضع البدائل .

٣ - مهارات شخصية كالإحساس بالمسؤولية والقدرة على الإدارة .

ولتزداد الفائدة في المكتبة المدرسية ، لا بد من :

١ - تعليم الطلبة والمدرسين كيفية البحث عن المعلومات باستخدام الأجهزة الحديثة .

٢ - توفير التعليمات للمساهمة في المناقشة بين الطلبة وتنمية ميولهم وقدراتهم .

٣ - توفير المناخ الملائم لتطوير المهارات وتشجيع الطلاب على المعرفة .

٤ - أن تعكس الآراء المختلفة في مختلف الأزمنة لمواضيع متنوعة مما يؤكد أن المكتبة رمز للحرية والتحدث وسماع آراء الآخرين .

الجانب السابع - مباني المكتبات المدرسية وتجهيزاتها :

أولاً - في العالم العربي :

موقع المكتبة المدرسية أمر مهم ، وله أولوية في استخدام المكتبة وفاعليته ، ويشترط في الموقع المناسب شروط ذكرتها كاظمية منصور من أهمها :

١ - أن يكون متوسطاً سهل الوصول إليه .

٢ - بعيداً عن الضوضاء والإزعاج كالملاعب .

٣ - أن تكون إضاءته جيدة ويدخله الهواء النقي .

٤ - أن يمكن التوسع فيه مستقبلاً أفقياً وعمودياً .

أما مساحة المكتبة فهي على أقسام :

١ - مساحة للقراءة والمطالعة .

٢ - مساحة للعاملين في المكتب .

٣ - مساحة للمواد السمعية والبصرية .

٤ - مساحة للإعداد الفني لمصادر المعلومات (كالتسجيل والفهرسة ...) .

٥ - قاعة للاجتماعات والأنشطة .

كذلك لا بد من وجود أثاث مناسب للمكتبة وأجهزة ملائمة ومن أبرز مواصفاتها :

١ - قوه التحمل والمتانة .

٢ - القدرة على أداء الوظيفة المطلوبة والكفاية من

حيث العدد .

٢ - المرونة والقابلية للنقل والتبديل والحركة .

ومن أنواع الأثاث اللازم : الرفوف ، والمقاعد، والطاولات ، وأدراج ، وحاملات ، ومكاتب للعاملين ، وخزائن للملفات ، ومقصورات للقراءة ، وأجهزة للمواد السمعية والبصرية والتصويرية ونحوها .

والمتأمل في واقع مباني المكتبات المدرسية وتجهيزاتها في بيئتنا العربية يلاحظ إنها لا تتفق والمعايير المناسبة . فقد ثبت من دراسة السويدان على سبيل المثال ما يلي :

* أن أكثر المكتبات غير ملائمة ومساحتها صغيرة .
* أن الأثاث غير مناسب والأجهزة غير ملائمة وغير كافية .

وتبين من دراسات أخرى مشابهة عدم ملائمة مبنى المكتبة المدرسية من حيث الموقع والحجم والتجهيزات المختلفة : (ناصر الموسوي ، ١٩٩٤م) ، و (ربحي عليان ، ١٩٩٤م) ، و (فوزية مصطفى ، ١٩٩٢م) .

ثانياً - في الدول المتقدمة :

في دراسة قامت بها إدارة التعليم في ولاية مريلاند الأمريكية (١٩٨٦م) تم وضع معايير مناسبة للمساحة المختلفة التي يجب توافرها في مبنى المكتبة المدرسية لكي

خدمات مركز مصادر التعلم	مدرسة عدد طلابها يتراوح بين ٦٠٠	مدرسة عدد طلابها يتراوح بين ٦٠٠ - ٩٠٠	مدرسة عدد طلابها أقل من ٩٠٠ - ١٢٠٠
الإعارة	٥٠٠ قدم مربع	٦٠٠ قدم مربع	٧٥٠ قدم مربع
القراءة والاطلاع	٣٠٠٠ قدم مربع	٤٥٠٠ قدم مربع	٦٠٠٠ قدم مربع
المراجع	٧٠٠ قدم مربع	١٠٠٠ قدم مربع	١٥٠٠ قدم مربع
مكاتب الموظفين	٢٠٠ قدم مربع	٢٥٠ قدم مربع	٣٠٠ قدم مربع
المواد السمعية والبصرية	٣٠٠ قدم مربع	٤٠٠ قدم مربع	٦٠٠ قدم مربع
مخزن لمختلف المواد	٢٥٠ قدم مربع	٦٥٠ قدم مربع	٨٠٠ قدم مربع
قاعة اجتماعات وتحوي مواد سمعية وبصرية وكمبيوترات	٦٠٠ قدم مربع	٧٠٠ قدم مربع	١١٥٠ قدم مربع
أرفف للمطبوعات	٦٠٠ قدم مربع	٧٠٠ قدم مربع	١١٥٠ قدم مربع
قاعة للمدرسين	٦٠٠ قدم مربع	٧٠٠ قدم مربع	١١٥٠ قدم مربع

يرقى للوصول إلى مركز مصادر التعلم، وهذه المعايير موضحة بالشكل التالي :

وكذلك من المعايير التي وضعتها بعض الولايات الأمريكية بخصوص مساحة المكتبة المدرسية ما جاء في توصيات إدارة التعليم بولاية كولورادو الأمريكية (١٩٨٩م)، وهو ضرورة وجود مساحة ٤٠ قدم مربع في مبنى مركز مصادر المعلومات لكل طالب في المدرسة . هذه النسبة تحدد الحد الأدنى في قدرة المكتبة للقيام بوظائفها على النحو التالي :

- في المرحلة الابتدائية يجب أن تكون مساحة المكتبة المدرسية كافية لاستيعاب فصل دراسي واحد بعدد ١٥ طالباً .
- في المرحلة المتوسطة يجب أن تكون مساحة المكتبة المدرسية كافية لاستيعاب فصلين دراسيين بعدد ١٥ طالباً في كل فصل .
- في المرحلة الثانوية يجب أن تكون مساحة المكتبة المدرسية كافية لاستيعاب ثلاثة فصول دراسية بعدد ١٥ طالباً في كل فصل .

وبما أن المكتبة المدرسية تمتد خدماتها إلى خارج جدرانها حيث الفصول الدراسية فإنه يتعين على الفصول الدراسية التي تحتاج في تدريس مقرراتها إلى المعلومات التكنولوجية بأن تتجهز بشبكة محلية متصلة بالمكتبة ويكون في كل فصل دراسي في المرحلة المتوسطة جهاز كمبيوتر واحد لكل طالبين .

الخاتمة :

حاولت الدراسة إلقاء الضوء على واقع المكتبات المدرسية في الدول العربية وبعض المجتمعات المتقدمة من خلال استعراض بعض الأدبيات المكتوبة وذلك عبر جوانب سبعة أساسية جاءت على النحو التالي :

الجانب الأول : وتناول علاقة المكتبة المدرسية بالمنهج الدراسي، ومن نتائج هذه الدراسة ، وجود ارتباط وثيق بين المكتبة المدرسية والمنهج الدراسي في معظم الدول المتقدمة، وفي بعض الدول المطبقة لنظام المقررات المدرسية . أما غالبية مناهج مدارس الدول العربية فعلاقتها بالمكتبة المدرسية ضعيفة، أما مناهج مدارس الدول المتقدمة فقد اعتمدت على المكتبة المدرسية في تدريس وتطوير مقرراتها الدراسية وتحقيق مفهوم محو الأمية المعلوماتية واستخدام تكنولوجيا المعلومات المتطورة .

الجانب الثاني : ويبحث في دور العاملين في المجالين الإداري والفني في المكتبات المدرسية ، وقد ظهر من خلال ذلك دوران رئيسان : دور تعليمي ، ودور تربوي للعاملين بالمكتبات في غالب الدول ، ويتأثر أداء العاملين المكتبة المدرسية بكل من أعداد الطلبة والإمكانات والتجهيزات ، وتطبق مبدأ التعليم المستمر للعاملين أثناء أداء الخدمة لتنمية مهاراتهم وتطويرها، وتميز دور العاملين بالمكتبات المدرسية المتطورة، ومساندة المدرسين في العملية التعليمية وتطبيق خطط المكتبة في جميع المجالات، أما في الدول العربية فيعاني العاملون بالمكتبات المدرسية من عدم تطبيق مفهوم التوصيف الوظيفي لهم، فمسؤولياتهم غير واضحة وغير محددة .

الجانب الثالث : ويبحث في خدمات المكتبة المدرسية وأنشطتها وقد ظهر من خلال الدراسة وجود تفاوت في نوعية الخدمات والأنشطة ، وتبين أن الخدمات والأنشطة المكتبية في الدول العربية هزيلة وقاصرة ولا تواكب عصر ازدهار المعلومات وتقدمها بالمقارنة مع الدول المتقدمة التي تمتاز خدماتها وأنشطتها بالتنوع واستخدام أحدث الأساليب التكنولوجية والعلمية الحديثة .

الجانب الرابع : وقد تناول تقنيات المعلومات الحديثة في

المكتبات المدرسية، وقد ظهر أن مقتنيات المكتبات المدرسية كانت مقتصرة في الدول العربية على المطبوعات من كتب ودوريات وشيء قليل من المواد السمعية والبصرية، أما في المكتبات المدرسية في الدول المتقدمة فتنوعت مقتنياتها من مصادر المعلومات، فهناك المطبوعات والكثير من المواد السمعية والبصرية والأجهزة الإلكترونية وما يرتبط بكل ذلك من قواعد وشبكات معلومات حديثة .

الجانب الخامس : ويبحث في التسيير الإداري والفني للمكتبة المدرسية ، وتبين من ذلك أن الدول العربية تحاول تطوير الإدارة لكنها لم تتبن بعد التكنولوجيا، فالإدارة مركزية والأعمال الإدارية والفنية تتم يدوياً، والذي يشرف على العاملين ويقيم الأداء والأعمال التقليدية هي إدارة المكتبات . أما في الدول المتقدمة فإدارات مكتباتها مستقلة لامركزية وقامت بميكنة مكتباتها مع الدخول في عالم التكنولوجيا، وتتم الأعمال الإدارية والفنية إلكترونياً باستخدام الحاسب الآلي .

الجانب السادس : ويتناول المستفيدين وتدريبهم على المهارات المكتبية، وتبين أن معظم المكتبات المدرسية في العالم تعمل على تقديم خدمة تدريب المستفيدين وخاصة على كيفية استخدام المكتبة ، وذلك حسب الإمكانات المتوفرة مع ملاحظة عزوف المستفيدين عن ارتياد واستخدام المكتبة المدرسية في الدول العربية ، أما في الدول المتطورة فتتزاحم مكتباتها المدرسية بالمرتادين والمستفيدين .

الجانب السابع : ويبحث في مواقع المكتبة المدرسية ومبانيها وتجهيزاتها . وظهر من خلال ذلك أن غالبية المكتبات المدرسية تحتل مكاناً مناسباً في المدرسة، ولكن التجهيزات والمباني في المكتبات المدرسية في الدول المتقدمة متطورة جداً عن المكتبات الموجودة في الدول العربية .

التوصيات :

في ضوء ما تبين لنا من خلال العرض فإن الباحث يوصي بما يلي :

١ - ربط المكتبة بالمنهج الدراسي في مراحل التعليم المختلفة كما هو موجود في الدول المتقدمة وذلك باعتمادها على المكتبة المدرسية في تدريس مقرراتها الدراسية وتطويرها .

٢ - تحديد دور العاملين في المجالين الفني والإداري في المكتبات المدرسية ، وتطبيق مفهوم التوصيف الوظيفي للعاملين .

٣ - يجب استخدام أحدث الأساليب في تقديم خدمات معلوماتية متميزة وذلك باستخدام التقنيات الحديثة المناسبة للمكتبات المدرسية .

٤ - التنوع في مصادر المعلومات، يجب أن تشمل المواد المطبوعة والمواد السمعية والبصرية بالإضافة إلى المعلومات الإلكترونية وذلك باستخدام الحاسب الآلي .

٥ - إيجاد برامج تدريبية متنوعة للمستفيدين ، وذلك من أجل تدريبهم على المهارات الفنية المكتبية ، ووجوب استقلالية الإدارة المكتبية واستخدام التقنيات في تسهيل الأعمال الإدارية والفنية للمكتبة .

٦ - اختيار الموقع المناسب للمكتبة مع مراعاة أن يكون الأثاث والإضاءة وغيرها متناسباً مع الخدمة التي تقدمها المكتبة .

٧ - تعزيز إدارة المكتبات للقيام بواجباتها .

٨ - تزويد الإدارة بعدد كاف من الموظفين المؤهلين .

٩ - رفع مستوى تمثيل إدارة المكتبات في جهاز الوزارة .

١٠- منح إدارة المكتبات صلاحيات قوية .

١١- وضع خطط دقيقة لفهرسة مركزية لكل المكتبات.

١٢- العمل على تطوير أساليب العمل باستخدام الحاسب

المراجع العربية

١ - إبراهيم حسين (١٩٩٣/١٢/٢٣م). المكتبة العربية ومواجهة التطور السريع. **المعلم** ، ع١٠٣٢، ص ص٢٦ - ٢٧ .

٢ - أحمد العلي وسناء المندي وأحمد عيسوي (٦ يناير ١٩٩٦م) . استخدام المكتبة المدرسية وأثره في العملية التربوية دراسة ميدانية. **التربية (الكويت)**، ع١٦، ص ص٤٢-٤٥ .

٣ - أحمد علي تاج (١٩٩٠م) . الموارد البشرية في المكتبات المدرسية بمصر دراسة ميدانية استقصائية للعاملين بالمكتبات المدرسية في محافظة القليوبية . **الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات** . ع٤، ص ص ٩ - ٧٨ .

٤ - إيمان باناجه (١٩٨٦م) . **مكتبات المدارس الثانوية للبنات بمنطقة جدة التعليمية : دراسة ميدانية** ، أطروحة ماجستير، قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز.

٥ - حسن المحري وآخرون (١٩٩٠م) . **تقييم استراتيجية تحويل المكتبات المدرسية إلى مراكز مصادر التعلم**. (ورقة غير منشورة) .

٦ - حسن عبدالشافي (١٩٨٦م) . **المكتبة المدرسية ودورها التربوي** . القاهرة : مؤسسة الخليج العربي .

٧ - حسن الطويجي (١٩٨٠م) **التكنولوجيا والتربية** .- ط٢.- الكويت : دار القلم ، ص ١٦٣م .

٨ - راضي الجهني (٩٧ / ١٣٩٨هـ) . **نظرات في مكتبة المدرسة الابتدائية وتنظيمها** ، أطروحة ماجستير، كلية التربية بجامعة أم القرى .

٩ - ربحي عليان (١٩٨١م) . الخدمات المكتبية . **رسالة المكتبة** . ع٢، مج٣٦، ص ص ٢٨ - ٤١ .

١٠- ربحي عليان (١٩٩٤م) . واقع المدارس الثانوية في دولة البحرين مقارنة بالمعايير المكتبية لبعض دول العالم . **التربية (قطر)**، ع ١٠٩، ص ص ١٥٦ - ١٩٢ .

١١- سالم السالم (١٤١٦هـ) . احتياجات الطفل في مجال المعلومات، مع دراسة لواقع بعض مكتبات الأطفال في المملكة العربية السعودية . **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ع١٦، ص ص ٢٨١ - ٣٥٥ .

١٢- سالم السالم (١٩٩٧م) . **مكتبات الأطفال العامة في دول الخليج العربي وسبل تطويرها** . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، ص ٤٢٣ .

١٣- سر الختم عثمان علي ومحمد عبدالرحمن الديحان (١٩٩٣م) . دور المكتبة المدرسية في تدريس المواد الاجتماعية في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر الموجهين التربويين والمعلمين: دراسة مسحية . **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ع٨، ص ص٤٣٥-٤٧٨ .

١٤- سعيد إبراهيم (١٩٩٥م) . **الخدمة المكتبية ودورها في دعم المنهج بالمرحلة الثانوية** . رسالة ماجستير، جامعة طنطا .

١٥- سلمان الشطي (يوليو ١٩٩٦م) . دور المكتبة المدرسية في حل مشكلات إعداد البحوث عند طلاب مدارس المقررات . **التربية (الكويت)**، ع ١٨، س٦، ص ص٤٨-٥٥ .

١٦- صبري إبراهيم عبدالله (١٩٨٥م). دراسة مقارنة للخدمات المكتبية في المدرسة الإعدادية لجمهورية مصر العربية وبعض الدول الأخرى، عرض وتحليل عوض توفيق . **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**، س٥، ع، ص ص ٩٩ - ١٠١ .

١٧- صلاح أحمد مسامح وجمال جعفر الدرازي (أكتوبر ١٩٩٤م) . **الملامح الجديدة للمكتبة المدرسية في البحرين : مراكز مصادر التعلم**

كمشروع رائد. ورقة قدمت إلى ندوة مسئولي المكتبات المدرسية والمتخصصة فيها بدول الخليج العربي - الكويت .

١٨ - عبدالإله الختاني (١٩٨٩م) . **دراسة تحليلية لواقع مكتبات الكليات المتوسطة لإعداد المعلمين بالمملكة العربية السعودية** . الدمام: مطابع الإيمان .

١٩- عبدالرزاق يونس (١٩٩٢م) . واقع ومستقبل المكتبات والحركة المكتبية في الأردن . **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** ، ع١، س١٢، ص ص ٥٩ - ٧٨ .

٢٠- عبدالله الصوفي (١٩٩٣م) . المكتبات المدرسية في الأردن في أربعين عاماً . **رسالة المكتبة (الأردن)**، مج٢٤، ع، ٢، ٣، ص ص ٥٩ - ٧٨ .

٢١- عمر أحمد همشري (١٩٩٤م) . أثر المكتبة المدرسية في تثقيف النشء والشباب . **الجديد في عالم الكتب والمكتبات** ، ع ١، ص ص١١٣ - ١١٨ .

٢٢- عمر همشري ، وربحي عليان (١٩٩٧م) . **المرجع في علم المكتبات والمعلومات** . الأردن : دار الشروق ، ص ٥٨٧ .

٢٣- فوزية مصطفى عثمان (١٩٩٢م) . المكتبات المدرسية في دولة قطر . في : **المكتبات ومراكز المعلومات في قطر** . الدوحة : جامعة قطر ، ص ص ٩ - ٢٤٤ .

٢٤- كاظمية منصور ناصر (١٩٩٠م) . **التخطيط لمكتبات المدارس الابتدائية في دولة البحرين** . أطروحة ماجستير، قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز.

٢٥- محمد سعيد علي (١٩٨٩م) . واقع مكتبات المدارس الثانوية في الأردن . **رسالة المكتبة** ، الأردن (عدد خاص) ، مج ٤، ع٢، ص١١٧.

٢٦- محمد الغول (١٩٨٦م) . تقويم الدور التربوي للمكتبات المدرسية في المرحلة الابتدائية / عرض وتحليل عوض توفيق . **مجلة المكتبات والمعلومات** ، ع١، س٦ ، ص ص ١٢٦ - ١٢٨ .

٢٧- مريم جبر (١٩٨٥م) . مكتبات المدارس الثانوية في لواء عجلون . **رسالة المكتبة** ، مج ٢٠، ع٣، ص ص ٥٦ - ٦١ .

٢٨- مود اسطفان هاشم (١٩٩٤م) . المكتبات اللبنانية واقع مرير محدود، **الجديد في عالم الكتاب والمكتبات**، ع٤، ص ص ٤٩ - ٥٥.

٢٩- ناصر السويدان (١٩٩٦م) . **المكتبات المدرسية في دول الخليج العربي واقعها وسبل تطويرها** . الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، ص ٢٤٩.

٣٠- ناصر الموسوي وفيصل الحلواجي (١٩٩٤م) . **دراسة تقويمية لواقع مراكز مصادر التعلم بمدارس دولة البحرين** . ورقة قدمت لمؤتمر التقويم التربوي وعلاقته بتحسين مخرجات التعليم ، جامعة البحرين، كلية التربية ، ٣٣ص .

٣١- هاشم هاشم (١٩٨٥م) . المكتبات المدرسية في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية : دراسة مستحبة . **مكتبة الإدارة** ، مج ١٣، ج١، ص ص ٢٩٨ - ٣٤٩ .

٣٢- هدى محمد باطويل (١٩٩٣م) . **الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية : دراسة تحليلية** . الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ .

٣٣- يسري أبو عجمية وربحي عليان (١٩٩٥م) . واقع مكتبات الأطفال في الأردن . **الجديد في عالم الكتب والمكتبات** ، ع٥، ص ص ٧٠-٧٧.

٣٤- يوسف قنديل (١٩٩٤م) . غنى العاصمة وفقر الأطراف . المكتبات والحركة المكتبية في الأردن . **الجديد في عالم الكتب والمكتبات** ، ع٢، ص ص ١١٦ - ١٢١ .

المراجع الأجنبية

- Al-Misfer, Abdulaziz Mohammed , (1988) . A Combined public / **School Library System for the Educational District of Riyadh, Saudi Arabia a Model for planning** Ph. D. Dissertation, University of Pittsburgh .

- Almusalm , Muna (1988) . **A Study of Libraries of girls' credit hours (Secondary School in Kuwait** . (Ph . D . Dissertation , Denver University) .

- Coulehan , J . L, (1995) . Using electronic mail for a small - group curriculum in ethical and Social issues . **Academic Medicine**, 6o (2), 158 - 163 . (Ej 499651) .

- Dole , Christina S . (1994) . **Information Literacy in an Information Society : A Concept for the Information Age** . (E D 372763) .

- Doyle, C . S . (1994) . " **Information Literacy in a Information Society concept for the Information Age**" Syracuse , N Y : ERIC Clearinghouse on Information & Technology, (Ed 372 763) .

- Eberhart, George M, (1995). **The Whole Library Handbook**. Chicago: American Library Association .

- Eisenberg , M & Berkowitz, B . (1988) . **Curriculum initiative: An agenda and Strategy for Library Media Programs Norwood,** NJ : Ablex .

- Eisenberg, M. B . & Berkowitz, R . E (1992). Information Problem solving. The box six skills approach. **School Library Media Activities Monthly**, 8 (5), 29 - 36, 37, 42, (EJ 438023) .

- Eisenberg, M. B . & Spitzer, K. I. (1991). Information technology and services in school. In M . E . Williams (Ed.), **Annual Review of Information Science and Tech nology** : Vol . 26. " (pp . 253 - 285) . Medford, N J : Learned Information Inc . (EJ 441688) .

- Eisenberg, Michael B, Johnson, Doug . (1996) **Computer Skills for Information problem Solving : Learning and Teachung Technology in Context. ERIC Digest**." Syracusee, N Y : ERIC Clearinghouse on Information and Technology . (ED 392 463).

- Englewood, C O : Libraries Unlimited. (WD 379006) Pappas, M.. & Evans, G . Edward (1995) **Developing Library and Information Center Collection** . Englewood, CO: Libraries Unlimited .

- Foote, Elizabeth . (1995) . **Internet Resources for Community College Practitionersl** (ED 385 326) .

- Johnson, D. (1995) Captured by the web : K - 12 schools and the world - wide web . **Multi Media Schools** . 2 (2), 24 - 30 . (EJ 499 841) .

العنوان في الشعر السعودي
بداياته وتياراته الإبداعية

عبدالله بن سليم الرشيد

قسم الأدب - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مدخل :

لم يكن للعرب عناية بالعنونة ؛ لأنهم كانوا أمة رواية شفوية ، يتوجَّهون بالقول شعره ونثره إلى المستمع لا إلى القارئ ، فلم يكونوا يدوِّنون إلا في النادر ، والعنوان مرتبطٌ بالتدوين .

وفي التاريخ الأدبي نجد إرهاصات متفرِّقة على الشعور بقيمة ارتباط النص باسم ، فقد لقبت العرب القصائد العشر المنتخبات بـ (المعلقات) - على ما يعتور تاريخ هذا اللقب وقصته من خلاف [1] - وسمَّت قريش قصيدتَيْ علقمة الفحل (سِمْطَيْ الدهر) [2] ، وفي هذين الخبرين ما يشير إلى ارتباط التسمية بالإعجاب .

ثم شهدت العصور التالية قصائد أخرى اشتهرت بين الناس لامتيازها موضوعاً أو فناً، فحظيتْ بألقاب دالَّة على الإعجاب بها، ومنها (الفاضحة) أو (الدامغة) لجرير، و (ذات الأمثال) لأبي العتاهية، و (الزينبية)لصالح بن عبد القدوس، وبعضها يسمَّى باسم يدل على خروجها عن النسق المعهود، مثل (مقراض الأعراض)لابن عُنَين، التي هجا بها جماعة من أهل دمشق، وغيرها كثير[3].

غير أن هذه الألقاب أو الأسماء - وإن عُدَّت عناوينَ بالمعنى اللغوي ؛ إذ العنوان : ما يُستدَلّ به على غيره [4] - لا تدخل في مصطلح (العنوان)بالفهم المعاصر، الذي يجعل العنونة جزءاً من الإبداع في النثر والشعر، ويكون من وضع المنشئ نفسه، أما تلك الألقاب فإنها إضافات لاحقة لم تكن جزءاً من إبداع الأديب، ولهذا لا يعتدّ بها في دراسة النص من داخله، وإنما تكون إضاءة لقيمته ومدى الإعجاب به .

ولم تبرز عنونة النص الشعري إلا في القرن الخامس - على الأغلب - حين عمد أبو العلاء المعري إلى تسمية ديوانه العلَم بـ (اللزوميات) أو (لزوم ما لا يلزم)، وإذا كان هذا العنوان أقربَ إلى الوصف أو بيان الجنس القولي، فإن ديوانه الآخر (سِقْط الزند) يحقق مفهوم العنوان كما نريده اليوم، وهو بهذا رائد في مجال عنونة الأثر الشعري، ويبدو أن لاعتزاله أثراً في إحساسه بضرورة وضع العنوان؛ لأنه - وهو في محبِسه - يخاطب القارئ الغائب، ولا يتوجه إلى مستمع .

ثم جاء بعد المعري شعراء جمعوا دواوينهم بأنفسهم ، وأخرجوها للناس معنْونةً، وهم قليل أذكر منهم: أبا إسحاق الحُصْري الذي رثى ولده بديوان سمَّاه (اقتراح القريح واجتراح الجريح) وجمع أيضاً بعض قصائده في ديوان سماه (مستحسن الأشعار) ولسان الدين بن الخطيب الذي اختار أجزاء من شعره، فجعلها في دواوين، هي : (الصيِّب والجهام والماضي والكَهام)

و(أبيات الأبيات) و (فُتات الخوان ولقْط الصُّوان) و (الحالي والعاطل والمسعف والماطل).

غير أني لم أجد من هؤلاء ولا من غيرهم مَن عنون قصيدة له، سوى نفر قليل، منهم ابن عُنَين الذي ذُكِر أنه هو الذي سمّى قصيدته المارَّ ذكرها (مقراض الأعراض)[٥]، والبوصيري الذي اعتاد تسمية قصائده أسماء تميِّزها، مثل (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) و (القصيدة المُضرية في الصلاة على خير البرية) [٦]، وهذه بلا شك أسماء، وليست عناوين بالمعنى الذي نريده اليوم، بل إن (تقنية) التسمية عند البوصيري وكثير ممن جاء بعده متأثرة بأسماء الكتب والمتون العلمية، وكأن واضع الاسم يعنون كتاباً أو متناً لا قصيدة.

والعلَّة في عنونة بعض القدماء لدواوينهم دون قصائدهم بيِّنة؛ إذ إنهم أدركوا أن ما يُجمع بين دفّتي كتاب محتاج إلى العنونة ، فلا كتاب بلا عنوان، أما القصيدة الواحدة فمن النادر أن تجعل مستقلَّة في كتاب.

ولعلي- قبل أن أشرع في الحديث عن العنوان في الشعر السعودي- أبرزُ بعض الأسباب التي أعانت على ظهور العنوان في الشعر العربي الحديث، فمنها :

التأثر بنماذج الأدب الغربي التي يعد العنوان أساساً فيها [٧]، وتلاقح الثقافات بين الشرق والغرب [٨]، وتحول المتلقي من مستمع في محفلٍ إلى قارئ في مكتبة، وعلى أن إلقاء الشعر في المحافل ما يزال قائماً نجد الشاعر يعنون قصيدته، ويُسمِع المتلقين ذلك العنوان؛لأنه واقع تحت تأثير الذوق الجديد. ثم إن آلية النشر في الصحافة حتَّمت على ما يُنشر فيها أن يكون معنوناً، حتى لو كان خبراً عابراً، ومع ذلك يلاحظ أن عنونة القصائد لم تظهر في الصحافة ظهوراً فنياً ناضجاً إلا بعد الحرب العالمية الأولى [٩] .

وجاء بعد ذلك جنوح القصيدة الحديثة إلى الوحدة العضوية دافعاً لعنونتها، وتيسير وضع العنوان لها [١٠]، فصار العنوان قاعدة أساسية من قواعد الإبداع الشعري، ليس في ديوان الشاعر فحسب، لكن في القصيدة، بحيث يُعدّ ...الآن جزءاً عضوياً من أجزاء القصيدة [١١] ".

لقد أصبحت عنونة الدواوين سمة من سمات التطور في ديوان الشعر العربي [١٢]، وصار وضع العنوان للقصيدة عنصراً عضوياً فيها، بل في كل ديوان يصدره الشاعر على حدة [١٣] . ومال بعض النقاد إلى عدّ العنوان أهمّ مفاتيح النص؛ لأنه المعبر البدئي إلى عالم القصيدة[١٤] .

بدايات العنونة عند الشعراء السعوديين:

تعود هذه البدايات إلى جيل الرواد الذين انقسموا فئاتٍ ثلاثاً : فالفئة الأولى لم تُعنَ بالعنونة، وبقيت على طريقة القدماء، فالقصائد عند شعراء هذه الفئة تنشر مشفوعةً بعنوان يضعه القائمون على الصحف، يكون في الغالب مأخوذاً من مطلع القصيدة، وهو على هذا لا يكون جزءاً من إبداع الشاعر، وأغلب هؤلاء لم يَنشُرْ ديوانه بنفسه، بل جُمِع ونُشِر بعد وفاته، وأضيفَ إلى اسمه فقيل مثلاً : (ديوان حمزة شحاتة) و (ديوان الغزَّاوي)كما يُفعل في دواوين الأقدمين، وتجب الإشارة إلى أن العناوين المثبتة للقصائد في دواوينهم هي كما أسلفت من وضع الصحف، أو من اجتهاد ناشري الدواوين، وقد صرَّح ناشرا ديوان شحاتة – مثلاً – بأنهما عنونا أكثر قصائده، وأن ما عنونه هو بنفسه قليل جداً [١٥] .

والفئة الثانية هي التي عنونت قصائدها، لكن بعناوين هي أقرب إلى ملء الفراغ، فلم يكن لدى شعرائها وعي بأهمية العنوان وضرورته ودخوله في دائرة الإبداع، وإن كان عند بعضهم تطور محدود في هذا المجال، ومن

هؤلاء عُبيد مدني الذي نشر ديوانه باسم (**المدنيات**) وعبدالقدوس الأنصاري (**الأنصاريات**) ويبدو أنهما متأثران بما فعله أحمد شوقي إذ سمّى ديوانه (**الشوقيات**) - وأنبه إلى أننا نجد هذه الطريقة عند أحد شعراء الجيل اللاحق، وهو زاهر الألمعي الذي نشر ديواناً له باسم (**الألمعيات**)- ومن الفئة الثانية من الرواد حسين عرب الذي لم يصدر ديوانه بعنوان، وإنما سماه (**ديوان حسين عرب**) وهذا دالّ على الانحياز إلى الطريقة القديمة وإيثارها، ومن العناوين التي وضعها لقصائده: (رمضان- فرحة العيد - دعاء - الجامعة العربية - مصر - القدس - النكبة) وهي إلى التعريف بالمضمون أقرب منها إلى العنونة ، غير أننا واجدون عنده نماذج ليست كثيرة خرج فيها إلى دائرة الإبداع ، منها : (لحن الظلام - لفح الهجير - صراع الأفاعي - ثورة اليأس - أشجان الليل) ولكنه مع ذلك ظلّ وفياً لمذهبه المُؤثِر للمباشرة والوضوح ، فعنده من العناوين ما لا يصلح إلا للمقالة، مثل : (المعهد العلمي - محو الأمية - أشبال الكنانة - جبل طارق).

ومثله محمد العقيلي الذي عنون ديوانيه بطريقة تتواءم وجماليات الشعر، فالأول (**الأنغام المضيئة**) والثاني (**أفاويق الغمام**)، ومن عناوين قصائده : (الغرام الأول- نظرة في الغسق) ولو أنه سار على هذا النمط من العنونة في قصائده كلها لأضاف إلى ذخيرته الإبداعية الكثير، ولكنه ظلّ يتخذ أسلوب التعريف أو التسمية الواضحة، فمن ذلك : (المشاعر المقدسة - جازان - جبل فيفا - تحية استقلال الجزائر).

وعناوين هاتين الفئتين من الرواد ترتبط بالمضمون أكثر من ارتباطها بنفسية الشاعر، وهذا النهج هو الذي شاع عند شعراء مدرسة الإحياء والمتأثرين بهم، بخلاف ما نجد عند المتأثرين بالرومانسية، الذين كان لإلحاحهم على الذات أثر في صياغتهم الشعرية للعناوين، فكانت العنونة عندهم جزءاً من الانفعالات والتجارب الذاتية [١٦] .

والفئة الثالثة من الرواد : هي التي تأثرت بالتيارات الأدبية الحديثة الناهضة في البلاد العربية، ومن شعرائها محمد حسن عواد الذي نشر دواوينه منجّمةً معنونةً، ومنها: (**في الأفق الملتهب**) و (**رؤى أبولون**) و (**قمم الأولمب**)، وعنون بعض قصائده عناوينَ دالَّةً على فهمه لوظيفة العنوان، مثل : (دافق النور- وهَج - شيطانة من الإنس - مغامِرة)، ويُلحظ أنه يضع أحياناً عنوانين للقصيدة الواحدة، وربما دلّ هذا على القلق والمعاناة عند وضع العنوان، وقد يكون من قبيل الإيضاح، فمن ذلك : (يد الفن تحطِّم الأتباع، أو : الساحر العظيم) وهي قصيدته المطوَّلة التي أبان فيها عن اعتزازه بفنه، وصرَّح بآرائه في كثير من إنتاج معاصريه، ومما حمل عنوانين : (ذكرى، أو : في أعقاب الهوى) و (كل شيء، أو : فتون)، وقد بقيت عنده آثار الذوق العام في زمنه، فجاءت بعض عناوينه مباشرةً لا إبداع فيها، ومنها : (الجيش - تحية جريدة المدينة - عام جديد - من الحجاز وإليه - في استقلال سورية).

وبعد جيل الرواد زادت حساسية الشعراء تُجاه نشر القصائد والدواوين معنونةً، واتسع الاحتفال بالعنونة، كما هو الوضع في سائر البلدان العربية، بل إن النقد وجَّه جزءاً من عنايته واهتمامه إلى هذه العنونة، يقول أحدهم : الشاعر لا يختار العنوان اعتباطاً أو مصادفةً، وإنما بعد تأمّل لأعماق تجربته، بحيث يأتي العنوان دالاً بوضوح على ما يريد استثارته لدى القارئ [١٧] . وذهب بعضهم إلى أن العنوان قد يحلّ محلّ المطلع في الشعر الحديث، ويقدِّم ترجمةً لما تقوله القصيدة [١٨] .

وهذان الرأيان - وإن بيَّنا أهمية العنونة والموقف

منهـا – لا يَصْدُقـان على أغلب العناوين، إذ الملحـوظ أن العنوان عند كثـيـر من الشـعـراء المتـأخـرين لا يدل على المعنى، ولا يقـدّم ترجـمـة لما في القـصـيـدة، بل إن بعض الشـعـراء يسـمـون مـجـمـوعـاتهم أحـيـانا بعناوين مـخـاتلة ومخـادعـة [١٩] ، وأظن أن العنوان الذي ينبثق من النص ويدل على بعض ما فيه، دون إغماض وتعمية، هو الأنسب ما كان محققاً شرط الإبداع.

إن الحـــرص على وضع العنوان يدل على وعي الشاعر بأن تجربته تدور حول قضية، لذلك يبرزها العنوان بشكل مباشر أو رمزي، فتكرار كلمة (أشواق) ثلاث مرات في عناوين ديوان محـمـد الشبل (**نداء السحر**)، وشيـوع ألفـاظ الحسـرة والأنين في أغلب قـصـائده، مـثـل : (أنّة – البلبل الأخرس – حنين – في ظلال الذكرى – في محـراب الذكـرى – وداع[وهذا عنوان لقـصـيـدتين] – القـيـثـار المحطم)يوحي للقارئ بنوع التجربة التي خاضـهـا الشـاعر ومـقـدارها، وكـأنما صـارت بنيـة عنوان الديوان رحـمـيـة إنجابية؛ لأنها ذات صلات بعناوين النصوص الداخلية[٢٠]، فكلمتـا (نداء) و (السحر) ذواتا ظلال شفيفة تعانقت مع العناوين الداخلية، وتآزرت معـهـا لنقل الجو الذي يسيطر على الديوان كله.

بل إن القـصـيـبي يصـرّح بنوع المشـاعـر التي تتضمنها قصيدته بدءاً من العنوان، فيقول : إن قصائده : (لولاك – رحيل – جارتي) تشير إلى معاني الحب الجارف، وإن قصـائده : (فـتـاة الخـيـال – حـيـرة – يا قلب)تتضـمن مـعـاني القلق[٢١]، وتصـريحـه هذا يؤكّـد أن المعـاناة بكل ضـروبهـا تنعكس نفـسـيـاً على عناوين القـصـائـد والدواوين،[٢٢] وأحد عناوين دواوينه، وهو (**معركة بلا راية**) يدلّ على ما بلغته نفسه من حيرة، وعلى اختلاط الأمر عنده اختلاطاً جعله لا يعرف ماذا يريد[٢٣].

وثمة قلة من الشعراء السعوديين أبانوا فلسفتهم في العنونة، وهـي متّسقة في الغالب مع الفكرة المشار إليها، ومنهم الأمير عبد الله الفيصل الذي قال في مقدمة ديوانه (**وحي الحرمان**) : إن عنوانه يثير التساؤل لدى القارئ : كيف يكون الأمير الوزير الشاب الغني محروماً؟ ثم عرض فهمه للحرمان وعلاقته به[٢٤] .

ويقـول حسن القرشي عن عنوان ديوانه (**ألحان منتحرة**) : "ربما لا يرضى بعض أصدقائي عن تسميته هذه، ولكنني رضيتها؛لأنها تسمية ترضى عنها الحقيقة، ويباركها واقع التجارب الشعرية التي عشتها في قصائد هذا الديوان"[٢٥]، وهذا تعليل غـيـر واضح المعـالم، ولكنه يؤكد علاقة العنوان بالتجربة الشعرية.

أما ابن إدريس فيلقي بمهمة تفسير العنوان وتأويله على القارئ إذ يقول في تقديمه لديوانه الثاني (**إبحار بلا مـاء**) : لا تسـألوني عن المعنى لهـذا الاسم، فـالمعنى في صدر الشاعر، وليس مهماً أن يبوح به، ولا حرج على من اجتهد في استشفاف المعنى [٢٦] .

وأعود إلى القصيبي الذي يبقى مـجلّياً في بيان الظرف المحيط بعناوين دواوينه، إذ إنه أشـار إلى سبب تسمية كل ديوان، مظهراً الإشكال الذي واجهه في عنوان الديوان الأول (**أشعار من جزائر اللؤلؤ**) وقال : إنه ودّ أن يسميه (ليالي الصبا) لغلبة أشعـار الصبـا الأولى عليه، ولكن والده رفض هذا الاسم؛لما تحمله كلمة (ليـالي) من مدلولات وأبعاد، ثم فكر بتسميته (أغاني الصبـا) ولكنه رأى أن شاعرة مصرية سبقته إلى هذا الاسم، ثم كـاد يسميه (شباب) غير أن صدور ديوان يحمل اسم (ذكريات شبـاب) صرفه عنه. وقرّ رأيه بعد ذلك على العنوان الذي ظهر به باقتراح من صديقه الشاعر ناصر أبو حيمد [٢٧] .

ولا شكّ في أن تردّده في اختيار العنوان يشي بقدر

من العناء، غير أن المهم في هذا السياق إصراره على كلمتي (صبا وشباب) وذلك دالٌ على أثر التجربة الشعرية التي تضمنها ذلك الديوان، كما أن الرغبة في التميز، والهربَ من الوصم بالتقليد جعلته يصرف النظر عن العنوانين اللذَيْن سبق ذكرهما.

ويذكر أيضًا تردده في اختيار عناوين دواوينه الأخرى، فقد كاد يسمي ديوانه **(أنت الرياض)** باسم قصيدة فيه، هي (الحب والموانئ السود)، أما ديوانه **(العودة إلى الأماكن القديمة)** فكان يريد تسميته باسم قصيدة فيه، هي (تباريح البئر القديمة) [٢٨] .

إن ذلك كله مرتبط بالتجارب الشعرية، فهي المحك الأول الذي ينبع منه العنوان، ولا يخفى أن للمتلقي أثرًا في اختيار العنوان – سواء أكان ناقداً أم قارئاً متذوِّقاً – وقد أصبح كثير من النقاد يقف عند العنونة، ولو وقفةً عابرة، فأحدهم يشير في تعليق له على أحد الدواوين إلى أنه غير راضٍ عن عناوين القصائد، وألمح إلى أنه لحظ أن صاحب الديوان غيَّر عنوان إحدى القصائد ثلاث مرات من خلال متابعته لمراحل نشرها في الصحف[٢٩].

وصار الشاعر نفسه يولي النقد اهتمامه، فصرت تجد من يغير العنوان تبعاً لما قيل عنه، ومن ذلك أن الأستاذ حمد العسعوس انتقد عنوان (للصداقة وجه آخر)[٣٠] فغيره صاحبه إلى (كلمات للوجوه الملفَّقة)عندما أدرجه في ديوان لاحق.

ضروب العنوان في الشعر السعودي :

إن اطلاعاً مسحياً غير عابر يمكِّنُ الباحث من جعل عناوين الدواوين والقصائد في الشعر السعودي تحت الأنواع التالية :

١ – العنوان / الاسم : وهو أبسط الأنواع من حيث انتماؤه للغة الشعر، وعناءُ الشاعر في صياغته، ويغلب عليه أن يكون تعريفاً بالمضمون وإشارة صريحة للموضوع، مثل هذه الطائفة – وسوف أذكر عنوان الديوان أولاً، وأتبعه بعناوين بعض قصائده، مكتفياً بهذا عن الإحالة في الحاشية جنوحاً إلى الاختصار – :

الصوت والصدى لحسين سرحان (إيمان وتسبيح – من الشعر الرمزي – تهنئة بمولود – على نمط الشعر الجاهلي– فتاة تنسخ على الآلة)، **على ربى اليمامة** لعبدالله ابن خميس (بغداد – حائل – العيد في أبها – شهيد تلّ الزعتر – نداء فلسطين – الصومال الشقيق)، **شمعة ظمْأى** لأسامة عبد الرحمن (جبل أحد – جامعة الرياض)، **في زورقي لعبدالله بن إدريس** (مأساة الطائرة – حريق البطحاء)، **مطلع الفجر لإبراهيم فودة** (على قبر أبي – ذكريات الشباب – فلسطين)، أصداء وأنداء لمحمد بن حسين (إهداء – اليوم الوطني – رثاء أستاذ – مدينة الرياض – خاتمة [آخر قصيدة في الديوان])، **عاشقة الزمن الوردي** لمحمد الثبيتي (من وحي العاشر من رمضان – الخطب الجليل).

وأغلب عناوين القصائد المذكورة يمكن إدراجه تحت (عنوان المناسبة)[٣١] إذ إنه يشير إلى المضمون صراحة، ويكاد القارئ يعرف المناسبة قبل أن يقرأ النص.

ومن الدواوين التي عُنوِنت عنواناً / اسماً : **(أشواق وحكايات)** لمنصور الحازمي، و **(إلى أمتي)**، و **(قصائد إلى لبنان)** وهما لعبدالرحمن العشماوي، و **(بوح الخاطر)** لأحمد السالم، و **(معاناة شاعر)**، و **(خواطر شاعر)**، و**(إسلاميات)** لمحمد الدبل، و **(سعوديتي)** لمحمد الخليف.

ويتصل بـ (العنوان/الاسم) ما سماه بعضهم : (عنوان الشخصية)[٣٢] ويريد به ما يكون فيه ذكر مكان أو شخصية، وغالباً ما يكون شعر المناسبات كذلك، غير أن المتابع للعنونة عند الشعراء السعوديين يجد قصائد كثيرة

معنونةً بأسماء الأماكن، وهي ظاهرة عند شعراء جازان خاصة، فهم يُكثِرون تسمية قصائدهم بأسماء المدن والقرى عندهم، وهذا يعضد ما ذهب إليه بعض الدارسين من شدّة ارتباط الشعراء في جازان ببيئتهم[٣٣] .

ومن الأماكن التي كثر ذكرها في عناوين القصائد : مكة والمدينة والرياض والطائف وأبها، ولكل واحد منها سبب استدعى كثرةَ ذِكْره، هو من الوضوح بحيث يكون الحديث عنه عيّاً، وسوءَ ظنٍّ بالقارئ، والحكم العام هو أن ذكر المكان يعني الانتماء إليه وشدة التعلق به، ويُدرَج في هذا ديوان (**على ضفاف العقيق**) لمحمد هاشم رشيد، وديوان (**شموخ القرية**) لعيض البخيتان، تمثيلاً لا حصراً.

والعلاقة بين العنوان من هذا الضرب ومضمون القصيدة وثيقة، وقد تزداد هذه العلاقة حتى تجد أغلب الكلمات منتمية للعنوان، من ذلك قصيدة (مكتي) لمحمد حسن فقي، فقد غلبت عليها ألفاظ الجلال والنور والهدى والنبوة ونحو ذلك، وقصيدة (من الصحراء) للقصيبي يكاد كلّ بيت فيها ينطق بالبداوة[٤٣] .

ومن العناوين التي ذُكرت فيها الشخصية : بسمة من سُهَيْل، (**من ديوان الحُمى**، للقصيبي)، و إلى روح والدي، وعلى قبر أبي، والسيد علي جعفر، و في رحاب رسول الله (**من ديوان مطلع الفجر**، لإبراهيم فودة)، وغسيل الملائكة (**من ديوان طيفان على نقطة الصفر**، لأحمد البهكلي) وأكثر هذه العناوين مما يُطلَق ليطابق المحتوى[٣٥].

وكأن الشاعر – حين يعمد إلى هذا النمط من العنوان – قاصدٌ توجيه رسالة إلى القارئ يبسط من خلالها فكرة القصيدة،[٣٦] وغالب من ينحون هذا النحو هم من الفئة المحافظة التي ترى للشعر غاية نفعية وجمالية في الوقت نفسه.

وبعض الشعراء يجعل في العنوان ما يدل على كون القصيدة أو الديوان رسالة حقيقية، وقد كثر هذا النوع حتى صار تقليداً باهتاً وتسويد بياض، فمن ذلك : رسالة إلى أم، و : إلى أول امرأة تصعد الفضاء (**من ديوان شمعة ظمأى**، لأسامة عبدالرحمن) ورسالة إلى ليلى (**من : خواطر شاعر**، لمحمد الدبل) و : لأخي الصديق والشاعر المبدع أبي فؤاد الأستاذ محمد حسن فقي، و : تحياتي إليك (**من : الطائر الغريب**، لحسين سرحان) ومن الدواوين: **رسائل إلى ابن بطوطة**، لعبدالله العباسي، وكل قصائده تحمل عنوان (رسالة) : الرسالة الأولى، الرسالة الثانية ... وهكذا. ومنها ديوانا العشماوي (**إلى أمتي، و : إلى حواء**)، وفي رأيي أن هذا النمط بعيد عن روح الشعر، إذ إن أغلبه سطحي مباشر يفتقد الإثارة، ويهدر جمال الصياغة التي يطلبها القارئ والمستمع في زمننا هذا بدءاً من العنوان، على أن بعض النقاد رأى في العنونة بـ (الرسائل)[وهذا عنوان قصيدة للقرشي] إطاراً محَسّاً يحتوي التجربة الوجدانية[٣٧].

ويُدرج في هذا النوع ما أسميه : العنوان / الخُلاصة، مثل ديوان (**إليها**) لحسين سراج، فهو دالّ على مضمونه الغزلي، ومثله قصيدة (لا تيأس)ليوسف أبو سعد، فالعنوان هنا تلخيص لفكرة القصيدة التي هي دعوة إلى الكفاح ومواصلة السعي[٣٨].

إن (العنوان/ الاسم) هو الطريقة البدائية في العنونة، وأكثر المبدعين يزْوَرّ عنه، ولذا يُلحَظ غيابه عن دواوين الشعراء من الأجيال المتأخرة، وإذا قبِلتُ بعض الشواهد السابقة من باب أنها لا تبعد كثيراً عن لغة الشعر، وأنها مما يُرتضى عند طائفة من المتلقين؛فلا أحسب طبيعةَ الشعر تقبل أن تكون بوقاً للثناء على شركة أو الاحتفال بافتتاح مشروع ونحو ذلك، فكيف إذا جُعِل العنوان : بترومين، أو دورة الخليج الثانية، وهلمّ جرّاً ؟!

٢ - العنوان/ المطلع أو الخاتمة : وهو من العناوين السهلة البعيدة عن الابتكار، غير أن الشاعر الذي يعمد إليه، يقصد في الغالب الإشارة إلى أهميته وشدة علاقته بمعاني القصيدة، حتى كأنه اختصار لها، ومن نماذجه : نفضتُ الحبَّ يا سلمى (**من : شمعة ظمأى**، لأسامة عبدالرحمن) و : لا تكبري في غيابي (**من : أولمبياد الجسد**، لجاسم الصحيِّح) و : أما لهذا الليل من آخر؟ (**من : شموخ في زمن الانكسار**، للعشماوي)، و : أمضي أنا الليل وحدي (من : **الأغاريد والتقاسيم** ، ليوسف أبو سعد) واختيار أبي سعد للمطلع يدل على أهمية المطلع عنده، لأنه يحفل بموضوع القصيدة[٣٩] .

٣ - العنوان / البيت أو الشطر من القصيدة : وهذا النوع كثير جدا، وأظن أن أكثر ما يندرج تحته إنما وُضِع عجزاً عن إيجاد العنوان الملائم ، وهذه نماذج منه :

من ذا يقيس الدرَّ بالأصداف؟ (من : **في زورقي** لابن إدريس) .

و :

بورِكَتْ من دعوة صادقة

خلَّد التاريخُ فيها الفيصل

(من : **نداء السحر** لمحمد الشبل) .

و : وشمس المجد يخنقها الكسوف (من : **أشواك على طريق الأمل** ، لمحمود الحُليبي) .

و : تلفَّت القلب (من : **عيناك يتجلَّى فيهما الوطن**، لأحمد الصالح / مسافر) و : قصيدة عشق بلا قافية ، و : الجرح ينزف علقماً (من : **عيون تعشق السهر**، لأحمد باعطب)، وفي هذا الضرب تكون العلاقة السياقية بين العنوان والقصيدة غير واضحة غالباً[٤٠] .

٤ - العنوان / الوزن : أي أن يكون موزوناً، ولكنه ليس من ألفاظ القصيدة، وهو ليس بالكثير، ومن نماذجه : شكوتُ فلم تسمع وناديت لم تُجِبْ [فهذا شطر من الطويل] و : أتدري ما وراءَ رقيق شعري؟ [شطر من الوافر] (من : **غروب زمن الشروق**، لسعود اليوسف)، ويبدو أن لسيطرة الحس الإيقاعي أثراً في مجيء هذه العناوين موزونة.

٥ - العنوان / الوصف : وهو ما يشير إلى طبيعة القصيدة أو مجموعة القصائد في الديوان ، من حيث عدد الأبيات أو مضمونها، ومما كثُرت العنونة به كلمتا (رباعيات) و (خماسيات) فمن الأولى ديوان لمحمد فقي، ولكل من سعد البواردي وعبد الواحد الخُنَيزي ديوان بعنوان : (**رباعياتي**) ومن الثانية مجموعة قصائد لإبراهيم العواجي نشرت تحت عنوان (**خماسيات**)، وليحيى توفيق (رباعيات) و (خماسية) في ديوانه (**سمراء**)، ولجَلوي الحكمي (ثلاثيات) في ديوانه (**قبل أن ينضب الأمل**).

ويبدو أن بعض الشعراء يخشى أن يُتَّهم بعدم القدرة على ابتكار العنوان الملائم عندما يصف قصائده بـ (الرباعيات) ونحوها، لذا يعمد إلى تقييد هذا الوصف بإضافته ، أو تعليقه بجارٍّ ومجرور، مثلما فعل الزمخشري في (**رباعيات صَبا نجد**) وأحمد باعطب في (خماسيات من القلب) في ديوانه (**الروض الملتهب**)، وإبراهيم مفتاح في (سُباعية للصهيل) من ديوانه (**رائحة التراب**).

ويبدو لي أن قِصَر القطعة الرباعية أو الخماسية يجعل مجال التفكير في العنوان ضيِّقاً، فلا يجد الشاعر مندوحةً من وصفها بعدد ما فيها من أبيات، وربما تعمَّد بعضهم نظم الرباعيات أو الخماسيات متَّخذاً لها هذا الوصف قبل أن ينشئها، وقد أشار ابن إدريس إلى أن طاهراً الزمخشري عنون أحد دواوينه باسم (**رباعيات لبنان**) قبل أن يكتب هذه الرباعيات، وقال : "لا تعجب في [كذا!] وجود الاسم قبل وجود المسمَّى، فالشاعر قد أعدَّ نفسه إعداداً عاطفياً يتمشَّى مع جوِّ لبنان الجميل"[٤١].

ويبدو من السياق الذي ورد فيه كلام ابن إدريس أنه لا يحبِّذ هذه التسمية ، ويراها من التقصير في الإبداع، وهي في نظري عنونة مقبولة إذا كانت لقصيدة واحدة أو اثنتين، فإذا كثرت أو عُنون بها ديوان كامل فإني أراها تُضعِف إقبال القارئ عليها، وتحطّ درجة الإجادة .

أما الوصف بمضمون القصيدة أو الديوان فمن أمثلته : (**ألحاني**) لإبراهيم الفلالي، و (**أغنيات لبلادي**)للبواردي، وله أيضاً (**قصائد تخاطب الإنسان**)، وللقصيبي (**مرثية فارس سابق**)، ولأحمد النعمي (**لعيني لؤلؤة الخليج**) ، وهذه العناوين متفاوتة في مقدار دلالتها على المضامين، ولا شك في أن العنوان يظل في الأحوال كلها "عتبة من عتبات النص ومفتاحا من أهم مفاتيحه"[٤٢] ولكنّ قربَ الدلالة ومباشرتها يقلِّل الحظَّ من الشعرية.

ومما اجتمع فيه الوصف بالعدد (إيماءً) والوصف بالمضمون (تصريحاً)ديوان القصيبي (**أبيات غزَل**)، وقد عنونه بهذا ليُعَرِّف القارئ أن الديوان لا يضم قصائد متكاملةً، بل أبياتاً متناثرة[٤٣] .

٦ – العنوان / الإنشاء : وأعني بالإنشاء ما يجعله البلاغيون ضداً للخبر، فيدخل فيه الاستفهام والنداء والتمني ... إلخ .

وقد لحظت أن الاستفهام كثير في عناوين الشعراء السعوديين، ومن أمثلته : أين مني؟ وفيم التساؤل؟ و : كيف الخلاص ؟ (من : **وحي الحرمان** ، لعبدالله الفيصل) و : أنَسيتِ ؟ (من : **نقر العصافير** لأحمد قنديل) و : ما السعادة؟ (من : **في زورقي**، لعبدالله ابن إدريس)، و : أي شيء أنت يا حبيبتي ؟ و : تنازل عن عرش الحياة لماذا؟ (من: **غروب زمن الشروق**، لسعود اليوسف).

وبعض النقاد يرى أن التساؤل في عنوان القصيدة يُعدّ مدخلا جيِّداً لتحليلها؛ لأنه يثير الانتباه، ويدعو إلى ترقب الجواب، وهو يحمل معنى الحيرة إزاء قضية من القضايا الإنسانية التي تؤرِّق فكر الشاعر[٤٤]، وربما كانت الفكرة التي يثيرها الشاعر في استفهامه المبدئي مما يشاركه فيه المتلقي، وذلك أدعى إلى استثارته وحفزه لقراءة النص.

أما العنونة بأسلوب نداء أو تمنٍّ فهي أقل إثارة من الاستفهام؛ ذلك أن النداء والتمني – وإن عكسا حالة وجدانية عند الشاعر – يوشكان أن يضعا بين يدي القارئ مضمون النص قبل أن يشرع في قراءته، خذ مثلاً : يا ناعس الطرف (من : **وحي الحرمان** للفيصل) أو : يا راحلين (من : **أصداءوأنداء** لابن حسين) أو : يا فاتني (من : **الطائر الغريب** لحسين سرحان) تجدْ أنك تدرك مراد الشاعر وما سوف يقوله وإن لم تقرأ القصيدة.

ولكن تركيب جملة التمني أو النداء قد يثير أحياناً شوق القارئ لسبر غور النص، مثل : يا ليتني قمري! (من: **الطائر الغريب** لسرحان) و : يا أعزَّ النساء (من : **الحمى** للقصيبي) و : يا أنت يا تواشيح الخضاب، و يا صباح الشعر (من : **رائحة التراب**، لإبراهيم مفتاح)، فالمُعَوَّل عليه إذا هو غرابة التركيب، أو حميميّته ولُطفه، مهما يكن أسلوبه.

ومن الأساليب الإنشائية كثيرة الورود في العناوين ما تراه ماثلاً في هذه الطائفة : لا تندبي (من : **معاناة شاعر**، للدبل) و : رُحماك (من : **عواطف إنسانية**، لمريم البغدادي[ـة])، و : ربَّاه (من : **الروض الملتهب**، لباعطب)، و: (**لاتقولي وداعاً**، لعيسى جَرابا).

٧ – العنوان / البديعي : وهو ما قام على الإفادة من الفنون البديعية، والبديع – وإن دالت دولته – ما يزال ماثلاً ومؤثِّراً، ومن خلال استقراء العناوين في الشعر السعودي وجدت أن للبديع حضوراً قوياً، حتى عند بعض المجددين، وإن كان بطريقة أقرب إلى الرمز.

ومن العناوين التي وُظِّف فيها الجناس - وهي كثيرة عند المحافظين - : (**كَتَّ البتّ في الغَتّ والرثّ**) لأبي تراب الظاهري، وبين الحَرم والهَرم (من : **مجموعة النيل** للزمخشري) و (أصداء وأنداء) لابن حسين، و : الضيعة الضائعة (**من ديوان أغنية العودة** للبواردي) و : نَفَحات ولَفَحات (من : **ديوان الأغاريد والتقاسيم**، ليوسف أبو سعد) و : فَرّ وكرّ (من : **ديوان إضاءات**، لمحمد المشعان)، وكثرة هذا الضرب في الشعر السعودي تدلّ على سيطرة الغنائية، وإيثار النغم الموقَّع حتى في العنوان.

ومما وُظِّف فيه الطباق : الأمس واليوم (من : **نقر العصافير** لأحمد قنديل)، و : القُبح والحُسن - الماء .. النار (من : **الطائر الغريب**، لحسين سرحان) و : غراب وبلبل (من : **نقوش على واجهة القرن الخامس عشر**، للعشماوي) و : الخفجي، السمّ والتِّرياق (من : **لعينَيْ لؤلؤة الخليج**، لعلي النّعمي)، وقد يرى بعض المعاصرين في الطباق حِليةً لفظيةً ذهب زمانها، ويعدّونها من التكلف الذي يذهب برُواء الشعر، والذي أراه أن الشاعر حينما يتلمّس الطباق أو المقابلة إنما يحاول بذلك إتمام جمال كوني قائم على التضاد المتكامل: أرض وسماء، ليل ونهار، ماء ونار، ذكر وأنثى... وهلمّ جراً، وكأنه بذلك يتناغم بإبداعه مع هذا المظهر الكوني.

غير أن أبرع العناوين من هذا اللون ما حوى المقابلة أو الطباق المبني على حقيقة مُتَناساة ومن أمثلته - وهي كثيرة عند شعراء الجيلين الأخيرين - : جلْجَلة الصمت (من : **أنوار ذهبية** ، لعبدالسلام حافظ) ، و: اشتعال الرماد (من : **أشرعة الصمت** ، لحسين سُهَيل)، إن العنوان هنا يومئ إلى الحقيقة ويتناساها : وهي في العنوان الأول: جلجلة الصوت/ وسكون الصمت، ولكن الشاعر أخذ شطر الحقيقة الأولى وألّفه مع شطر الحقيقة الثانية، فخرج من ذلك صورة ممتعة مشحونة بالعاطفة، مشيرة إلى تداعيات نفسية وفكرية، ومثلها العنوان الثاني: فحقيقتاه: اشتعال النار/ وهمود الرماد، ويقال فيه ما قيل في الأول.

ويُلحق بالبديع ما يشبه السجع، وقلت : (ما يشبه) لأن السجع يكون بين نهايات الجمل ، ولا جُملَ هنا ، ومن نماذجه : أيام وأحلام (من : **اللوحات** لأحمد قنديل) ، و : أضواء وأشلاء (من : **إضاءات** ، لمحمد المشعان) ، و (**هدايا وتحايا**) لعائض القرني ، ويكثر هذا النوع في عناوين المحافظين، ولكن أغلب الأجيال الجديدة تنكّبت سبيله؛ لارتباطه في الوعي الإبداعي بالتقليد.

٨ - العنوان / الاقتباس أو التضمين : وأبرز من نحا هذا النحو أسامة عبدالرحمن الذي عنون أغلب دواوينه بجمل قرآنية، ومنها : (**واستوتْ على الجودي - وغِيضَ الماء - بحر لُجّي - فأصبحَتْ كالصَّريم - لا عاصم**)، ولصالح الزهراني (**ستذكرون ما أقول لكم**)، وعنون محمد المشعان بعض قصائده ناحياً فيها هذا المنحى، ومنها : فكّ رقبة - بأيّ ذنب قُتِلتْ - فيها نعيدكم (من ديوانيه : **إضاءات** ، و : **ومَضات**) وليوسف أبو سعد : واد غير ذي زرع (من : **الأغاريد والتقاسيم**) ولحسن الزهراني (**ريشة من جناح الذل**).

ومن التضمين : إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيت إعصاراً (من : **الأغاريد** لأبي سعد) و : جزاء سنِمَّار- العَوْد أحمد- مكرهٌ أخاك (من : **ومضات** للمشعان).

٩ - العنوان التأملي : وغالبًا ما يكون صدى لنفس قلقة، أو حزينة، وهو كثير عند المتأثرين بالمذهب الرومانسي، فالزمخشري مثلاً يعنون دواوينه بـ (**أحلام الربيع - عودة الغريب - ألحان مغترب - معازف الأشجان - حقيبة الذكريات**) وأغلب عناوين قصائده تنحو هذا النحو، ولناصر أبو حيمد (**قلق**)، ولمحمد فقي (من أنا؟) وهو عنوان يشير إلى نفسية قلقة هائجة متمرِّدة،[٤٥] وكثير من عنوانات حمد الحجي على هذه الشاكلة، ومنها :

خلف المنظار الأســـود - إلى باعث الشكوى - آهات وأشواق (من ديوانه : **عذاب السنين**).

وتكثر العناوين التأملية في قصائد الحب والشوق، مثل هذه الطائفة من قصائد يوسف أبو سعد (في بحر عينيك - وهج الأشجان - في مَهْمَه الحب - أشجان على مذبح الآمال) وقد أشار بعض دارسي شعره إلى أن عناوينه" مغموسة في نهر الرومانسية "(٤٦) .

والوقفات تُجاهَ سِنِيِّ العمر المتصرِّمة ضرب من التأمل، ويكثر في عنونة قصائدها ذكر ما مضى من العمر، مثل : سبعون (من : **ظِلالٌ ولا أغصان**، لعبدالعزيز الرفاعي) و : بعد الخمسين (من : **إبحار بلا ماء**، لابن إدريس) و : على مشارف الخمسين (من : **الأمل الظامئ**، لعمران العمران) و : أمام الأربعين (من : **الحُمَّى**، للقصيبي) و : ثلاثون (من : **نوافذ الشمس**، لحبيب بن معلّى)، وقد يأتي العنوان مُومِئاً إلى تأمل ما مضى والحسرة عليه والتفكير فيما بعده، مثل : طلائع خريف (من: **وحي الحرمان**) و : الموت يدنو (من : **الطائر الغريب** لسرحان).

١٠- العنوان / الرمز : وهو نوع عالٍ من العنونة، ما كان متَّسقاً مع لغة الشعر، غير ملفَّع بالضبابية، أو الإغماض المتَعَمَّد الذي لا يجد له القارئ مفتاحاً يعينه على سبر غور النص، والتفاعل معه.

ومن العناوين الرمزية ما يدخل في الرمز المشترك، الذي كثُر استخدامه حتى قارب أن يكون حقيقة لا رمزاً، مثل : شهرزاد تتحدث نهاراً (من : **رائحة التراب**، لإبراهيم مفتاح) و : السندباد في رحلته التاسعة (من : **ستتذكرون ما أقول لكم** ، لصالح الزهراني) وفي ديوانه الآخر (**فصول من سيرة الرماد**) : تعليق على ما قاله لَقِيط بن حارثة .

ومن الرموز التي تزخر بها العناوين - على تفاوتها قرباً وبعداً- : **طيفان على نقطة الصفر** ، لأحمد البهكلي ، و: البَسْو تهبُّ من جهة أخرى (من : **رائحة التراب**، لإبراهيم مفتاح) و : وقتٌ لعبدالله بن إلياس (من : **رياح المواقع**، لعلي الدميني)، و : انكفاءات الصِمَّةُ القُشَيري، و : هكذا غنَّى سَطِيح (من : **أشياء من ذات الليل**، لعبدالعزيز العجلان)، و : رحيل الشيطان (من : **وردة في فم الحزن**، لحسن الحازمي) و : وجه الشيطان (من : **عواطف إنسانية**، لمريم البغدادي[ـة])، و : الدوحة الشاعرة المحْتَضَرة (من : عذاب السنين لحمد الحجي) والدوحة رمز للشاعر نفسه، والزورق عند ابن إدريس في ديوانه (**في زورقي**) رمز للرحلة والسفر والنجاة(٤٧) .

وقد تأتلف عناوين القصائد مع عنوان الديوان في الرمزية، كما نجد في ديوان (**رسوم على الحائط**، لسعد الحميدين) الذي جاءت في داخله هذه العناوين : (تذكرة سفر ملْغِيَّة[كذا! والصواب : مُلْغاة]- رحلة العيون المُرْمِدة - إطار بلا صورة) فكلها يدل على صراع داخلي، يعبِّر عن موقف سفري مأساوي (٤٨).

ويرتبط العنوان / الرمز بالغرابة، وهذه ظاهرة في الشعر العربي كله، فقد أصبحت العناوين غريبة بعيدةً عما ألِفته الذاكرة العربية، مفاجئةً للقارئ بما لا يكاد يخطر له على بال أحياناً(٤٩)، ومن نماذج العناوين الغريبة في دواوين الشعراء السعوديين : **رحلة الدم الأصفر**، و : **زخارف فوق أطلال عصر المجون وكلاهما** للقرشي، و : **مُورِقٌ بالذي لا يكون**، لعبدالله الزيد، و : **بوصلة واحدة لا تكفي**، لعلي الأمير، و : **رماد الوجه الحنطي**، لعلي آل عمر العسيري، و: **أولمبياد الجسد**، و : **حمائمُ تكنس العَتْمة** ، و : **ظلِّي خليفتي عليكم** ، وكلها لجاسم الصحيِّح.

ومن القصائد ذوات العنوان الغريب : وجع المسافة بين دمك وثلاَّجة الموتى، و : إيقاع لما تبقّى من سيد النجوى، لعبدالله الزيد، و : إشكالية التخثُّر في دم

القصيدة ، لإبراهيم مفتاح ، و : حُزْنية النهر المقوّس ، و : ارتعاش الغيرة في شارع ترابي، لعلي آل عمر، و : مقدمة لموت عصر الكلمات، و : فُجائياً يكتب قدرَ الأرض، و : الخروج من المدن المُنكَّسة ، وكلها لأحمد عائل فقيه، و : روغان اللغز في زئبق التأويل، للصحيِّح.

وللنقد إسهام في تأويل الرمز في العنوان، ولكنه يظلّ مُطيفاً به، يدخل إلى غياباته حيناً ويعجز أحياناً، ومن الجيد في هذا المقام تأويل بعضهم عنوان ديوان الثبيتي **(تهَجَّيتُ حلماً، تهجّيت وهماً)** إذ قال : إن (تهجّيت حلماً) إيحاء، وكذلك (تهجيت وهماً)، وكلمة (تهجّيت) توحي بقراءة صعبة المنال لشعره، وتأويله لعنوان قصيدة مسافر (أين وجهي؟) بأنه رمز للحياء من الآثام والأخطاء[٥٠] .

ويبدو أن تيار الشعرية العاصف الذي أحدثته مذاهب أدبية كثيرة، كان ذا أثر فاعل في ميل الشعراء إلى هذا النمط من العنونة، زيادةً على أن الشعراء المتأخرين في العشرين سنةً الأخيرة وجدوا في الرمز الغريب ظلاً وموئلاً، يعزف بعضهم فيه أنغاماً شاذّة عن السائد في الفكر أو أنماط الصياغة الإبداعية، ويظهر لي أن بعض الشعراء يريد الغرابة لذاتها؛ليستفزَّ القارئ، ويثير عقله بإبعاده عن المعقول، وبعضهم يطمح من خلال الإغراب إلى لفت أنظار النقاد إليه، وإن لم يقل في قصيدته شيئاً ذا بال، وقد لقيت هذه العناوين ازوراراً من بعض النقاد الذين يجنحون إلى المباشرة، ويُؤثرون الوضوح، فمحمد بن حسين مثلاً ينكر عنوان **(عندما يسقط العرّاف)** لأحمد الصالح، وما تضمنته القصيدة التي تحمل العنوان نفسه، ويقول : إنه لم يصل إلى فهم يرتاح له[٥١]، ومن قبلُ أنكر طه حسين على إبراهيم ناجي عنوان ديوانه (وراء الغمام)[٥٢]، وقال عن ديوان محمود أبو الوفا (الأنفاس المحترقة) : " أنكرُ العنوان ولا أسيغُه، ولا أفهم ما يُراد به... فأنفاس الناس كلها محترقة "[٥٣]، وقد ردَّ عليه ناجي قائلاً : أنت تحاسب الشاعر لفظاً لفظاً، وتتناسى أن هناك ما يسمّى المجاز والاستعارة، ثم يضرب له مثلاً مما شاع في الآداب الأجنبية[٥٤]. وموقف النقاد ذوي الثقافة المحافظة طبيعي؛ وهو شبيه بمواقف علماء اللغة ورواة الأدب الأقدمين الذين أنكروا على أبي تمام ومن سار على هديه إغراقهم في البديع، وخروجهم عن عمود الشعر، غير أن هذه المواقف – وإن سوّغها بعض الإغراق في الرمز المصمَت – لم تقف حائلاً دون تطور هذا اللون من العنونة.

١١- العنوان / الصورة : وهذا مما تظهر فيه براعة الشاعر وتجلياته الإبداعية، وعندي أنه أرقى أنواع العنوان؛ لصلته الوثقى بلغة الشعر، وقد احتفى به الشعراء العرب المعاصرون، وسايرهم السعوديون، وخاصة الأجيال المتأخرة منهم في العَقدين الأخيرين، وهذه طائفة من الدواوين المندرجة في هذا النوع : **قصائد تتوكّأ على عكّاز**، للبواردي ، و : **همسات في أذن الليل**، للخطراوي ، و: عِقد من الحجارة، للقصيبي، و : **أنقاض الغِبطة**، لمحمد الدميني، و : **عيناكِ يتجلّى فيهما الوطن**، لأحمد الصالح، و: **وردة في فم الحزن**، لحسن الحازمي، و : **نوافذ الشمس**، لحبيب بن معلّى، و : **عزف على أوتار مهترئة**، لحسن الصلّهبي.

ومن القصائد الداخلة في هذا الضرب : الشَّنْفَرَى يدخل القرية ليلاً، لأحمد الصالح، و : هم يشنقون الفجر، لابن إدريس، و : نام في جفنيك ليلي، لأسامة عبد الرحمن، و : فقاقيع تلهث من الصمت، لباعطب، و : رماد الهزيع ، و: أورقتْ نشوة البدء فيك، لعبدالله الزيد، و : شرخ في ذاكرة الرمل، لعبدالعزيز العجلان، و : فجر من رحم الظلْمة، لحبيب بن معلّى، و : مرور على شجر الصمت، و : أنفاس الثواني الأخيرة، لأحمد العرفج ، و : أعشاب ليلة حجرية،

لحسين العَرَوي، و : خاشعاً أحصد الغيم، لإبراهيم زولي، وقد تكون الصورة كلمة واحدة، كما في ديوان (التضاريس) لمحمد الثبيتي، و (المداد) لإبراهيم العواجي.

والصـــورة في العناوين تدخل في إطار الرؤية الحديثة التي تجنح إلى الإغراب وتخطّي حدود العقل وبناء علاقات جديدة، تكون غير منطقية أحياناً، ولكنها تظلّ مُلمِحةً إلى مقدار التوتر الشعري، ودالةً على نفسية المنشئ والظروف المحيطة به، وقد تمتزج بما يسمى الصورة الأسطورية ، مثل (منادمة الموتى) لباعطب.

١٢- العنوان /القصيدة : وأعني به ما جاء مشحوناً بدفقات تعبيرية وتصويرية، حتى يغدو كأنه قصيدة مستقلة، وهو ذو علاقة بالنوعين السالفين، ومن أمثلته : عنوان ديوان حسين العروي (**لمَ السفر ؟ نُبُوءةُ الخيول .. بشائر المطر .. قصائدي انتظار ما لا يُنتَظَر**) فهذا العنوان وحده قصيدة ، وقريب منه عنوان ديوانٍ لعبدالله الزيد، هو : (**أمُدّ الدمعَ من عيني .. لبدء الريح**).

١٣- العنوان الرقمي أو : العنوان / الصمت : وهو من آثار التحول في الذوق الأدبي للمتلقّين من ذوق المستمع إلى ذوق القارئ[٥٥]، ومنه قصيدةٌ لحسين سرحان، عنوانها: (إذا ...؟) فالنقاط وعلامة الاستفهام ذات دلالة قصدها الشاعر تتبيّن عند قراءة القصيدة، وأشد منها إيغالاً قصيدتان للعَرَوي، الأولى عَنْوَنها هكذا : (... ، .... ، ... ،) والأخرى جعل عنوانها علامة استفهام : (؟) ويمكن أن نبني أفهاماً مختلفة حول ما يريد الشاعر إيصاله، والمهم أن ثمةَ معاني غائبة أو مغيَّبة، قد تُلمَح من خلال هذه العناوين الصامتة.

رؤى عامة حول العنونة :

١ - من الدواوين ما يحمل عنوان قصيدة واحدة لا يحوي غيرها، ويمكن تسمية هذا النوع (ديوان القصيدة الواحدة)[٥٦]، مثل : (**عكاظ الجديدة**) للعواد، و : (**عودة الفيضان**) لعبدالسلام حافظ، و : (**شمشون ودليلة**) لأسامة عبدالرحمن.

٢ - من العناوين ما يشير إلى ذاتية صاحبه أو خلافها، والأولى كثيرة عند الوجدانيين، فطاهر الزمخشري مثلاً تكثر في بعض عناوينه الإضافة إلى ياء المتكلم ، مثل: (ابني فؤاد - هذه نفسي - اسكتي يا نفس - عيوني - فؤادي - أمي)، بينا لا تجد مثلاً في ديوان (**نداء السحر**) لمحمد الشبل إلا قصيدة واحدة فيها ياء المتكلم ، عنوانها (قال لي).

٣ - من العناوين ما يحمل روح السخرية، ومن نماذجه : أنفاس مُنخُر (من : **الطائر الغريب**، للسرحان)، و : حمير اللذة (من : **قصائد غاضبة** ، لعلي آل عمر) ، و : نهاية أتان (من : **جراح قلب**، لعلي النعمي)، و : إلى نذل مع أشواقي الربيعية (من : **لمَ السفر؟ ...** للعَرَوي) ، وغالباً ما تكون هذه العناوين الساخرة في الشعر الاجتماعي والإخوانيات، ويكثر امتزاجها بالأنساق العامية والألفاظ المُحدَثة، مثل : كان يا ما كان - أنا مالي - فَشَر - الكندشة - معاكسون - نخلة عوجاء - ابن أبي ربيعة المبتعث (من ديوانيْ **إضاءات**، و : **ومضات** ، لمحمد المشعان)، و : لا يا فالحة (من : **جراح قلب** للنعمي)

٤ - صار من الشائع أن يختار الشاعر عنوان قصيدة من الديوان، ليجعلها عنواناً للديوان كله، وهذا "ديدن أكثر الشعراء المعاصرين"[٥٧] وقد سار القصيبي على هذا النهج وقال : إن هذا صار تقليداً تكرّر في دواوينه كلها، إلا (**أبيات غزل**)[٥٨]، وصرّح بأنه قرر أن يجعل عنوان قصيدته (**قطرات من ظمأ**) عنواناً للديوان منذ كتبها[٥٩]، وقد سلفت الإشارة إلى أسباب اختياره لعناوين دواوينه، والغالب أن الشاعر يختار أجمل قصائده

أو أقربها إلى نفسه، ليكون عنوانها هو عنوانَ الديوان، وقد ذكر ابن إدريس شيئاً من هذا في قوله عن عنوان ديوانه الأول (**في زورقي**) : إن أسباب اختيار العنوان ترجع إلى : كون القصيدة التي تحمل العنوان نفسه ناتجةً عن معاناة قاسية، وأنها تصور مبادئه في الحياة، وأنها حظيتْ بتعليق ناقد كبير[٦٠]. (ومن العناوين الموحَّدة للديوان ولإحدى القصائد : (**إليه**) لعبدالمحسن حلِّيت، و (**رهبة الظل**) لمحمد يعقوب، وأمثالها كثر.

٥ - كثير من العناوين يُبرز الغنائية الشعرية، ولذا كثرت في عناوين الشعر السعودي كلمات تلتقي مع هذه الصفة أو تصرِّح بها كـ : الشدْو والغناء و القيثار والنشيد والهتاف والترانيم ، ونحو ذلك، وفي بعض النماذج الواردة آنفاً ما يصدِّق هذا الحكم.

٦ - يعمد بعض الشعراء إلى تقسيم القصيدة إلى مقاطع، يحمل كلٌ منها رقماً، أو عنواناً داخلياً، ومن ذلك : قصيدة (الإيقاع الأول للخروج من ذات الأيْن ، لعبدالله الزيد) ففي داخلها تجد : افتتاح (١) - التفات - افتتاح (٢). وقصيدة (مفتَرق الخناجر، لعلي آل عمر) وفيها : إفادة - اعتراف - نموذج - صوت - شواهد - صوت، وذلك يدل على مقدار التطور في فهم طبيعة القصيدة، وتقاطعها مع بعض الفنون الأخرى.

٧ - تختلف العناوين طولا وقِصَراً، والغالب على دواوين الروّاد ومن بعدهم قِصَر العنوان ، أما المتأخرون وخاصة في العقدين الأخيرين فالغالب عندهم الميل إلى العنوان الطويل، وقد مرَّت في تضاعيف البحث نماذج كثيرة، وأضيف هنا ما يزيد القول وضوحاً، فمما يدخل في هذا الحكم : **إيقاعات الطين والحزن والسراب**، لعبدالله الحُمَيد، و : الخطوة الأخيرة باتجاه الجرح، (من : **رهبة الظل**، لمحمد يعقوب)، و : تصحيح في معلَّقة عمرو بن كلثوم (من : **إليه**، لعبدالمحسن حلِّيت) و : موغلاً في شجنٍ ما يهجس أن يخرج من إهابه، لعبدالله الصالح.

٨ - كثيراً ما تكون معاني عناوين القصائد مختصرةً في عنوان الديوان، أي أنه يكون جامعاً لها، وسأمثِّل بديوانين مختلفَي المضمون :

الأول ديوان (**شرارة الثأر**) لإبراهيم الدامغ، ومن عناوين قصائده : نداء الوطن - أحلام الغزاة - صراع - وراء الحدود - انتحار - الطلائع - موكب الفتح - ردِّي سلاحك - سلاحي لساني.

والثاني ديوان (**ترانيم واله**) لعثمان بن سيَّار، ومن قصائده: يا حبيبي - لا عتاب - يوم الرحيل - مأساتها - غرام السنين - الجَمال.

ولا أجدني في حاجة إلى الشرح ، فكل ديوان منهما يلتقي بعنوانه مع عناوين القصائد في داخله، ويتقاطع معها ، وهذه العناوين تعضد ما يراه بعضهم من أن كلمة العنوان أو جملته تدلّ على حضور معناها في وعي الشاعر ، وشغلها حيِّزاً مهماً من تفكيره وموقفه الفني[٦١].

٩ - ظهر لي أن شعر المناسبات أبعد ما يكون عن الإبداع في صياغة العنوان، وأن الشعر الذاتي فائق فنياً، وأحسب أن النصيب الأكبر من الإبداع في مجال العنونة كان للأجيال المتأخرة من الشعراء السعوديين .

وبعد : فإن العنوان هو نقطة الارتكاز في القصيدة والديوان[٦٢]، وهو الذي يقدم للقارئ الرؤية الأولى لعالم النص وتجلّياته، ويرمز إلى المفتاح المُفضي إلى فهمه، وإدراك نفسية قائله، حتى عدَّه بعضهم "من أهم السمات الجمالية التي تميِّز الشعر المعاصر"[٦٣].

وقد بدا من خلال استعراضي لدواوين جمهرة من الشعراء السعوديين أن احتفاءهم بالعنوان بدأ مبكِّراً مع

جيل الروّاد، على تفاوت حظوظهم فيه، وأن الاحتفال بالعنوان بوصفه مظهرَ إبداع قد نما وتعاظم مع حركات التجديد التي استقت من الآداب العربية المعاصرة، ونهلتْ من الآداب الأجنبية، حتى أضحى العنوان في العَقدين الأخيرين جزءاً مهماً في بناء القصيدة ومعمارها.

وغني عن الذكر أن العنوان- وإن تصدّر الديوان أو القصيدة مكانياً- يتأخّر إنجازه زمنياً عن إنجاز الديوان أو القصيدة، وهو يمثل القراءة الأولى[٦٤] للمتلقي، والقراءة الأخيرة للمنتج أو المبدع؛ لأن القارئ يواجه العنوان ابتداء، أما المبدع صاحب النص فإنه ينظر في نصه بعد أن تتكامل أجزاؤه، ثم بعد أن يعيد فيه ويبدئ، تبدأ مرحلة إبداع العنوان.

ولكنَّ مما يلفت النظرَ الإفراطَ في العناية بالعنوان، بتوظيف المفردات المتنافرة أو المتضادَّة، والإيغال في تركيب الصورة المغرقة في البعد عن الحقيقة، حتى ليكاد الناظر يجزم بأن الشاعر يفكر في العنوان قبل أن ينشئ القصيدة جاعلاً همَّه منصبّاً على الصياغة اللافتة، وإن حوت المتناقض أو الشاذَّ أو الرمزَ المُصْمَت.

الهوامش

١- طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٧ .

٢- السابق ص ١٩.

٣- يراجع: عبدالجواد المحص (د) كشف النقاب عن القصائد المميزة بالألقاب .

٤- ينظر: اللسان، والمعجم الوسيط (عنن) .

٥- ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٤/٥.

٦- يراجع: عبدالرحمن السماعيل (د) العنوان في القصيدة العربية ص ٤٣.

٧- محمد عويس (د) العنوان في الأدب العربي ص ٥.

٨- عبد الرحمن السماعيل (مرجع سابق) ص ٥٧.

٩- محمد عويس (مرجع سابق) ص١٣.

١٠- السابق ص ٦.

١١- السابق ص ٥.

١٢- يوسف حسن نوفل (د) قراءة في ديوان الشعر السعودي ص١٩٥.

١٣- طه وادي (د) جماليات القصيدة المعاصرة ص ٩٨.

١٤- سعد البازعي (د) ثقافة الصحراء ص١١٥.

١٥- حمزة شحاتة، ديوانه (مقدمة جامعي الديوان ص ٦).

١٦- عبد الرحمن السماعيل (مرجع سابق) ص٥٣.

١٧- طه وادي (مرجع سابق) ص٩٨.

١٨- عبده بدوي (د) دراسات في النص الشعري ص ٦٣.

١٩- خليل الموسى (د) في شعرية الشعر الكويتي، مجلة البيان ص٢٢.

٢٠- السابق ص٢٦ .

٢١- غازي القصيبي (د) سيرة شعرية ٥٠/١ .

٢٢- ينظر: نورية الرومي (د) الحركة الشعرية في الخليج العربي ص٤٨٠.

٢٣- السابق ص ٢٩٣.

٢٤- عبدالله الفيصل، وحي الحرمان ص ١٢.

٢٥- حسن القرشي، الأعمال الكاملة ٢/ ١٠٠، نقلاً عن يوسف نوفل (مرجع سابق) ص١٩٧.

٢٦- عبدالله بن إدريس، إبحار بلا ماء ص ٧.

٢٧- غازي القصيبي (مرجع سابق) ١/ ٥٥.

٢٨- السابق: ١/ ١٠٥، ١٣٨.

٢٩- علي حافظ، حروف من لغة الشمس، المجلة العربية ع٣١١ ص ٦٦

٣٠- حمد العسعوس، في فضاء القصيدة، جريدة الجزيرة ص٢٤.
٣١- محمد عويس (مرجع سابق) ص ١٥.
٣٢- السابق ص ٤٢ .
٣٣- حسن النعمي ، أثر البيئة المحلية في شعراء جازان، مجلة مرافئ ص ١٢٤.
٣٤- ماهر حسن فهمي (د) تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج ص ١٦٩.
٣٥- عبدالله بن إدريس، كلام في أحلى الكلام ص ٣٣.
٣٦- محمد عويس (مرجع سابق) ص ٣٥.
٣٧- محمد حبيبي ، الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ١٢/٢.
٣٨- صالح المحمود ، شعر يوسف أبي سعد دراسة موضوعية وفنية ص ٢٦٩.
٣٩- السابق نفسه .
٤٠- محمد عويس (مرجع سابق) ص ١٦.
٤١- عبدالله بن إدريس، كلام في أحلى الكلام (مرجع سابق) ص١٥-١٦.
٤٢- خليل الموسى (مرجع سابق) ص٢٢.
٤٣- يوسف نوفل (مرجع سابق) ص١٩٧.
٤٤- شفيع السيد (د) قراءة الشعر وبناء الدلالة ص٤١.
٤٥- مسعد العطوي (د) الرمز في الشعر السعودي ص١٧٥.
٤٦- ظافر الشهري (د) مقدمة مج٢ من ديوان أبي سعد، ص١٥ نقلاً عن: المحمود (مرجع سابق) ص٢٧٠.
٤٧- محمد حبيبي (مرجع سابق) ١/ ٦٥، ٩٣.
٤٨- بدر توفيق ، مقالة ملحقة بديوان (رسوم على الحائط) لسعد الحميدين ، نادي الطائف الأدبي ط الثانية ١٤١٢، ص١٨٨.
٤٩- شفيع السيد (مرجع سابق) ص٩٦ .
٥٠- مسعد العطوي (مرجع سابق) ص ٢٦٧، ٢٥٩ .
٥١- محمد بن حسين (د) كتب وآراء، الكتاب الثاني ص١٤٠.
٥٢- طه حسين (د) حديث الأربعاء ٣/ ١٥٧.
٥٣- السابق : ٣/ ١٨٨.
٥٤- محمد كامل الخطيب (جامع ومحرر)، نظرية الشعر، مرحلة أبولو ٢ / ٤٤٩.
٥٥- محمد عويس (مرجع سابق) ص ٣٤.
٥٦- يوسف نوفل (مرجع سابق) ص١٩٨ .
٥٧- يوسف بكار (د) العين البصيرة ص ٨٦.
٥٨- غازي القصيبي (مصدر سابق) ١/ ٧١.
٥٩- السابق نفسه .
٦٠- عبدالله بن إدريس ، في زورقي ص٦-٧.
٦١- شفيع السيد (مرجع سابق) ص٩٦.
٦٢- عبده بدوي (مرجع سابق) ص١٥٤.
٦٣- طه وادي (مرجع سابق) ص٩٨.
٦٤- خليل الموسى (مرجع سابق) ص ٢٢-٢٣.

المراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، نشر مجمع اللغة العربية في مصر ١٩٨٠م.
- حسن النعمي، أثر البيئة المحلية في شعراء جازان، **مرافئ (ملف دوري)** النادي الأدبي بجازان، العدد (٣) شوال ١٤٢١هـ .
- حمد العسعوس، في فضاء القصيدة، **جريدة الجزيرة**، العدد ٨٠٤٦، الصادر في ١٤١٥/٥/٤هـ .
- حمزة شحاتة، **ديوانه**، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ تحقيق إحسان عباس- بيروت: دار الثقافة، د.ت.

- خليل الموسى (د) في شعرية الشعر الكويتي (دراسة في بعض العناوين) **مجلة البيان**، الكويت العدد ٣٧٩ فبراير ٢٠٠٢م .
- سعد البازعي (د) **ثقافة الصحراء**.- ط١ .- الرياض ، ١٤١٢هـ .
- شفيع السيد (د) **قراءة الشعر وبناء الدلالة** .- القاهرة : دار غريب ، ١٩٩٩م .
- صالح المحمود ، **شعر يوسف أبي سعد دراسة موضوعية وفنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت لكلية اللغة العربية بالرياض ١٤٢٢هـ .
- طه أحمد إبراهيم، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** .- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ .
- طه حسين (د) **حديث الأربعاء** .- ط٩ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤م .
- طه وادي (د) **جماليات القصيدة المعاصرة** .- ط٢ .- القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٤م .
- عبد الجواد المحص (د) **كشف النقاب عن القصائد المميزة بالألقاب** .- ط١ ، الإسكندرية، ١٤١٧هـ .
- عبد الرحمن السماعيل (د) العنوان في القصيدة العربية، **مجلة جامعة الملك سعود**، مج (٨) الآداب (١) الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- عبدالله الفيصل، **وحي الحرمان**، د.ن ، ١٤٠١هـ .
- عبدالله بن إدريس، **إبحار بلا ماء**.- ط١ .- الرياض : دار إشبيليا، الرياض ، ١٤١٩هـ .
- .... **في زورقي** .- ط١.- الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٤هـ .
- .... **كلام في أحلى الكلام**.- ط٣، الرياض ، ١٤١٢هـ.
- عبده بدوي (د) **دراسات في النص الشعري (العصر الحديث)** .- القاهرة : دار قباء ، ١٩٩٧م .
- علي حافظ كيري، قراءة في (حروف من لغة الشمس) .- الرياض : **المجلة العربية** ، العدد ١١٣، ذو الحجة ١٤٢٣هـ ص٦٦ .
- غازي القصيبي (د) **سيرة شعرية**.- ط١ .- جدة : دار تهامة، جدة ، ١٤٠٨هـ .
- ماهر حسن فهمي (د) **تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج العربي** .- ط١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ .
- محمد بن سعد بن حسين (د) **كتب وآراء** (الكتاب الثاني) .- الرياض ١٤٠٣هـ .
- محمد حبيبي، **الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث** .- ط١.- الرياض : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ١٤١٧هـ.
- محمد عويس (د) **العنوان في الأدب العربي (محاضرات ألقيت على طلاب الدراسات العليا بكلية اللغة العربية**، مرقونة على الآلة الكاتبة عام ١٤٠٨هـ).
- محمد كامل الخطيب (جامع ومحرر) **نظرية الشعر/ مرحلة أبولو** .- دمشق : وزارة الثقافة، د.ت .
- مسعد العطوي (د) **الرمز في الشعر السعودي** .- ط١ .- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٤هـ.
- ابن منظور، **لسان العرب** .- بيروت : دار لسان العرب ، د.ت .
- نورية الرومي (د) **الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور**، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- يوسف بكار (د) **العين البصيرة**، سلسلة كتاب الرياض، العدد ٦٨ ، ١٢٤١.
- يوسف حسن نوفل (د) **قراءة في ديوان الشعر السعودي** .- الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ .

الشِعر المصري في القرن السادس الهجري ابن قلاقس
لعبدالهادي عطية

عبدالعزيز بن ناصر المانع
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

لعل عبدالهادي عطية قصد - كما يتضح من عنوان كتابه - إلى دراسة مكانة الشِعر في مصر في هذا القرن الذي لم ينل ، في رأيه ، حقه من الدراسة . والعطية عضو هيئة تدريس في جامعة الإسكندرية، وقد صدر الجزء الأول من كتابه هذا عام ٢٠٠٠م عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ويقع في ٥٢٦ صفحة مع الفهارس . وما من أحد يشك في أن كتاباً بهذا العنوان سوف يكون لصدوره دور بارز في إثراء الحركة الأدبية وكشف المخبوء عن مكانة الأدب العربي، خاصة في هذا العصر الذي زخر بأدباء وشعراء يظن الكثير منا أنه بداية عصور الانحطاط الفني للشِعر، ولكن حقيقة هذا الكتاب، في الواقع، خلاف ذلك.

يبدأ المؤلف الكريم مقدمته بتعداد الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتابه هذا، فيذكر ستة أسباب تحتل الصفحات ٩-١١، ثم يتوقف ليبدأ من جديد في ذكر أحد عشر سبباً إضافة إلى الستة السابقة، غالبها مكرر وتحتل الصفحات ١٢-١٥؛ ولا أدري ما هدف المؤلف من هذه الازدواجية في ذكر أسباب التأليف . لعله يدري ، بل لا شك أنه يدري .

وننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المؤلف في كتابه الذي يغلب على ظني أنه أساساً كان رسالة علمية. لنبدأ أولاً بخطة البحث ونرى كيف أسس وخطط لها . لقد ذكر الباحث الكريم خطتين إحداهما مفصلة تحتل الصفحات ١٥-٢٤، والأخرى موجزة تحتل الصفحات ٢٥-٢٦. وسنأخذ بالأخيرة اختزالاً للمكان . ومن النظرة السريعة لها يتضح أن الكتاب يشتمل على خمسة أبواب تحمل في داخلها تسعة عشر فصلاً!!

فالباب الأول يحتوي على الفصول التالية :

١ - الحالة السياسية . ٢ - الحالة الاجتماعية .
٣ - الحالة الثقافية . ٤ - الحالة الأدبية.

والباب الثاني خص به ابن قلاقس ويشتمل على ستة فصول :

١ - نشأته (نسبه، ومولده، ووفاته، وعمره).
٢ - سماته (أخلاقه، وصفاته، ومذهبه، وثقافته).
٣ - تعليمه (أساتذته، وتلاميذه، وروايته) [لعلها : ورواويته، كما في أصل الكتاب ص٢١٠] .
٤ - رحلاته وكتاباته عنها ، ومؤلفاته ، وآراء النقاد فيه .
٥ - حالته الاجتماعية ، واتصالاته، والمؤثرات العامة في شخصيته .
٦ - دراسة لأستاذه الحافظ السِّلَفي.

أما الأبواب الثالث والرابع والخامس فقد تحدث فيها عن شِعر ابن قلاقس ونثره، ولم أذكر فصولها لأن هذه الأبواب هي صلب الكتاب، ومن حقه بل من واجبه أن يتوسع فيها كما يشاء، لكن الحديث عن دراسته الفنية للشِعر مؤجل الآن حيث سأخصص له بحثاً آخر عندما يصدر الجزء الثاني إن شاء الله.

وحتى أوفّر على القارئ الكريم وقته وأبعده عن

السأم الذي وقعت فيه، فإني سأكون موجزاً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولنبدأ بالسؤال:

١ - ما الهدف الأساس الذي دفعه إلى كتابة هذا الكتاب أو الرسالة ؟

يقول في الصفحة التاسعة من المقدمة: "وقد كانت اللمحة التي أثارت رغبتي في تقديم بحث في هذا الموضوع ما وجدته مكتوباً في كتاب "الأعلام" للزِّرِكْلي عن "ابن قلاقس" من أن له ديواناً مخطوطاً في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٣١٣٩ مما جعلني أفكر في الكتابة فيه وأقْدِم على ذلك"!!

هذا هو الدافع للمؤلف إلى كتابة بحثه!!

كان نشْر الطبعة التي اعتمد عليها من كتاب "الأعلام" للزركلي في أواخر الستينات من القرن العشرين.

وكان كلامه هذا في أواخر التسعينات من القرن العشرين.

ثلاثون عاماً بينهما!!

وسيتضح للقارئ الكريم، بسبب ذلك، مدى جهل عبدالهادي عطية بابن قلاقس وبمصادر شِعره ونثره فيما سيأتي تفصيله.

لكن لنبدأ بالحديث عن خطة الباحث في كتابه، ولنتحدث أولاً عن الباب الأول ؛ وأسأله سؤالاً مهماً : أهو أول من كتب عن القرن السادس سياسياً واجتماعياً وثقافياً وأدبياً؟

والجواب : أبداً ! فقد سبقه كثيرون إلى ذلك.

وكل ما كُتبَ قبله ينطبق على ابن قلاقس!

ولكن ما فعله الكاتب الكريم يندرج تحت باب التزيد لتصل صفحات هذا الباب أيضاً إلى ما يفوق مئة صفحة كان في غنًى عنها؛ ليته اكتفى بعشر منها مدخلاً للبحث!

ثم نأتي للباب الثاني الذي خصّصه للحديث عن ابن قلاقس وقسّمه إلى ستة فصول تحتل الصفحات ١١٣-٣٢٦.

وعندي أن المؤلف الكريم كان بإمكانه أيضاً أن يختزل هذا الباب في صفحات أقل لولا اجتهاده في التكرار والإطالة رغبة في الوصول بالكتاب إلى ما وصل إليه من الصفحات!

سأورد هنا مثالين:

١ - في الفصل الأول يحدثنا المؤلف عن نسب ابن قلاقس، ومولده، ووفاته، وعمره.

ولكل واحد من هذه التقسيمات عنوان مستقل، وأسأل القارئ الكريم : إذا عرفتَ مولد الشاعر بعد أن فصَّل لك عبدالهادي عطية ذلك وقدّره ، ثم ذكر لك ، بعد ذلك ، خبر وفاته وقدّره ، هل أنت بحاجة إلى عنوان مستقل في بداية صفحة مستقلة يعرفك فيها عن : عمر ابن قلاقس؟! أليست القضية أهون من هذا بكثير؟ بعملية حسابية بسيطة تطرح الميلاد من الوفاة ليخرج لك عمر ابن قلاقس ! أليس في عمله هذا استغفال للقارئ ؟ عندي - والله - أن الجزء الأول ، في أكثر فصوله ، هو استغفال للقارئ بتكراره الممل ، واستنتاجاته الباهتة ، والأدلة على ذلك قادمة فلا تستعجلون!

وفي هذا الفصل الأول أيضاً أسأله : لماذا خص أستاذ ابن قلاقس : الحافظ السلفي بفصل كامل من فصول كتابه؟

إذا كان القصد علمياً فلماذا لم يتخلص من كثير من فصول كتابه ، ويكتب فصلاً عنوانه : ابن قلاقس وتأثره بعلماء عصره وشعرائه؟

إنه التزيد في الصفحات لا غير!

بعد هذه المقدمة، أدخل الآن إلى صلب هذا المقال وهو - في الواقع - ما دفعني إلى الكتابة وحثني على بيان الحقيقة.

لعل من أهم ما استثارني هو جهل عبدالهادي عطية الواضح بالمراجع التي سبقته إلى دراسة ابن قلاقس؛ ولذلك نجده في مقدمته كثير الشكوى من هذا الأمر. ثم، وهو الأهم، جهله الفاضح في معرفة تراث ابن قلاقس الشعري والنثري وأماكن وجوده. إن معرفة السبب لا تخفى على ذي لبٍّ وهو أن متصفح هذا الجزء من كتاب عطية يجد أن جل اعتماده كان على ما كتبه "الزركلي" عن "ابن قلاقس" في كتاب "الأعلام"!

ما أريده هنا هو أن أوضّح للباحث الكريم عبدالهادي عطية كثيراً مما يجهله، وكل ما سأذكره سبق نشره منذ ما يزيد على عشرين سنة ولا يقل عن عشر سنوات من تاريخ نشره كتابه:

أولاً : الدراسات :

١ - لعل أول من تحدّث عن ابن قلاقس هو إحسان عباس - أمدّ الله في عمره - في كتابه "العرب في صقلية"، المنشور في القاهرة عام ١٩٥٩م.

٢ - كما كتب عنه المستشرق الإيطالي رزيتانو بحثاً قيّماً في الموسوعة الإسلامية ، الطبعة الإنجليزية الجديدة، لايدن ، مادة : ابن قلاقس .

٣ - وكتب عنه كاتب هذه السطور بحثاً طويلاً عنوانه: "ابن قلاقس الإسكندري ورسائله" ونشره في مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الخامس ١٩٧٧-١٩٧٨م، الصفحات ٢٦٩-٣٠٩.

٤ - وكتبتْ عنه سهام الفريح رسالة اسمها "ابن قلاقس: حياته وشعره" ونُشرت ضمن الحولية الأولى التي تصدرها جامعة الكويت تحت مسمى "حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية". وقد صدرت هذه الرسالة عام ١٩٨٠م/ ١٣٩٩هـ.

٥ - وكتب عنه محمد زكريا عناني كتاباً مستقلاً يقع في ٣٠٠ صفحة سماه "النصوص الصقلية من شعر ابن قلاقس الإسكندري وآثاره النثرية"، ونشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٢م.

٦ - وكتب عنه كاتب هذه السطور بحثاً آخر سماه "ابن قلاقس الإسكندري في صقلية" ونشره في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المجلد الرابع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الصفحات ٤٥-٦٤.

٧ - وكتب عنه كاتب هذه السطور "ملاحظات حول ديوان ابن قلاقس" نشرها في مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، الجزء الأول، المجلد الثامن والعشرون، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الصفحات ٣٥٣-٣٦٠.

٨ - وكتبت سهام الفريح بحثاً حول "ديوان ابن قلاقس" في مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، المجلد الثلاثون، الجزء الأول، الصفحات ٣٨١-٣٩٠.

٩ - وكتب عنه كاتب هذه السطور بحثاً آخر حول ديوانه أيضاً، نشره في مجلة "عالم الكتب"، الرياض، المجلد السابع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، العدد الرابع ، الصفحات ٤٤٩-٤٦٢.

ولعل عبدالهادي عطية يعرف هذه الدراسات ولكنه لم يُلقِ لها بالاً، ترفُّعاً منه، أو تجاهلاً لها أو جهلاً بها!

لو قرأ الباحث الكريم هذه الدراسات لعرف كل تراث ابن قلاقس.

ثانياً: المؤلفات :

غير أنّ الطامّة الكبرى أن يقوم أستاذ في جامعة عريقة كجامعة الإسكندرية بتأليف كتاب عن ابن قلاقس الإسكندري وهو يجهل أغلب التفاصيل عن تراثه النثري والشعري ، وهما - دون ريب - العمود الفقري لدراسة شِعر أي شاعرٍ وكاتبٍ ونثره كابن قلاقس . وهذا

الجهل ، مع الأسف ، سنلاحظه في رصده لإنتاج ابن قلاقس في الصفحة ٢٣٧ وما بعدها ، تحت عنوان : "مؤلفاته"، يقول :

١ – مواطن الخواطر :

ويحيلنا عنه إلى الزركلي في الأعلام ٨ : ٣٤٤.

قلتُ : والصواب أن اسم الكتاب "مواطر الخواطر" بالراء في "مواطر" والسجع يفرض ذلك، وكذلك يفرضه ما ورد عند الزركلي في الجزء والصفحة اللذين أحالنا المؤلف إليهما، وفي غير ذلك من المصادر.

قلتُ : وقد ذكره عطية في العنوان وفي السطر الثامن من نص اقتباسه من الزركلي – رحمه الله – بالنون. ولعله في الموضعين تطبيع؛ لأن الكلمة عند الزركلي بالراء لا بالنون.

قلتُ : ونتفق معاً بأن الكتاب مفقود.

ثم يسمي الكتاب الثاني لابن قلاقس:

٢ – "الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم" :

وينقل معلوماته عن مادة هذا الكتاب وماهيته عن ابن خلكان في وفيات الأعيان، وعن العماد الأصبهاني في الخريدة، وعن الزركلي في الأعلام. ويخلص من اقتباساته إلى أنه كتاب ألّفه في القائد الصقلّي: أبي القاسم بن الحجر، وأنه كتاب مفقود.

قلتُ : وصحة اسم الكتاب :

"الزهر الباسم والعرف الناسم في مديح الأجلّ أبي القاسم" . والكتاب ليس مفقوداً بل موجود محفوظ في مكتبة رئيس الكتاب في المكتبة السليمانية بإستانبول تحت رقم ٨١٤، وبه نقص يسير يكمل أكثره ما أورده العماد الأصبهاني في خريدته .

هذا أمر.

والأمر الآخر، وهو الأهم ، أن كاتب هذه السطور قد حقّق هذا الكتاب قبل كتابة عبدالهادي عطية بحثه بست عشرة سنة؛ إذ نشرته جامعة الملك سعود – عمرها الله بالإسلام – عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

وهكذا يظهر للمؤلف الكريم أن الكتاب موجود، وأن الوصول إليه سهل، وأنه ليس "مما ظفر به الأوربيون في عصور الضعف العربي" كما يقول في مقدمته، وهو يعلل سبب رحيل كتب التراث العربي عن موطنها، ومن بينها، بطبيعة الحال، كتب ابن قلاقس.

فها هو المخطوط منه محفوظ عند إخوانه المسلمين الأتراك ، والمطبوع منه منشور عند إخوانه المسلمين العرب فماذا يريد؟! إن العلة تكمن في تخاذل همة الباحث عطية في البحث. (تنظر صورة عنوان الكتاب مطبوعاً، الصورة الأولى).

ثم تجيء الطامة الكبرى الثانية، وهي حديثه عن العمل الثالث لابن قلاقس، يقول :

٣ – "ديوان ترسّل ابن قلاقس :

مخطوطة عند الأستاذ خير الدين الزركلي" .

ثم يذكر ما أورده المرحوم الزركلي عند حديثه عن ابن قلاقس.

وفي مقدمة كتابه (ص٢٧) يغمز الزركلي بأسلوب ركيك فيقول : "وقد نال الأستاذ خير الدين الزركلي ديوان ترسّله المخطوط، واعتز بأنه لم يعثر عليه أحد غيره، ولم يقدمه للباحثين والدارسين".

ثم يقول في صفحة ٢٤٠ ما نصه :

"وقد حاولت الظفر بهذا المخطوط النادر لكن المنية قد وافت خير الدين الزركلي، وحاولت الاتصال بأسْرته ونجحتُ محاولتي حين تعرّفتُ على ابنه... ولما طلبت منه هذا المخطوط أظهر لي خطاب شكر من جامعة الرياض موجهاً إلى أسرة المرحوم".

قلتُ: والمعلوم أن المرحوم الزركلي أهدى مكتبته إلى جامعة الرياض.

لكن الباحث الكريم بعد هذه المعلومة لم يراسل جامعة الرياض للحصول على نسخة من هذا المخطوط النادر الثمين، بل اكتفى بالذهاب إلى معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية بالقاهرة فأخبره المعهد بأنه "لم يتجه بعد إلى تصوير المخطوطات بالمملكة العربية السعودية". ولا زال عبدالهادي عطية ينتظر المعهد حتى يصوّر مخطوطات جامعة الرياض ومن بينها مخطوط ترسل ابن قلاقس.

أيعدّ عمله هذا كافياً في البحث والتحرّي والتنقيب عن مواد كتابه؟

أودّ أن أخبره هنا بالأمور التالية:

١ - إن المخطوط المذكور غير موجود في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) فلا داعي للانتظار!

٢ - إن الزركلي احتفظ بالمخطوط ولم يخرجه لأحد، لا بخلاً فيه، ولكنه خشي أن يتولى نشره شخص غير مؤهل لتحقيقه، فكتب ورقة بداخل مخطوط الترسّل، الذي اطلعتُ عليه وصوّر لي، فيما يلي نصّها:

"هذا الكتاب نفيس جداً، اشتريته من أحد ورثة علي الليثي. ولا يخرج من عندنا إلا باتفاق الأساتذة حمد الجاسر وظافر القاسمي وشكري فيصل. ويمكن طلبه إذا تعهدت يد علمية أمينة بإخراجه جيداً، وتصحيحه جيداً، وعمل مقدمة له يعتمد فيها على ما كتبتُهُ عن مصنفه (نصر ابن عبدالله، ابن قلاقس) في الأعلام ٨ : ٢٤٤، وكان مؤلفه من رجال صلاح الدين الأيوبي .

هذه النسخة كتبت سنة ٥٩٢هـ (١١٩٦م) وهي فريدة لم تنسخ ولم تصوّر . وكانت نيتي أن أتولى أنا نشرها وعسى أن يوفقني الله إلى ذلك" ثم توقيع الزركلي.

٣ - ولكن من باب الإنصاف علينا أن نقبل عذر عطية في عدم قدرته على الوصول إلى مخطوط الترسّل، الذي يمتلك الزركلي نسخته الوحيدة، لا عن طريق ابنه ولا عن طريق معهد المخطوطات الذي لم يرسل بعثته إلى جامعة الرياض لتصوير مخطوطاتها حتى الآن وفيها، كما يظن عبدالهادي عطية، كتاب الترسّل.

لكن ما رأيه إذا قلت له: إن نسخة الترسّل التي توجد لدى الزركلي ليست النسخة الوحيدة في العالم وإن قال ذلك عنها في كتابه الأعلام ٨ : ٣٤٤!

وما رأيه إذا قلتُ له: إن هذه النسخة الثانية أقرب إليه من نسخة الزركلي التي يزعم أنها في الرياض!

وما رأيه إذا قلتُ له: إن هذه النسخة موجودة عنده في القاهرة!

وما رأيه إذا قلتُ له: إن هذه النسخة موجودة في مكتبة عامة وليست في مكتبة خاصة "يضن" صاحبها بها كمكتبة الزركلي!

وما رأيه إذا قلتُ له إن هذه النسخة، قريبة منه جداً، "ولم يظفر بها الأوربيون" بل هي موجودة في دار الكتب بالقاهرة - عمرها الله بالإسلام - ضمن محتويات المكتبة التيمورية تحت رقم: (أدب، تيمور ٦١٧). (تنظر صورة عنوان المخطوط المرفقة، الصورة الثانية).

وما رأيه إذا قلتُ له: إن هذه النسخة التيمورية هي نسخة طبق الأصل من نسخة الزركلي، بل إنهما تشتركان في النقص نفسه في بعض المواضع!

بل ما رأيه إذا قلتُ له: إن كاتب هذه السطور قد حقّق الكتاب ، معتمداً على النسختين معاً ، ونشرته جامعة الملك سعود عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م! أي قبل نشر عبدالهادي عطية كتابه عن ابن قلاقس بما يقرب من ست عشرة سنة! (تنظر صورة صفحة العنوان مطبوعاً، الصورة الثالثة).

ومع هذا لم يستطع عبدالهادي عطية، الموجود في الإسكندرية، الوصول إلى المخطوط، الموجود في القاهرة، بل الأدهى والأمرّ أنه يجهل وجوده هناك!!

ولم يستطع الوصول إلى المطبوع في الرياض، لكنه معذور لبُعد المسافة بين الرياض والإسكندرية!

ربما يقول الباحث : إنه يكتب عن "الشِّعر المصري في القرن السادس الهجري" وابن قلاقس أنموذج شعري لا نثري لهذا القرن، وهذان الكتابان يهتمان بنثر ابن قلاقس.

فأقول له: لكن في الكتابين من الأشعار ومناسباتها، خاصة رحلته إلى صقلية، ما لا يستغني عنه باحث في شِعر ذلك القرن أو شاعره ابن قلاقس، فلا عذر له مَهْما أبدى من أسباب في أن يكونا بين يديه حين قيامه بالبحث.

ثم ننتقل إلى الحديث عن شِعر ابن قلاقس وهو ما دار عليه أغلب كتابه، فعلى أي شيء اعتمد؟

يحدثنا عن الديوان في الصفحات ٢٤١-٢٤٤:

٤ - "ديوان مطبوع من اختيار خليل مطران :

وهناك نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس فيها زيادات، وهي برقم ٣١٣٩".

ومعرفته لهذا المخطوط لا تعود لكونه راجَعَ فهارس المخطوطات فاكتشف هذا الديوان، وإنما وجده - بحمد الله - في ترجمة الزركلي لابن قلاقس، وفي دائرة المعارف الإسلامية كما يقول هامشه!

ورغم أن هذه النسخة في باريس؛ ولذلك فهي من التراث الذي "ظفر به الأوربيون"، فقد هيّأ الله - سبحانه وتعالى - لها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، فصوّر نسخة منها أصبحت - بحمد الله - معتمد عطية الأساس في بحثه ذي الجزأين، عدا المختارات. ولكني أسأل عبدالهادي عطية السؤال التالي : أيصحّ لباحث يدرس شِعر شاعر كابن قلاقس أن يبني دراسته على نسخة واحدة وجدها في معهد المخطوطات دون تقصّي المخطوطات المذكورة في فهارس كتب التراث ككتاب بروكلمان مثلاً ؟ لو بحث العطية في كتاب بروكلمان وحده لوجد أنه يذكر نسخة أخرى في فيينا برقم ١/٤٦٨ ونسخة أخرى في بيتزبرج رقم ٢٩٧ وثالثة عنده في القاهرة ١١٠/٣ (دار الكتب).

كما أنه سيجد عند غيره نسخة للديوان محفوظة في مكتبة جستربتي في دبلن برقم ٤٦٢٦ تحوي وحدها ما يزيد على أربعة آلاف بيت!! نعم: أربعة آلاف بيت! كيف يسمح ضمير أي باحث على أن يقدّم دراسة عن شاعر، كابن قلاقس، مُغفِلاً هذا الرقم الهائل مِن الشِّعر! وهذا الشِّعر يقع في ٢٣٦ ما بين مقطوعة من بيت واحد وقصيدة في تسعة وتسعين بيتاً!

لكن باحثاً لم يستطع الوصول إلى "ترسّل ابن قلاقس" في دار الكتب المصرية بالقاهرة لا أمل يرجى منه في إحصاء شِعر ابن قلاقس في هذه المخطوطات المختلفة.

لكني سأعفيه من مسؤولية جمع شِعر ابن قلاقس كله عند إعداده دراسته لسبب بسيط وهو أن هذه المخطوطات، مع الأسف، "مما ظفر به الأوربيون" ولم يصوّرها معهد المخطوطات بالقاهرة، هداه الله!!

لكن ما رأيه ، وهذا - والله - هو المخزي ، إذا قلتُ له: إن ديوان ابن قلاقس قد حقق تحقيقاً كاملاً ونالت به محققته، سهام الفريح، درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٧٩م وربما قبله ، أي قبل أكثر من اثنين وعشرين عاماً من نشر عبدالهادي عطية كتابه عن ابن قلاقس!

ألا يستطيع الباحث الكريم أن يصل إلى هذه الرسالة عنده في جامعة القاهرة، ويحيل على الديوان كاملاً؟

قد يكون أمراً صعباً!

ولكن ما رأيه إذا قلتُ له إن النصف الأول الذي ينقصه، والموجود في نسخة مخطوط مكتبة جستربتي، قد

نشرته المحققة في الجزء الأول من الديوان، وهذا الجزء من منشورات دار العروبة بالكويت وإشراف دار الفصحى بالقاهرة، وذلك عام ١٩٨٢م، أي قبل ثمانية عشر عاماً من صدور كتاب عبدالهادي عطية عام ٢٠٠٠م . (تنظر صورة صفحة العنوان مطبوعاً، الصورة الرابعة) .

بل سأذهب إلى أبعد من هذا وأقول له :

إن المحققة الكريمة قد نشرت الديوان بكامله، معتمدة على كل المخطوطات والمختارات المتاحة، وقد أصدرته "دار المعلا" بالكويت عام ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ، أي قبل اثنتي عشرة سنة من صدور كتاب عبدالهادي عطية عن ابن قلاقس عام ٢٠٠٠م ! (تنظر صورة صفحة العنوان مطبوعاً، الصورة الخامسة).

قلتُ: وعلى نشرتها الأخيرة اعتمدت فيما ذكرته أعلاه من إحصائيات عن الديوان.

وأود أن أضيف هنا ثلاثة كُتبٍ أخرى للمؤلف غابت عن ذهن عطية لغياب مصادرها عنه وهي:

٥ – نَظْم السلوك في مدائح مَن لقيتُ من الملوك.

ذكره في "الزهر الباسم".

٦ – بُعْد المكين عن التمكين.

ذكره في "الزهر الباسم".

٧ – روضة الأزهار.

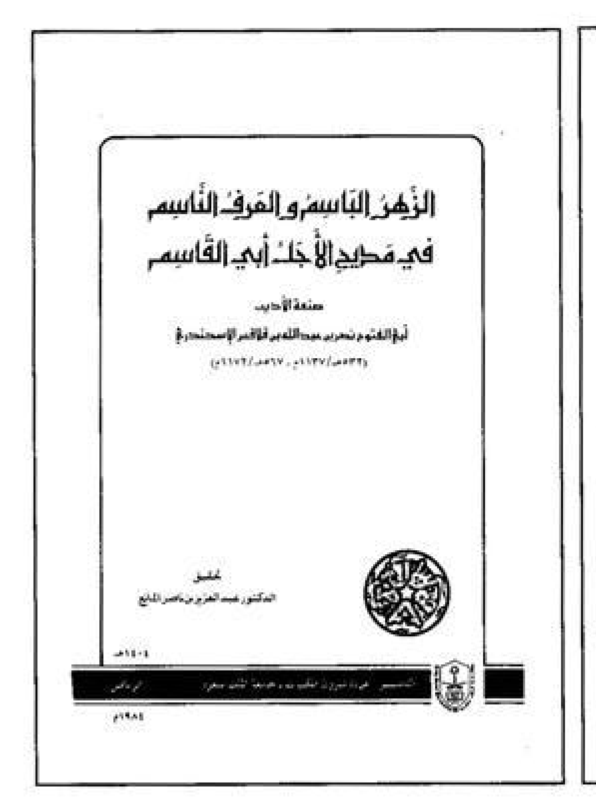
ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٩٢٣/١، والبغدادي في هدية العارفين ٤٩٢/٢.

ماذا يقول القارئ بعد كل هذا؟

أترك الحكم له ليرى ما يرى.

والله المستعان.

الشعر المصرى
فى القرن السادس الهجرى
ابن قلاقس
الجزء الأول
دكتور عبد الهادى عبد الله عطية
جامعة الإسكندرية
٢٠٠٠م
دار المعرفة الجامعية


الزهر الباسم والعرف الناسم
في مديح الأجل أبي القاسم
صنعة الأديب
أبي الفتوح نصر بن عبدالله بن قلاقس الإسكندري
(٥٣٢هـ/١١٣٧م - ٥٦٧هـ/١١٧٢م)
تحقيق
الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع
١٤٠٤هـ
١٩٨٤م

الفَوَائِدِ وَالقَوَاعِدِ في النَّحْوِ

لأبي القَاسِمِ عُمَرَ بْنِ ثَابتٍ الثَّمَانِيني المتوفَّى سَنَةَ (٤٤٢هـ)

عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران - المملكة العربية السعودية

مقدمة :

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمينَ ، تَفَرَّدَ بِالكَمَالِ ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الخَطَلِ والنِّسْيَانِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَان سَيِّدِنا محمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ والتَّابِعينَ لهم بإحسانٍ ، أمَّا بَعْدُ :

فَلَقَدْ أمدَّتْنَا المطَابِعُ في الأعْوَامِ الأخيرَةِ بِبَعْضِ الكُتُبِ التُّرَاثِيَّةِ التي تُنْشَرُ لأوَّلِ مرَّةٍ، وكَانَ مِنْ بَيْنِهَا كِتَابٌ في النَّحْوِ لأبي القَاسِمِ عُمَرَ بنِ ثَابتٍ الثَّمانيني (المتوفَّى سنةَ ٤٤٢هـ) باسْمِ (الفَوَائِدِ والقَوَاعِدِ)، ومحقِّقُ الكِتَابِ هو عَبْدُ الوَهَّاب محمود كحلة ، من مدينة المَوْصِلِ في العِرَاقِ ، وقَدْ بَذَلَ المحقِّقُ الفَاضِلُ في الكِتَابِ جُهْداً مَشْكُوراً مِنْ حَيْثُ إخْرَاجُ النَّصِّ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ ، والتَّقْدِمَةُ له بِدِرَاسَةٍ عَنِ الكِتَابِ وَحَيَاةِ المؤلِّفِ .

وقَدْ انْتَابَتْني فَرْحَةٌ عَامِرَةٌ لَمَّا وَقَعَ نَظَرِي على هذا الكِتَابِ ، فاقْتَنَيْتُهُ وشَرَعْتُ في قِرَاءَةِ مُقَدِّمَتِهِ الَّتي وَضَعَهَا المحقِّقُ بَيْنَ يَدَي النَّصِّ ، وبَعْدَ أنْ دَقَّقْتُ النَّظَرَ ، وأعَدْتُ القِرَاءَةَ غيرَ مرَّةٍ ، وَقَفْتُ في كَلامِهِ عَلَى نِقَاطٍ رَأَيْتُ مِنَ الوَاجِبِ التَّعْلِيقُ عَلَيهَا والتَّنْبِيهَ إلَيْهَا ، وبَيَانُ وُجْهَةِ نَظَرِي فيها ، وأرْجُو أنْ يَتَّسِعَ لها صَدْرُهُ ، فالهَدَفُ أوَّلاً وآخِراً هُوَ الوُصُولُ إلى القَوْلِ الحَقِّ ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ .

تمهيد :

في ذِكْرِ نُبْذَةٍ عن الثَّمَانِيني[1] :

هو أبُو القَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابتٍ الثَّمَانيني النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ ، والثَّمَانيني نِسْبَةٌ إلى (ثمانين) بُلَيْدَةٌ صَغِيرَةٌ تَقَعُ في جَزِيرَةِ ابنِ عُمَرَ بِأرْضِ المَوْصِلِ شمَالَ العِرَاقِ ، قيلَ : إنَّهَا أوَّلُ مَدِينَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ ، وسُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّهُمْ زَعَمُوا أنَّ الذِّينَ نَجَوا في السَّفِينَةِ مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانُوا ثمانِينَ آدَمِيّاً ، نَزَلُوا منطقةَ قَرْدَى وبَازَبْدَى ، ثُمَّ وَقَعَ فيهِم الوَبَاءُ فَهَلَكُوا جميعاً إلاَّ نُوحاً وأوْلادَهُ سَاماً وحَاماً ويَافِثاً ونِسَاءَهُمْ .

قَالَ الصَّفَدِيُّ في «نَكْتِ الهِمْيَان» : كَانَ إمَاماً فَاضِلاً كَامِلاً أدِيباً ، أخَذَ عَنْ ابن جني المتوفَّى سَنَةَ (٣٩٢هـ)، وأبي القَاسِمِ الدُّقَيْقِي المتوفَّى سَنَةَ (٤١٥هـ) ، وأخَذَ عنهُ الشَّرِيفُ يحيى بْنُ طَبَاطَبَا ، وإسماعيلُ بْنُ المؤمِّلِ الإسْكَافيُّ ، ومحمَّدُ بْنُ عَقِيلٍ الكَاتِبُ الدَّسْكَرِيُّ ، وغَيْرُهُم .

كَانَ الثَّمَانيني يَسْكُنُ محلَّةَ الكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ ، وكَانَ مِنْ أشْهَرِ مُعَاصِرِيهِ ابْنُ بَرْهَان يَسْكُنُ مَعَهُ في الكَرْخِ ، فكَانَ خَوَاصُّ النَّاسِ يَقْرَؤُونَ عَلَى ابْنِ بَرْهَان ، وعُمُومُهُم يَقْرَؤُونَ عَلَى الثَّمَانيني ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إلى شَرَاسَةٍ في

خُلُقِ ابْنِ بَرْهَانَ عَلَى مَنْ يَقْرَأُ عَلَيه ، وكانَ فيه تَكَبُّرٌ عَلَى أولادِ الرُّؤَساءِ كَمَا ذَكَرَ الدَّلْجِيُّ[٢] .

شُغِفَ الثَّمَانيني بِكُتُبِ شَيْخِهِ ابْنِ جني وخَاصَّةِ كتَابَ «اللُّمَعِ» في النَّحْوِ وكِتَابَ «التَّصْرِيفِ الملُوكِيِّ» في الصَّرْفِ ، فوضَعَ عَلَيْهِمَا شَرْحَيْنِ حَسَنَيْنِ هُمَا : شَرْحُ اللُّمَعِ وشَرْحُ التَّصْرِيفِ ، وبِهِما اشْتُهِرَ ، وعَنْهُمَا نَقَلَ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ .

تُوُفِّيَ أبُو القَاسِمِ الثَّمَانيني في سَنَةِ ٤٤٢هـ بالموصِلِ ، رحمهُ الله وغَفَرَ له .

تَنْبِيهَاتٌ حَوْلَ الكِتَابِ المطْبُوعِ بعُنْوَانِ (الفَوائِدِ والقَوَاعِدِ) :

أولاً : عُنْوَانُ الكِتَابِ :

عَنْوَنَ المحقِّقُ هَذَا الكِتَابَ بـ(الفَوائدِ والقَوَاعِدِ) ، وجَعَلَهُ أَحَدَ الكُتُبِ التي كانَتْ مِنْ مِيراثِ الثَّمانيني العِلْمِيِّ والَّتي أشَارَ إليْهَا المحقِّقُ في مَبْحَثِ الآثَارِ ، وهي أرْبَعَةٌ :

١ – شَرْحُ اللُّمَعِ .

٢ – شَرْحُ التَّصْرِيفِ .

٣ – المفِيدُ في النَّحْوِ (أو المقِيد) .

٤ – الفَوَائِدُ والقَوَاعِدُ .

ومِنْ خِلَالِ مُرَاجَعَتي لِتَرْجَمَةِ الرَّجُلِ في كُتُبِ الأقْدَمِينَ لم أقِفْ لَهُ إلاَّ عَلَى ثَلاثَةِ كُتُبٍ هِيَ :

١ – شَرْحُ اللُّمَعِ ، وهُوَ كِتَابٌ جَلِيلُ القَدْرِ ، عَظِيمُ النَّفْعِ . أوَّلُ كِتَابٍ يُوضَعُ من شُرُوحِ اللُّمَعِ الَّتي بَلَغَتْ بِضْعَةً وعِشْرِينَ شَرْحاً ، وشُهْرَتُهُ واسِعَةٌ لَدَى أهْلِ العِلْمِ، أشَادُوا بِهِ، ونَقَلُوا عنه في مُؤَلَّفَاتِهِمْ ، وقد أشَارَ إليه أغْلَبُ مَنْ تَرْجَمَ له كابْنِ خِلِّكَان في «وَفَيَاتِ الأعْيَانِ» ٤٤٣/٣ ، ويَاقُوتُ الحَمَوِيُّ في «مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ» ٥٧/١٦ ، والصَّفَدِيُّ في «نَكْتِ الهِمْيَانِ» : ٢٢٠ ، وَغَيرُهُمْ .

٢ – شَرْحُ التَّصْرِيفِ الملُوكِي، وهذا الكِتَابُ أيضاً ذُو شُهْرَةٍ وَاسِعَةٍ عند أهْلِ العِلْمِ ، نَقَلُوا عنه، وقَدْ أشَارَ إليه كَثِيرٌ مِنْ أصْحَابِ التَّرَاجِمِ كابْنِ الأنْبَارِي في «نُزْهَةِ الألِبَّاءِ» : ٢٥٦ ، ويَاقُوتُ الحَمَوِيُّ في «مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ» ٥٧/١٦ ، والفَيرُوزَآبَادي في «البُلْغَةِ» : ١٧١ وغيرِهُم، وقد طُبِعَ هذا الكِتَابُ محقَّقاً في رِسَالَةٍ عِلْمِيَّةٍ، كَمَا سَأشِيرُ لاَحِقاً .

٣ – المُفِيدُ في النَّحْوِ (وبَعْضُهُم ذَكَرَهُ بالقَاف) ، وَهُوَ كِتَابٌ مَجْهُولٌ ، لا نَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئاً ، ولَمْ أقِفْ في كُتُبِ النُّحَاةِ عَلَى نُقُولٍ مِنْهُ ، ولَعَلَّ السَّبَبَ في ذَلِكَ يَعُودُ في رَأْيِيْ إلى أنَّهُ كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ في القَوَاعِدِ وَضَعَهُ الثَّمَانيني مُبَكِّراً ، ثُمَّ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِمَا وَضَعَهُ في شَرْحِ اللُّمَعِ حَيْثُ جَاءَ وَافِياً كَافِياً ، وَبِهِ حَصَلَتْ شُهْرَةُ الثَّمَانيني ، وعَلَيْهِ اعْتَمَدَ كَثِيرٌ مِنَ النُّحَاةِ الخَالِفِينَ الَّذِيْنَ أفَادُوا مِنْهُ، ونَقَلُوا عَنْهُ، ولَمْ يَلْتَفِتُوا إلى غَيْرِهِ مِنَ المخْتَصَرَاتِ.

وإلى هَذَا الكِتَابِ أشَارَ كُلٌّ مِنْ يَاقُوتِ الحَمَوِيِّ في «مُعْجَمِ الأدَبَاءِ» ٥٧/١٦ ، والصَّفَدِيِّ في «نَكْتِ الهِمْيَان» : ٢٢٠ ، وغَيرُهُمَا .

قُلْتُ : أمَّا فِيْمَا يَخُصُّ الكِتَابَ الرَّابِعَ فَلَمْ أقِفْ حَسْبَ تَتَبُّعِي لِمَا كُتِبَ عن الثَّمَانِيْنِي في كُتُبِ التَّرَاجِمِ المتَقَدِّمَةِ عَلَى مَنْ أشَارَ إلى الكِتَابِ المعنْوَنِ بـ(الفَوَائِدِ والقَوَاعِدِ) ، وَأوَّلُ مَنْ ذَكَرَهُ هُوَ إسْمَاعِيلُ البَغْدَادِيُّ في «هديَّةِ العَارِفِين» [٣] اعْتِمَاداً – فِيْمَا أرَجِّحُ – عَلَى النُّسْخَةِ التُّرْكِيَّةِ الَّتي وَقَفَ عَلَيْهَا مِنْ كِتَابِ شَرْحِ اللُّمَعِ ، وهِي مَوجُودَةٌ بمكتَبَةِ (نُور عُثْمَانِيَّة) تحت عُنْوَان (الفَوَائِدِ وَالقَوَاعِد) ، وعَنْهُ في غَالِبِ الظَّنِّ أو عَنِ النُّسْخَةِ التُّرْكِيَّةِ نَقَلَ بروكلمان في «تَارِيْخِ الأدَبِ العَرَبِيِّ»[٤]، وعَنْ أحَدِهِمَا نَقَلَ عُمَر رِضَا كَحَالَة في «مُعْجَم المؤلِّفِين»[٥].

ولهذا فإنني لستُ مطمئناً إلى نسبة كتاب بهذا الاسم إلى أبي القاسم الثمانيني ما لم يقم دليلٌ يقطع بذلك من إشارة لأحد المترجمين القدامى، أو نقول صريحة عنه، أو غير ذلك، وهو غير قائم، ولو كان للثمانيني كتابٌ بهذا الاسم لاشتهر، كما اشتهر «شرح اللمع» و«شرح التصريف»، أو حتى كتابه الصغير «المفيد» وذلك غير حاصل.

لقد بنى المحقق الفاضل آراءه على هذه المعلومات معتمداً على النسخة (التركية)؛ حيث جعلها أصله في تحقيق هذا الكتاب، فركن إليها، واطمأن لكل ما جاء فيها، وأثبت ما عليها، وهو العنوان الذي طبع به الكتاب، وكان بين الفينة والأخرى يكرر مقولته في أن المؤلف يترسم في هذا الكتاب خطا أستاذه ابن جني في اللمع، وليس بشارح له. استمع إليه وهو يشير إلى تأثر الثمانيني بشيخه ابن جني قائلاً[6]:

«وأجلى العلائق التي تمثل تأثره بشيخه هو كتاب اللمع، فاتبع ترتيبه في أبوابه، فظن القوم أنه شرح له، ولكن صنعة الكتاب تدل على أنه مصنف مستقل قائم برأسه ابتداء؛ لأننا لا نحس بأي سبب يربط باللمع إلا نسق الأبواب، وما زيادته عليه بشرح له ...».

وقد لمست من خلال كلامه في مقدمة الكتاب عدم اطمئنانه بشكل تام إلى عنوانه، فالتناقض واضح في عباراته، حيث يختلج في نفسه أن الكتاب قد يكون شرح اللمع، لذا نراه يقول[7]: «ولسنا نقطع بأن هذا الكتاب هو شرح اللمع، وإن كان الرجل قد ترسم فيه أبواب اللمع».

ثم يكرر ذلك مرة أخرى مع ميله إلى أن كتاب (الفوائد والقواعد) هو (شرح اللمع) دون قطع بذلك فيقول[8]: «وقد أشرنا بأن (الفوائد) و(شرح اللمع) كتاب واحد، ولكننا لم نقطع بذلك».

ثم نراه يقطع في مكان آخر بأن الكتاب مؤلف مستقل بنفسه وليس بشرح اللمع حين قال[9]: «ولكن صنعة الكتاب تدل على أنه مصنف مستقل قائم برأسه ابتداء».

ثم نراه يدلي باحتمال جديد لعنوان هذا الكتاب مضمونه: أن كتب التراجم قد ذكرت للثمانيني كتاباً واحداً في النحو بحسب الدلالة الصريحة، ألا وهو (المفيد في النحو)، وخلص المحقق من هذا إلى أن كتاب (الفوائد والقواعد) قد يكون كتاب (المفيد) السالف الذكر، فقال[10]: «وإذا صح أنه المفيد فهو قريب من الفوائد»، وقال: «وبين المفيد والفوائد تقارب دلالي».

أقول بعد هذا: كيف يوفق المحقق بين هذه العبارات المتناقضة من كلامه؟! كان من المفروض أن يرجح رأياً منها يدافع عنه ويركن إليه دون غيره.

- أدلة المحقق في أن الكتاب هو (الفوائد والقواعد) وليس (شرح اللمع)، والرد عليها من منهج المؤلف:

دلّل المحقق على صحة ما ذهب إليه من أن الكتاب ليس شرحاً لكتاب «اللمع» بل هو مؤلف مستقل اسمه (الفوائد والقواعد) بأدلة ملخصها:

١ - أن كتاب الفوائد خلا من أية إشارة إلى أنه شرح على اللمع.

٢ - أنا لا نحس بأي سبب يربطه باللمع إلا نسق الأبواب، فتراه لا يقدم لشرحه بما يفيد ذلك كأن يبدأ بذكر النص المراد شرحه ثم يتبعه بالشرح، كما يفعل الشراح عادة، واستدل على ذلك بفعل السيرافي في شرح الكتاب، وابن يعيش في شرح المفصل والأشموني في شرح الألفية وغيرهم.

٣ - هُنَاكَ نُصُوصٌ وأبياتٌ وردَتْ في «اللُّمَعِ» لم يَرِدْ لها ذِكْرٌ في هَذَا الكِتَابِ ، فَلَوْ كَانَ شَرْحاً لَهُ لَوَرَدَ ذِكْرُهَا فيه بالضَّرُورَةِ .

٤ - أنَّهُ كَانَ مُتَرسِّماً مَنْهَجَ شَيْخِهِ ابن جني في اللُّمَعِ بدَليلِ أنَّهُ بَدَأَهُ وخَتَمَهُ بما يُشْبِهُ ابْتِدَاءَ ابْنِ جني لِكِتَابِ اللُّمَعِ واخْتِتَامِهِ له ، وكَذَلِكَ مُوَافَقَتَهُ لَهُ في عَرْضِ الأبْوَابِ ، قَالَ الثَّمانيني في بِدَايَةِ الكِتَابِ : «قَالَ الشَّيْخُ أبو القَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابتٍ الثَّمَانيني رحمةُ الله عَلَيْهِ : اعْلَمْ أنَّ الكَلِمَةَ عِنْدَ أهْلِ اللُّغَةِ تَقَعُ على القَلِيلِ والكَثِيرِ ..» ، وقَالَ ابْنُ جني في مُقَدِّمَةِ اللُّمَعِ : «قال أبو الفَتْحِ عُثْمَانُ بنُ جني رحمه الله: الكلامُ كُلُّهُ ثَلاثةُ أضْرُبٍ اسْمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جاء لمعنى ....» .

وقَالَ الثَّمانيني في خَاتِمَةِ كِتَابِهِ: «وهَذَا القَدْرُ الذي ذَكَرْتُهُ في بَابِ الإمَالَةِ يُسْتَدَلُّ به عَلَى غيره ، وهو كَافٍ بإذْنِ الله وتَوفيقِهِ»، وجاء في خاتمة كِتَابِ اللُّمَعِ ما نَصُّهُ: «فَأمَالُوهُمَا مَا دَامَا عَلَمَيْنِ ، وذَلِكَ لِكَثْرَةِ الاستِعْمَالِ لا غير».

أقُولُ : إنَّ مَا ذَهَبَ إليهِ البَاحِثُ لا يَقْوَى أمَامَ الأدِلَّةِ الدَّامِغَةِ الَّتي تُشِيرُ إلى أنَّ الكِتَابَ هو شَرْحُ اللُّمَعِ لا غيرُهُ .

أمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ إشَارَةٍ في الكِتَابِ تَدُلُّ عَلَى أنَّهُ شَرْحٌ عَلَى اللُّمَعِ ، فإنِّي أقُولُ : هَلْ هَذَا سَبَبٌ مُقْنِعٌ كَافٍ في الدَّلالَةِ عَلَى أنَّ الكِتَابَ لَيْسَ بِشَرْحٍ لِلُّمَعِ، وأنَّهُ كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ ؟! فالكِتَابُ كَمَا يَعْلَمُ المحققُ خَلاَ مِنْ خُطْبَةٍ يَشْرَحُ فيها المؤلِّفُ مَنْهَجَهُ ودَوَاعِيَهُ لِوَضْعِ الكِتَابِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ الَّتي وَصَلَتْ إلَيْنَا خِلْواً من مُقَدِّمَاتِها- ككِتَابِ سِيبَوَيْهِ والمقتضب وغيرهما - ، ومَعَ أنَّنَا اعْتَدْنَا مِنْ أسَالِيبِ الشُّرَّاحِ تَمَيُّزَ كلامهم عن المتن المشْرُوحِ ، إلاَّ أنَّنَا نَقُولُ : إنَّ عَدَمَ إحْسَاسِنَا بِرَابِطٍ قَوِيٍّ يَربِطُ الشَّرْحَ بالمتن مِنْ ذِكْرٍ لِلنَّصِّ أوَّلاً ثُمَّ إتْبَاعُهُ بالشَّرْحِ لَيْسَ سَبَباً كَافِياً لأنْ تَنْفِيَ كَوْنَ الكِتَابِ شَرْحاً لِلُّمَعِ .

ومَاذَا سَيَكُونُ رَأْيُ المحقِّقِ إذَا مَا عَلِمَ بأنَّ هَذَا الأمْرَ (وهُوَ عَدَمُ وُجُودِ التَّمَايُزِ بين الشَّرْحِ والمتْنِ) هُوَ مِيزَةٌ اتَّسَمَ بها مَنْهَجُ الثَّمانيني في مؤلَّفاتِهِ ، ودَلِيلُ ذَلِكَ أنَّ الثَّمانيني في كِتَابِهِ الآخَرِ «شَرْحِ التَّصْرِيفِ» يَسِيرُ عَلَى النَّهْجِ نَفْسِهِ الَّذي سَارَ عَلَيْهِ في كِتَابِهِ هَذَا ، فَلاَ تَمَايُزَ فيه بين الشَّرْحِ والمتن أيضاً، ويُخَيَّلُ للقارئ بأنَّ الثَّمانيني وَضَعَ كِتَاباً في التَّصْرِيفِ مُسْتَقِلاًّ ، ولَيْسَ لَهُ أيُّ ارْتِبَاطٍ بِكِتَابٍ آخَرَ لِعَدَمِ وُجُودِ تِلْكَ الفَوَارِقِ الَّتي عَنَاهَا المحقِّقُ .

فَلَوْ أنَّ المحقِّقَ الفَاضِلَ اطَّلَعَ عَلَى كِتَابِ الثَّمانيني «شَرْحِ التَّصْرِيفِ» ، ووَقَفَ عَلَى مَنْهَجِهِ فيه وطَرِيقَتِهِ لَعَلِمَ يَقِيناً بأنَّ الكِتَابَ الَّذي قَامَ بتَحْقِيقِهِ هُوَ كِتَابُ «شَرْحِ اللُّمَعِ» ولَيْسَ بِكِتَابِ «الفَوَائِدِ والقَوَاعِدِ» .

كَمَا أنَّ مَنْهَجَ الثَّمانيني في تَقْدِمَةِ الكِتَابَيْنِ وَاحِدٌ، فَهُوَ في «شَرْحِ التَّصْرِيفِ» لم يُقَدِّمْ لِشَرْحِهِ بمقَدِّمَةٍ ، بل جَاءَتْ بِدَايَةُ الكِتَابِ كَمَا يلي : «اللَّهُمَّ يَسِّرْ بِرَحْمَتِكَ ، قَالَ الشَّيْخُ أبو القَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابتٍ الثَّمانيني رحمه الله: الكَلامُ كُلُّهُ ثَلاثَةُ أقْسَامٍ ..»، وهَذَا الافْتِتَاحُ مُشَابِهٌ تماماً لِمَا في هَذَا الكِتَابِ الَّذي كَانَتْ بِدَايَتُهُ : «عَوْنَكَ اللَّهُمَّ ، قَالَ الشَّيْخُ أبُو القَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابتٍ الثَّمانيني النَّحْوِيُّ رحمةُ الله عَلَيْهِ : اعْلَمْ أنَّ الكَلِمَةَ عِنْدَ أهْلِ اللُّغَةِ تَقَعُ عَلَى القَلِيلِ والكَثِيرِ ....» .

كَمَا يُلْحَظُ في الكِتَابَيْنِ ظَاهِرَةٌ أُخْرَى اشْتَرَكَا فيها ألا وهي ظَاهِرَةُ الجَفَاءِ التي اتَّسَمَ بها أسْلُوبُ الثَّمانيني تجاه شَيْخِهِ ابْنِ جني ؛ حَيْثُ إنَّهُ لم يَذْكُرْهُ في كِتَابِهِ «شَرْحِ التَّصْرِيفِ» إلاَّ مَرَّةً واحِدَةً ، كما هُوَ الحَالُ في الكِتَابِ الَّذي بَيْنَ أيْدِينَا ، فإنَّهُ لم يَذْكُرْهُ صَرَاحَةً إلا مرة واحدة ، وكِنَايَةً في مَوطِنَيْنِ اثْنَيْنِ قَالَ في أحَدِهِمَا : «قَالَ صَاحِبُ هَذَا الكِتَابِ» ، وقَالَ في الآخَرِ : «صَاحِبُ هَذَا المخْتَصَرِ» (١١). ولم يَذْكُرْ آرَاءَهُ، وقَدْ لَمَحَ المحقِّقُ ذَلِكَ حَيْثُ

قَالَ : «ولَكِنْ مِنَ العَجَبِ أَنَّهُ لا يَذْكُرُ آرَاءَ شَيْخِهِ ابْنِ جني مَعَ شِدَّةِ اتِّصَالِهِ بِهِ ، وقُوَّةِ عَلاقَتِهِ مَعَهُ»[١٢]. فَأُسْلُوبُ الثَّمانيني في الكِتَابَيْنِ وَاحِدٌ ، ومُقَدِّمَةُ الكِتَابَيْنِ وَاحِدَةٌ ، ومِنْ ثَمَّ لا يحقُّ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ أُسْلُوبَهُ في هذا الكِتَابِ دَلِيلاً عَلَى أَنَّهُ كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ ولَيْسَ بِشَرْحٍ لكِتَابِ اللُّمَعِ ، كَمَا أَكَّدَ المحقِّقُ ذَلِكَ مِرَاراً .

أَمَّا كَوْنُهُ بَدَأَ بِمقَدِّمَةٍ تُشْبِهُ مُقَدِّمَةَ شَيْخِهِ ابنِ جني وأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ على أَنَّهُ مُتَرسِّمٌ مَنْهجَ شَيْخِهِ في كِتَابِهِ لاَ أَنَّهُ شَارِحٌ لَهُ ، فلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَضِيرُ الثَّمانيني وهُوَ يَشْرَحُ كِتَابَ شَيْخِهِ أَنْ يتيَمَّنَ بِهِ فيَبْدَأَ بمقَدِّمَةٍ مُشَابِهَةٍ له ، ويخْتِمَ بخاتمةٍ مُشَابِهةٍ لَهُ ؟!

لَقَدْ أَخْطَأَ البَاحِثُ في نَظَرِي خَطَأً مُبِيناً ، وحَاوَلَ جَاهِداً أَنْ يُقَدِّمَ المبرِّرَ الَّذِي يُسَوِّغُ إِطلاَقَ هَذَا العُنْوَانِ عَلَى الكِتَابِ ، ولم يَكُنْ لَدَيْهِ في الحقِيْقَةِ من الأَدِلَّةِ المادِّيَّةِ إِلاَّ مَا أُثْبِتَ خَطَأً عَلَى غِلاَفِ النُّسْخَةِ التُّرْكِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا أَصْلاً في التَّحْقِيقِ .

وبَعْدَ كُلِّ هَذَا وذَاكَ أَقُولُ : إِنَّ هُنَاكَ نُصُوصاً مِنْ دَاخِلِ هَذَا الكِتَابِ تُشِيرُ بوُضُوحٍ إِلى أَنَّ الثَّمانيني يَشْرَحُ كِتَابَ اللُّمَعِ ، أُرْجِئُ الحَدِيْثَ عَنْهَا إِلى الأَدِلَّةِ الَّتِي سَوفَ أُورِدُهَا بعدَ قَلِيلٍ . (ارجع إليها في الدليل الثالث) .

– الأَدِلَّةُ على أَنَّ هَذَا الكِتَابَ هو (شَرْحُ اللُّمَعِ) :

أَمَّا الأَدِلَّةُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ الكِتَابَ (شَرْحُ للُّمَعِ) فهي التَّالِيَةُ:

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : نُسَخُ الكِتَابِ :

للْكِتَابِ ثَلاَثُ نُسَخٍ وَقَفَ عَلَيْهَا المحقِّقُ :

الأُوْلَى هِيَ نُسْخَةُ مَكْتَبَةِ (نُور عُثْمَانِيَّة) التُّرْكِيَّةِ ، وهِيَ النُّسْخَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عُنْوَانَ (الفَوَائِدِ وَالقَوَاعِدِ)، أَمَّا النُّسْخَتَانِ الأُخْرَيَانِ فَقَدْ نَصَّتَا صَرَاحَةً عَلَى أَنَّ الكِتَابَ هو شَرْحٌ لكِتَابِ اللُّمَعِ :

١ – أُولاَهُمَا نُسْخَةُ دَارِ الكُتُبِ المصْرِيَّةِ ، وعُنْوَانُهَا : (التَّعْلِيْقُ على اللُّمَعِ للثَّمانيني)، وهي محفُوْظَةٌ فيها برقم (١٥٧٠ نحو)، وتاريخُ نَسْخِهَا هو سَنَةُ ٥٩٦هـ .

٢ – وثَانِيَتُهُمَا النُّسْخَةُ المدنيَّةُ ، وعُنْوَانُهَا : (شَرْحُ اللُّمَعِ) ، وهي محفوظَةٌ في مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ محمَّدِ بْنِ عَبْدِالله آل عَبْدِالقَادِرِ الأَنْصَارِيِّ بالمدينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وتاريخُ نَسْخِهَا هو سَنَةُ ٦٥٦هـ .

ولَعَمْرُ الله إِنَّهُ الصَّوَابُ السَّاطِعُ سُطُوعَ الشَّمْسِ في رَابِعَةِ النَّهَارِ ، ومَعَ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَى المحقِّقِ وَجْهُهُ ، وحَاوَلَ بشَيْءٍ من التَّكَلُّفِ التَّوفِيقَ بين العَنَاوِينِ المُخْتَلِفَةِ لِنُسَخِ الكِتَابِ ، فوَقَعَ في مَحْذُوْرٍ أَشَدَّ خَطَراً ممَّا ارْتَآهُ في عُنْوَانِ الكِتَابِ ؛ حَيْثُ قَالَ:

«ولَعَلَّ أَمْرَ الاخْتِلاَفِ في حقِيْقَةِ هَذَا الكِتَابِ وفي عُنْوَانِهِ مَرَدُّهُ – فيما نُقَدِّرُ – إلى حَالٍ مُتَّصِلَةٍ بحيَاةِ مُؤَلِّفِهِ ، فَمِنَ المحتَمَلِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَقَلَّ وَضْعَهُ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ فلَمْ يَنْتَشِرْ ذِكْرُهُ ، ولَم يَشِعْ عُنْوَانُهُ ، وقَدْ أَسْلَفْنَا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ مُعَلِّماً يَأْخُذُ عَلَى التَّعْلِيمِ أَجْراً ، فَلاَ عَجَبَ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى كِتَابِهِ الحِرْصَ كُلَّهُ لأَنَّهُ مُعْتَمَدُ تَدْرِيسِهِ في مَعَاشِهِ وكَسْبِ رِزْقِهِ» .

لَقَد اتَّهَمَ البَاحِثُ – فيمَا ظَهَرَ مِنْ كَلاَمِهِ السَّابِقِ – المؤلِّفَ بأَنَّهُ لَمَّا رَأَى عَدَمَ سَيْرُوْرَةِ هذا الكِتَابِ الَّذِي وَضَعَهُ، وهو الذي يَعْتَمِدُ عَلَى التَّدْرِيسِ في مَعَاشِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَشِيْعَ ذِكْرُ هَذَا الكِتَابِ بينَ النَّاسِ فوَسَمَهُ بـ«شَرْحِ اللُّمَعِ» في نُسَخٍ بَعْدَ أَنْ كان أَسْمَاهُ بـ«الفَوَائِدِ وَالقَوَاعِدِ» ، وإِلاَّ فمَا مَعنى قَولِه قَبْلُ : «ولَعَلَّ أَمْرَ الاخْتِلاَفِ في حقِيقَةِ هَذَا الكِتَابِ وفي عُنْوَانِهِ مَرَدُّهُ فيما نُقَدِّرُ إلى حَالٍ مُتَّصِلَةٍ بحيَاةِ مُؤَلِّفِهِ» ، هذا هو تفسيرُ الخلاَفِ كَمَا أَرَادَ البَاحِثُ ، وهذا مُؤَدَّى كَلامِهِ ، لقد أَرادَ أَنْ يخرُجَ من المأزَقِ الأَوَّلِ وهو تَعَارُضُ عَنَاوِيْنِ النُّسَخِ ، فوَقَعَ في مَأْزَقٍ أَكْبَرَ مِنْهُ وهُوَ

اتهامُ المؤلِّفِ بتغْييرِهِ اسْمَ كتابِهِ إلى «شَرْحُ اللُّمَعِ» ليشيعَ ذِكْرُهُ بينَ الطَّلَبَةِ مِنْ أجْلِ كَسْبِ الرِّزْقِ. هَذَا مَنطقٌ بَعيدٌ عن المَنْهَجِ العِلْمِيِّ في إثْبَاتِ حَقِيقَةِ عُنْوَانِ الكِتَابِ الَّتي لَوْ أرادَهَا المحقِّقُ لانقادَتْ إليه طَوَاعِيَةً من خِلَالِ النُّصُوصِ الَّتي مَرَّتْ عَلَيه فيه، دُونَمَا تَكَلُّفٍ للتَّوْفِيقِ بينَ ما تَعَارَضَ لَدَيْهِ مِنْ عُنْوَانَاتِ نُسَخِه.

وَلَوْ سَلَّمْنَا جَدَلاً أنَّ المؤلِّفَ غيَّرَ اسْمَ الكِتَابِ لِهَدَفٍ مَا - كما أشَارَ المحقِّقُ وهو غيرُ مَقْبولٍ - فَإنَّهُ أحْرَى بالاتِّبَاعِ ممَّا انْفَرَدَتْ بِهِ النُّسْخَةُ الثَّالِثَةُ التُّركيَّةُ، حَيْثُ وَجَاهَةُ الأدلَّةِ؟! اللَّهُمَّ إلاَّ إذَا كَانَ المُرادُ أنَّ التَّغْيِيرَ حَصَلَ بَعْدَ زَمَنِ المؤلِّفِ، فَهَذَا مَا لاَ يُمكِنُ قَبُولُهُ.

ثُمَّ إنِّي أقُولُ: إذَا كَانَ المحقِّقُ قد اسْتَدَلَّ[١٣] عَلَى أنَّ هَذِهِ النُّسَخَ كُلَّهَا مَأخُوذَةٌ عَنْ أصْلٍ واحدٍ لاتِّفَاقِهَا في كَثيرٍ مِنْ مَوَاطِنِ الوَهْمِ الحَاصِلَةِ فيهَا، فإنَّ اتِّفَاقَ نُسختَيْنِ من الثَّلاثِ المأخُوذَةِ عن أصْلٍ واحدٍ في اسْمِ الكِتَابِ أدْعَى إلى الاطمئْنَانِ ممَّا انْفَرَدَتْ به نُسْخَةُ مَكْتَبَةِ (نُور عُثْمَانيَّة) التُّركيَّةِ!!

الدَّلِيلُ الثَّاني: نُقُولُ العُلَمَاءِ عَنْهُ:

شَرْحُ اللُّمَعِ للثَّمانيني كِتَابٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ العُلَمَاءِ، وقد اسْتَفَاضَ ذِكْرُهُ عِنْدَ كَثيرٍ مِنْهُمْ، حَيْثُ أفَادُوا مِنْهُ ونَقَلُوا عَنْهُ صَرَاحَةً، وَمِمَّنْ أكْثَرَ مِنَ النَّقْلِ عَنْهُ مَعَ التَّصْرِيحِ باسْمِهِ القَرَافيُّ في كِتَابِهِ «الاسْتِغْنَاءُ في أحْكَامِ الاسْتِثْنَاءِ»، وَسَأُوْرِدُ نُصُوصَهُ كَامِلَةً لمقَارَنَتِهَا بما وَرَدَ في الكِتَابِ مِنْ أجْلِ الوُقُوفِ عَلَى مَدَى المطابَقَةِ بينهما.

وهناكَ مَنْ نَقَلَ عن الكِتَابِ دونَ التَّصْرِيحِ باسْمِهِ كابْنِ الشَّجَرِي في أمَالِيهِ في ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ، وابْنِ الأنْبَارِيِّ في أسْرَارِ العَرَبيَّةِ في مَوضِعَيْنِ، وابْنِ القَوَّاسِ في شَرْحِ ألْفيَّةِ ابْنِ مُعْطٍ في مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وأبو حيَّانَ في الارتشَافِ في مَوضِعَيْنِ والزَّرْكَشيُّ في البُرْهَانِ في مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، والشَّيْخُ خَالِدُ الأزْهَرِيُّ في مَوضِعٍ وَاحِدٍ أيضاً، وغيرُهُم.

- مَا جَاءَ في كِتَابِ «الاسْتِغْنَاءِ» لِلقَرَافي (ت ٦٨٢هـ):

نَقَلَ القَرَافيُّ في ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ من كِتَابِهِ «الاستِغْنَاءُ في أحْكَامِ الاسْتِثْنَاءِ» عن الثَّمانيني في «شَرْحِ اللُّمَعِ»، وفي جميعها يَقُولُ القَرَافيُّ: قَالَ الثَّمَانيني في «شرح اللمع»، وجميعُ النُّصُوصِ مَوْجُودَةٌ في هَذَا الكِتَابِ بِلَفْظِهَا، إلاَّ فُرُوقاً بَسِيطَةً في ألفَاظٍ أوْ عِبَارَاتٍ غَالِباً ما تَحْدُثُ في النُّقُولِ.

- قَالَ القَرَافيُّ في النَّصِّ الأوَّلِ[١٤]:

«قَالَ الثَّمَانيني في شَرْحِ اللُّمَعِ: لِمَ امْتَنَعَ دُخُولُ التَّأنِيثِ في لَيْسَ وَلاَ يَكُونُ إذَا كَانَ الخَبَرُ مُؤَنَّثاً؟ وَلِمَ امْتَنَعَ تَثْنِيَةُ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهِمَا وَجَمْعُهُ إذَا كَانَ الخَبَرُ مُثَنَّى أوْ مَجْمُوعاً؟ ...» إلى آخِرِ النَّصِّ.

ونَرَى هَذَا النَّصَّ عِنْدَ الثَّمانيني كَمَا يَلِي[١٥]:

«فَإنْ قِيلَ: لِمَ امْتَنَعَ دُخُولُ التَّأنِيثِ في لَيْسَ وَلاَ يَكُونُ إذَا كَانَ الخَبَرُ مُؤَنَّثاً، ولِمَ امْتَنَعَ تَثْنِيَةُ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهِمَا وَجَمْعُهُ إذَا كَانَ الخَبَرُ مُثَنَّى أوْ مَجْمُوعاً؟ فعَنْ هَذَا السُّؤَالِ جَوَابَانِ ...».

- وقَالَ في النَّصِّ الثَّاني[١٦]:

«قَالَ الثَّمَانيني في شَرْحِ اللُّمَعِ: النَّاصِبُ مَا قَبْلَ إلاَّ مِنَ الفِعْلِ أوْ مَعْنَى الفِعْلِ و(إلاَّ) قَوَّتِ العَامِلَ المتَقَدِّمَ، فَوَصَلَتْهُ لمَا بَعْدَهُ، وَمَعْنَى الفِعْلِ كَقَوْلِهِمْ: القَوْمُ في الدَّارِ إلاَّ زَيْداً. فَزَيْدٌ مُسْتَثْنَى مِنَ الضَّمِيرِ الَّذي في الظَّرْفِ، وَالضَّمِيرُ مَرْفُوعٌ بالظَّرْفِ، وَالظَّرْفُ نَاصِبُ المسْتَثْنَى».

وفي هَذَا الكِتَابِ جَاءَ النَّصُّ كما يلي[١٧]: «النَّاصِبُ لِزَيْدٍ هُوَ مَا قَبْلَ إلاَّ مِنَ الفِعْلِ أوْ مَعْنَى الفِعْلِ، و(إلاَّ) قَوَّتِ العَامِلَ الَّذي قَبْلَهَا فَأوْصَلَتْهُ إلى مَا بَعْدَهَا تَشْبِيهاً بالمفعُولِ، وَقَدْ مَثَّلْتُ بالفِعْلِ، فَأمَّا مَعْنَى الفِعْلِ فَقَوْلُكَ: القَوْمُ في الدَّارِ إلاَّ زَيْداً. فَزَيْدٌ مُسْتَثْنَى مِنَ الضَّمِيرِ الَّذي في

الظَّرْفِ، وَهُوَ الرَّاجِعُ إلى الْقَوْمِ ، وَذَلِكَ الضَّمِيرُ مَرْفُوعٌ بِالظَّرْفِ ، وَالظَّرْفُ هُوَ الَّذِي نَصَبَ المسْتَثْنَى ؛ لأَنَّ إلاَّ قَوَّتْهُ فَأَنْفَذَتْهَا إلى مَا بَعْدَهَا» .

- وَقَالَ القَرَافِيُّ في النَّصِّ الثَّالِثِ[18]:

«قَالَ الثَّمانيني في شَرْحِ اللُّمَعِ : لاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ الاسْتِثْنَاءُ عَلَى نَاصِبِهِ ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بِمَفْعُولٍ صَحِيحٍ ، فَيَجُوزُ فِيهِ مَا جَازَ في المَفْعُولِ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَامِلَ لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ إلاَّ بَعْدَ أَنْ قَوِيَ بـ(إلاَّ)، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى (إلاَّ) ؛ لأَنَّ (إلاَّ) قَدْ صَارَتْ حَرْفاً مِنَ الحُرُوفِ النَّوَاصِبِ» .

وجَاءَ النَّصُّ عِنْدَ الثّمانيني كما يلي[19]: «وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ المسْتَثْنَى عَلَى نَاصِبِهِ لأَنَّهُ لَيْس بمفعُولٍ صَحِيحٍ فَيَجُوزُ فيه ما جَازَ في المفعُولِ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ العَامِلَ لَمْ يَعْمَلْ فيه إلاَّ بَعْدَ أَنْ قَوِيَ بـ(إلاَّ) ، ولا يجوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ المسْتَثْنَى عَلَى إلاَّ ، لأَنَّ (إلاَّ) قد صَارَتْ بمنزلةِ حَرْفٍ من حُرُوفِ النَّصْبِ» .

- وقال القَرَافيُّ في النَّصِّ الرَّابِعِ[20]:

«قَالَ الثَّمانيني في شَرْحِ اللُّمَعِ : يَجُوزُ النَّصْبُ في الآيةِ (إلاَّ اللهِ) عَلَى الاسْتِثْنَاءِ ، وأَنْكَرَهُ الشَّيْخُ ابْنُ عَمْرُونَ إنْكَاراً شَدِيداً» .

والنَّصُّ عِنْدَ الثَّمانيني هو[21]: «وَلَوْ قُرِئَ بِالنَّصْبِ (إلاَّ اللهَ) عَلَى الاسْتِثْنَاءِ لَكَانَ جَائِزاً» .

- وقَال في النَّصِّ الخَامِسِ[22] تعليقاً على نَصبِ (غير) من قَولِهِ تَعَالى : ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ **حَيْثُ يَجُوزُ فِيهَا الرَّفْعُ والنَّصْبُ والجرُّ ما نصُّهُ :**

«قَالَ الثَّمانينيُّ في شَرْحِ اللُّمَعِ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ في (المؤمنِينَ)، فَهُوَ في صِلَةِ الأَلِفِ وَاللاَّمِ وَنَاصِبُهُ (مُؤْمِنِينَ) ، فَلاَ يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى (المؤْمنين) ؛ لأَنَّ الصِّلَةَ لاَ تَتَقَدَّمُ عَلَى المَوصُولِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ في (القَاعِدِينَ) ، فَهُوَ في صِلَةِ لاَمِ (القَاعِدِينَ) ، وَهُوَ النَّاصِبُ لَهُ ، وَيَكُونُ مَعْنَى الكَلاَمِ : لاَ يَسْتَوِي الَّذِينَ قَعَدُوا غَيرَ مُضَارِّينَ ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى (المؤْمِنِينَ) ، وَلاَ يَتَقَدَّمُ عَلَى (القَاعِدِينَ)» .

وَجَاءَ النَّصُّ عِنْدَ الثَّمانيني كَمَا يَلِي[23]: «وَإِنْ جَعَلْتَهُ حَالاً جَازَ أَنْ تَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ في (المؤْمِنِينَ) ، وَجَازَ أَنْ تَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ في (القَاعِدُونَ)، فَإِنْ كَانَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ في (المؤْمِنِينَ) فَهُو في صِلَةِ الأَلِفِ وَاللاَّمِ ، وَنَاصِبُهُ (مُؤْمِنِينَ) فَهُوَ في صِلَةِ الأَلِفِ وَاللاَّمِ ، فَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَتَقَدَّمَ عَلَى (المؤْمِنِينَ) ؛ لأَنَّ الصِّلَةَ لا تَتَقَدَّمُ عَلَى المَوْصُولِ ، وَإِنْ كَانَ حَالاً مِنَ الضَّمير في (القَاعِدُونَ) ، فَهُوَ في صِلَةِ هَذِهِ الأَلِفِ وَاللاَّمِ ، و(القَاعِدُونَ) هُوَ النَّاصِبُ لَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لا يَسْتَوِي الَّذِينَ قَعَدُوا غَيرَ أُولِي الضَّرَرِ ، أي غيرَ مُضَارِّينَ ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ على (المؤْمِنِينَ) ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ في صِلَتِهِمْ ، فَكُنْتَ تَقُولُ : لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ غيرَ أُولِي الضَّرَرِ ، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى (القَاعِدِينَ) ؛ لأَنَّهُ في صِلَتِهِ» .

- وجاء في النَّصِّ السَّادِسِ عِنْدَ القَرَافي[24] ما نَصُّهُ:

«قَالَ الثمانيني في شَرْحِ اللُّمَعِ : لاَ تَكُونُ (إلاَّ) وَ(غير) وَصْفَيْنِ إلاَّ لِنَكِرَةٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ ، وَقَدْ أَجَازَ الأَخفشُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لِلمُضْمَرِ، وَاسْتَشْهَدَ بِالقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ في هَذِهِ الآيَةِ » .

وَالنَّصُّ عِنْدَ الثَّمانيني[25]: «وَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (غَيْرُ) وَ(إلاَّ) وَصْفَيْنِ إلاَّ لِنَكِرَةٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ ، وَقَدْ أَجَازَ الأَخْفَشُ أَنْ تَكُونَ وَصْفاً لِلمُضْمَرِ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقِرَاءَةٍ شَاذَّةٍ عَلَى جَوَازِ هَذَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالى : ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ ، كَمَا تَقُولُ : غَيْرُ قَلِيلٍ مِنْهُمْ» .

- وَقَالَ القَرَافيُّ[26] **في النَّصِّ السَّابِعِ** - ونقل فيه مرتين - ما نَصُّهُ :

«التَّاسِعُ : قَالَ الثَّمَانِينِي فِي شَرْحِ اللُّمَعِ لابْنِ جِنِّي: إِذَا قُلْتَ : لَهُ عِنْدِي دِرْهَمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ ، فَمَعْنَاهُ : دِرْهَمٌ يُخَالِفُ الصَّحِيحَ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُقَطَّعاً ، وهذا مُسْتَمِرٌّ فِي (إِلاَّ) أيضاً ...

العَاشِرُ : قَالَ الثَّمَانِينِي : إِذَا قُلْتَ : لَهُ عِنْدِي دِرْهَمٌ إِلاَّ قِيرَاطاً ، فَمَعْنَاهُ: يَنْقُصُ قِيرَاطاً ، وإِنْ قَالَ : لَهُ عِنْدِي دِرْهَمٌ إِلاَّ قِيرَاطٌ بِالرَّفْعِ ، فَمَعْنَاهُ : لَهُ عِنْدِي دِرْهَمٌ يُخَالِفُ قِيرَاطاً ، فَقَدِ اعْتَرَفَ بِدِرْهَمٍ كَامِلٍ» .

وَالنَّصُّ عِنْدَ الثَّمَانِينِي كَمَا يَلِي : «وَإِذَا قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ يُخَالِفُ الصَّحِيحَ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ قِطَعٌ أو غَلَّةٌ ، وهذا مُسْتَمِرٌّ في (إلاَّ) و(غير) ...

وإِذَا قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ إِلاَّ قِيرَاطٌ ، فكأنَّه قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ ينقُصُ قِيرَاطاً، وإذا قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ إِلاَّ قِيرَاطاً ، فمَعْنَاهُ : عِنْدِي دِرْهَمٌ يخَالِفُ قِيرَاطاً، فَكَأَنَّهُ قَالَ: عِنْدِي دِرْهَمٌ كَامِلٌ .

وإِذَا قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ غيرَ قِيرَاطٍ ، فَمَعْنَاهُ : عِنْدِي دِرْهَمٌ يَنْقُصُ قِيرَاطاً ، وإذَا قَالَ : عِنْدِي دِرْهَمٌ غَيْرُ قِيرَاطٍ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : دِرْهَمٌ كَامِلٌ» .

هَذِهِ النُّصُوصُ تُؤَكِّدُ لَنَا بما لا يَدَعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ بِأَنَّ الكِتَابَ هُوَ شَرْحُ اللُّمَعِ لا الفَوَائِدُ وَالقَوَاعِدُ .

ومِنَ الغَرِيبِ حَقّاً أَنَّ المحقِّقَ الفَاضِلَ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ فِي دِرَاسَتِهِ لِلْكِتَابِ، ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَقْتَنِعَ بِأَنَّ الكِتَابَ هُوَ شَرْحُ اللُّمَعِ ، بَلْ يَعُودُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ دِرَاسَتِهِ لِلْكِتَابِ لِيُؤَكِّدَ لَنَا أَنَّهُ مُؤَلَّفٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ ، بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَرْحاً لِكِتَابِ اللُّمَعِ ، لكِنَّهُ تَرَسَّمَ خُطَاهُ ، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِ فِي تَرْتِيبِ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ ، إِلاَّ أَنَّ القَوْمَ ظَنُّوا أَنَّهُ شَرْحٌ عليه ، ثُمَّ يُعَلِّلُ لَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ كِتَابَ اللُّمَعِ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ الثَّمَانِينِي وهُوَ يَضَعُ كِتَابَهُ هَذَا ، فَحَذَا حَذْوَهُ فِي تَرْتِيبِ فُصُولِهِ وَتَرَسَّمَ أَبْوَابَهُ فَحَسْب ، ولَمْ يَشْرَحْهُ . اسْتَمِعْ إليه يَقُولُ[٢٧]: «وأجْلَى العَلائِقِ الَّتِي تُمَثِّلُ تَأَثُّرَهُ بِشَيْخِهِ هُوَ كِتَابُ اللُّمَعِ ، فَاتَّبَعَ تَرْتِيبَهُ في أَبْوَابِهِ ، فَظَنَّ القَوْمُ أَنَّهُ شَرْحٌ لَهُ ، ولَكِنَّ صَنْعَةَ الكِتَابِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُصَنَّفٌ مُسْتَقِلٌّ قَائِمٌ بِرَأْسِهِ ابْتِدَاءً ؛ لأَنَّنَا لا نُحِسُّ بِأَيِّ سَبَبٍ يَرْبِطُ بِاللُّمَعِ إِلاَّ نَسَقُ الأَبْوَابِ ، ومَا زِيَادَتُهُ عَلَيْهِ بِشَرْحٍ لَهُ ...» .

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ : نُصُوصٌ مِنَ الكِتَابِ :

وَرَدَ فِي هَذَا الكِتَابِ خَمْسَةُ نُصُوصٍ مَرَّ عَلَيْهَا المحقِّقُ مُرُورَ الكِرَامِ ، وَلَوْ أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَهَا قَلِيلاً لَقَادَتْهُ إلى الرَّأْيِ الصَّوَابِ ، وسَأُورِدُهَا بِنَصِّهَا لِيَقِفَ القَارِئُ معي عَلَى مَا أَرَدْتُ بَيَانَهُ :

– النَّصُّ الأَوَّلُ : قَالَ الثَّمَانِينِي فِي بَابِ إِعْرَابِ الاسْمِ الوَاحِدِ :

«إِنَّمَا قَالَ : (إِعْرَابِ الاسْمِ الوَاحِدِ) تَحَرُّزاً مِنْ إِعْرَابِ التَّثْنِيَةِ وَالجَمْعِ ؛ لأَنَّ لِلتَّثْنِيَةِ بَاباً يُذْكَرُ فِيهِ إِعْرَابُهَا ، ولِلْجَمْعِ أَبْوَاباً يُذْكَرُ فِيهَا إِعْرَابُهُ»[٢٨] .

وَاضِحٌ أَنَّ الثَّمَانِينِي يُعَلِّلُ لِعِبَارَةِ شَيْخِهِ ابْنِ جِنِّي الوَارِدَةِ فِي اللُّمَعِ ، وَلَوْلاَ أَنَّهُ يَشْرَحُ الكِتَابَ لَمَا اضْطُرَّ إِلَى تَعْلِيلِ العِبَارَةِ ، وَلَشَرَعَ مُبَاشَرَةً فِي الكَلامِ عَلَى مُفْرَدَاتِ هَذَا البَابِ ، كما فَعَلَ فِي بَاقِي الأَبْوَابِ ، مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ أُسْلُوبَ الثَّمَانِينِي اتَّسَمَ بِالجَفَاءِ نحوَ شَيْخِهِ ، فَمَا كَانَ يَذْكُرُهُ وَلاَ يُشِيرُ إِلَى آرَائِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ ، وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْهُ فِي كِتَابَيْهِ المشْهُورَيْنِ لَدَى جَمْهَرَةِ العُلَمَاءِ (شَرْحِ اللُّمَعِ) وهُوَ هَذَا الكِتَابُ ، و(شَرْحِ التَّصْرِيفِ) ، وَلَكَ أَنْ تَقِفَ عَلَى مَدَى هَذَا الجَفَاءِ بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ شَيْخَهُ ابنَ جني إِلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَرَاحَةً فِي كُلِّ كِتَابٍ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ كِنَايَةً مَرَّتَيْنِ فِي (هذا الكتاب)، وَقَدْ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ .

فَإِذَا كَانَ لاَ يَذْكُرُ آرَاءَ شَيْخِهِ ابْنِ جِنِي في المَوَاطِنِ الَّتي يَجِبُ ذِكْرُهُ فِيهَا ، فَمَا إِشَارَتُهُ إلى كَلامِهِ وأَلْفَاظِهِ وتَعْبِيرَاتِهِ في بَعْضِ الأبْوَابِ إلاَّ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ يَشْرَحُ العِبَارَةَ لاَ أَنَّهُ يَتَرَسَّمُ الطَّرِيقَةَ .

– النَّصُّ الثَّاني : قَالَ الثَّمَانيني قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ في بَابِ المَنْقُوصِ :

«وَاعْلَمْ أَنَّهُ ذَكَرَ في البَابِ الأوَّلِ (أَقْسَامَ الكَلامِ) ، وَذَكَرَ في الثَّاني (المُعْرَبَ مِنَ الأقْسَامِ والمَبْنيَّ) ، وذَكَرَ في الثَّالِثِ (الإعْرَابَ وَالبِنَاءَ) ، وفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ المُعْرَبَ – وَالمُعْرَبُ قِسْمَانِ : الاسْمُ المُتَمَكِّنُ والفِعْلُ المُضَارِعُ – قَدَّمَ الكَلامَ في إِعْرَابِ الاسْمِ عَلَى الفِعْلِ ؛ لأَنَّ الاسْمَ هُوَ الأَصْلُ والفِعْلُ فَرْعٌ عَلَيهِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ في إِعْرَابِ الاسْمِ – وَكَانَ الاسْمُ قَدْ يَكُونُ مُفْرَداً ومُثَنَّى ومجموعاً – قَدَّمَ الكَلامَ في المفْرَدِ لأنَّهُ الأصْلُ للتَّثْنِيَةِ والجَمْعِ ، فإذَا فَرَغَ مِنَ الآحَادِ ذَكَرَ إِعْرَابَ التَّثْنِيَةِ لأنها فَرْعٌ عَلَى الوَاحِدِ ، وإِذَا فَرَغَ مِنَ التَّثْنِيَةِ ذَكَرَ إِعْرَابَ الجَمْعِ؛ لأنَّ الجَمْعَ فَرْعٌ عَلَى التَّثْنِيَةِ .

وَلَمَّا أَرَادَ إِعْرَابَ الوَاحِدِ – وَالوَاحِدُ يَكُونُ صَحِيحاً وَمُعْتَلاً – قَدَّمَ الكَلاَمَ في إِعْرَابِ الصَّحِيحِ لأنَّهُ الأَصْلُ وَيَبْرُزُ الإِعْرَابُ فِيهِ إلى اللَّفْظِ، وَلَمَّا كَانَ المُفْرَدُ الصَّحِيحُ يَكُونُ مُنْصَرِفاً وَغَيْرَ مُنْصَرِفٍ قَدَّمَ الكَلامَ في المُنْصَرِفِ لأنَّهُ الأَصْلُ ، وَلَمَّا تَكَلَّمَ في إِعْرَابِ المُنْصَرِفِ تَكَلَّمَ في إِعْرَابِ مَا لاَ يَنْصَرِفُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ في إِعْرَابِ المُضَافِ ، وَمَا فِيهِ الأَلِفُ وَاللاَّمُ ؛ لأنهُمَا فَرْعٌ عَلَى المُنْصَرِفِ وَغَيرِ المُنْصَرِفِ .

وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِعْرَابِ الصَّحِيحِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ في إِعْرَابِ المُعْتَلِّ – وَكَانَ المُعْتَلُّ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ مُعْتَلٌّ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ، وَمُعْتَلٌّ يَعْتَلُّ عَلَى وَجْهٍ وَيَصِحُّ عَلَى آخَرَ – قَدَّمَ الكَلاَمَ في القِسْمِ الَّذِي يَعْتَلُّ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الَّذِي يَعْتَلُّ عَلَى وَجْهٍ يَنْقَسِمُ عَلَى قِسْمَيْنِ : يَظْهَرُ فِيهِ بَعْضُ الإِعْرَابِ وَيُقَدَّرُ فِيهِ بَعْضُ الإِعْرَابِ ، وَقِسْمٌ لاَ يَظْهَرُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الإِعْرَابِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُقَدِّمَ الكَلامَ في المُعْتَلِّ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ بَعْضُ الإِعْرَابِ ؛ لأنَّهُ أَقْرَبُ إِلى الصَّحِيحِ وَهُوَ (المَنْقُوصُ) ، وفي المُعْتَلِّ الَّذِي لاَ يَظْهَرُ فِيهِ الإِعْرَابُ وَهُوَ (المَقْصُورُ) ، وَإِذَا ذَكَرَ المَقْصُورَ ذَكَرَ المَمْدُودَ ؛ لأنَّهُ ضِدُّ المَقْصُورِ ، وَإِذَا ذَكَرَ المَمْدُودَ ذَكَرَ المَهْمُوزَ ؛ لأنَّهُ مِثْلُ المَمْدُودِ في الهَمْزِ، ثُمَّ يَذْكُرُ مَا يَصِحُّ في حَالَةٍ مِنَ المُعْتَلاَّتِ»[٢٩] .

النَّصُّ طَوِيلٌ ، وكَمَا هُوَ مُلاحَظٌ يَشْرَحُ الثَّمَانيني طَرِيقَةَ شَيْخِهِ ابْنِ جِنِّي في عَرْضِهِ للأبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ ، وَيُعَلِّلُ لَهُ ، وَيُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ التَّقْدِمَةَ لِشُرُوعِهِ في الكَلامِ عَنْ المُعْرَبِ مِنَ الأَسْمَاءِ ، وَابْتِدَائِهِ بِبَابِ المَنْقُوصِ أَوَّلاً ، وَمَا دَفَعَهُ إِلى هَذَا إِلاَّ أَنَّهُ يَقُومُ بِشَرْحِ الكِتَابِ ، فَهُوَ مُضْطَرٌّ لِلسَّيْرِ مَعَهُ بِالتَّرْتِيبِ نَفْسِهِ ، وَإِلاَّ لَيْسَ هُنَاكَ دَاعٍ إِلى هَذَا الكَلامِ كُلِّهِ لَوْ كَانَ المُؤَلِّفُ يَضَعُ كِتَاباً مُسْتَقِلاًّ لاَ عَلاقَةَ لَهُ بِاللُّمَعِ .

وَلَوْ كَانَ مُتَرَسِّماً تَرْتِيبَ الأبْوَابِ – كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ المُحَقِّقُ – لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْرَعَ في وَضْعِ الأَبْوَابِ دُونَ إِشَارَةٍ إِلى مَا فَعَلَهُ ابْنُ جِنِّي في اللُّمَعِ ؛ إِذْ لاَ رَابِطَ يَرْبِطُهُ بِهِ إِذْ ذَاكَ ، لَكِنْ حِيْنَ كَانَ الكِتَابُ شَرْحاً عَلَى اللُّمَعِ كَانَ لِزَاماً عَلَى الثَّمَانيني أَنْ يَسِيرَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتي سَارَ عَلَيْهَا ابْنُ جِنِّي مِنْ حَيْثُ تَرْتِيبُ الأبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ نَفْسِهَا ، وَحَتَّى يَكُونَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ ابْنُ جِنِّي في هَذَا التَّرْتِيبِ مُتَقَبَّلاً لَدَى القَارِئِ ، كَانَ الثَّمَانيني يُعَلِّلُ في هَذِهِ المَوَاطِنِ وَيَذْكُرُ السَّبَبَ المُقْنِعَ في تَرْتِيبِ شَيْخِهِ لأبْوَابِ اللُّمَعِ .

النَّصُّ الثَّالِثُ : قَالَ الثَّمَانيني في بَابِ المبْتَدَأ :

«قَالَ صَاحِبُ هَذَا الكِتَابِ : المُبْتَدَأُ كُلُّ اسْمٍ ابْتَدَأْتَهُ وَعَرَّيْتَهُ [كَذَا في المطْبُوعِ والصَّحيح : عَرَّيْتَهُ] مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَعَرَضْتَهُ لَهَا ، وَجَعَلْتَهُ أَوَّلاً لِثَانٍ ، يَكُونُ الثَّاني حَدِيثاً عَنِ الأَوَّلِ وَمُسْنَداً إِلَيْهِ .

مَعْنى قَوْلِهِ : (ابْتَدَأْتَهُ) أيْ : قَدَّمْتَهُ في لَفْظِكَ أوْ في نِيَّتِكَ [كَذَا في المطْبُوعِ والصَّحيحُ: نيّتك] ، فَمِثَالُ المُقَدَّمِ في اللَّفْظِ : زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَمِثَالُ المُقَدَّمِ في النِّيَّةِ : قَائِمٌ زَيْدٌ ، وَمَعْنى قَوْلِهِ : (عَرَّيْتَهُ مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ) يُرِيدُ بِالعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، وَإِنَّ وَأَخَوَاتِهَا ، وَظَنَنْتُ وَأَخَوَاتِهَا ؛ لأنَّ هَذِهِ العَوَامِلَ هِيَ الَّتي تَدْخُلُ عَلَى المُبْتَدَأ وَخَبَرِهِ .

وَمَعْنى قَوْلِهِ : (عَرَضْتَهُ لَهَا) أيْ : يَحْسُنُ دُخُولُهَا عَلَيْهِ مَتَى أرَدْتَ ذَلِكَ ، وَمَعْنى قَوْلِهِ : (أوَّلاً لِثَانٍ) أيْ : جِئْتَ بِهِ لِتُسْنِدَ الخَبَرَ إلَيْهِ ؛ لأنَّ المُخَاطَبَ يَعْرِفُ المُبْتَدَأ ، وإنَّمَا يَسْتَفِيدُ الخَبَرَ ، فَأَنْتَ جِئْتَ بِالمُبْتَدَأ لِتُسْنِدَ هَذَا الخَبَرَ إلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أنَّ هَذَا الفَصْلَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاثَةِ أشْيَاءَ...»[٣٠].

الدَّلِيلُ في هَذَا النَّصِّ وَاضِحٌ غَايَةَ الوُضُوحِ ، دَالٌّ عَلَى مَا نَقْصِدُ إلَيْهِ دَلالَةَ الصُّبْحِ عَلَى الشَّمْسِ ، فَلَوْلا أنَّ الثَّمَانِينِي يَشْرَحُ كِتَابَ شَيْخِهِ لَمَا عَمَدَ إلى إيرَادِ نَصِّهِ في تَعْرِيفِ المُبْتَدَأ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ بِشَرْحِ مُفْرَدَاتِ هَذَا التَّعْرِيفِ .

النَّصُّ الرَّابِعُ : جَاءَ في أوَّلِ بَابِ المَجْرُورَاتِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ :

«لَمَّا ابْتَدَأَ بِالمرفُوعَاتِ والرَّفْعُ هو الضَّمَّةُ ، والضَّمَّةُ من الواوِ ، والواوُ من ابْتِدَاءِ الفَمِ ، كَانَ يَنْبَغِي أنْ يَتْلُوَ المرفُوعَاتِ بالمجرُورَاتِ ؛ لأنَّ الجَرَّ هو الكَسْرُ ، والكَسْرَةُ من اليَاءِ ، واليَاءُ من وسَطِ الفَمِ ، ثُمَّ يَتْلُوَ المجرُورَاتِ بالمَنْصُوبَاتِ ؛ لأنَّ النَّصْبَ هُوَ الفَتْحَةُ ، والفَتْحَةُ من الألفِ ، والألفُ من أقْصَى الحَلْقِ ، فهِيَ نَقِيضَةُ الوَاوِ ، إلاَّ أنَّهُ تَلاَ المرْفُوعَاتِ بالمَنْصُوبَاتِ ؛ لأنَّ المنصُوبَ أصلٌ للمجْرُورِ ؛ لأنَّ المجرُورَ مَنْصُوبٌ في المعنى ومَفْعُولٌ ، وقدَّمَ المنصُوبَ في اللَّفْظِ على المجرُورِ ؛ لأنَّ المجرُورَ مُتَأوَّلٌ ، والمتَأوَّلُ فَرْعٌ عَلَى مَا يَبرُزُ إلى اللَّفْظِ»[٣١] .

قَصَدَ الثَّمَانِيني بقَولِهِ : (لَمَّا ابْتَدَأ) شَيْخَهُ ابْنَ جِنِّي في كِتَابِ اللُّمَعِ الَّذِي يَشْرَحُهُ هُوَ ، حَيْثُ أرَادَ أنْ يُبْدِيَ رَأيَهُ في التَّرْتِيبِ المَنْطِقِيِّ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ في كَلامِ شَيْخِهِ ، فَأشَارَ إلى أنَّهُ كَانَ عَلَى ابْنِ جِنِّي أنْ يَتْلُوَ المَرْفُوعَاتِ بِالمَجْرُورَاتِ فَالمَنْصُوبَاتِ ، إلاَّ أنَّهُ قَدَّمَ المَنْصُوبَاتِ عَلَى المَجْرُورَاتِ ، وَعَلَّلَ الثَّمَانِيني هَذَا التَّقْدِيمَ بِأنَّ المَجْرُورَ مَنْصُوبٌ في المَعْنى وَهُوَ مُتَأوَّلٌ ، وَالمُتَأوَّلُ فَرْعٌ عَلَى البَارِزِ .

أقُولُ هُنَا : إذَا كَانَ الثَّمَانِيني لا يَشْرَحُ اللُّمَعَ فَلِمَاذَا إثَارَةُ مِثْلِ هَذَا الاعْتِرَاضِ مِنْهُ عَلَى تَرْتِيبِ الأبْوَابِ في اللُّمَعِ، ثُمَّ إجَابَتُهُ عَلَيْهَا وَتَبْرِيرُهُ مَوْقِفَ شَيْخِهِ ؟

النَّصُّ الخَامِسُ : قَالَ الثَّمَانِيني في بَابِ إعْمَالِ المَصْدَرِ :

«اعْلَمْ أنَّ صَاحِبَ هَذَا المُخْتَصَرِ أخَّرَ بَابَ إعْمَالِ المَصْدَرِ إلى أنْ ذَكَرَهُ في جُمْلَةِ المَوْصُولاتِ ؛ لأنَّهُ في مَعْنى (أنْ يَفْعَلَ) و(أنْ فَعَلَ) ، لأنَّا قَدْ بَيَّنَّا أنْ يَكُونَ الفِعْلُ وَالفَاعِلُ بَعْدَهَا صِلَةً لها وتماماً ، سَوَاءٌ كَانَ الفِعْلُ لازماً أو مُتَعَدِّياً»[٣٢].

أقُولُ بَعْدَ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتي قَدَّمْنَاهَا مُعَضَّدَةً بِمَا سَبَقَ : ألَيْسَ في هَذَا مَقْنَعٌ يَدُلُّنَا عَلَى أنَّ الكِتَابَ شَرْحٌ عَلَى اللُّمَعِ ، وَلَيْسَ كِتَاباً مُسْتَقِلاًّ ؟!

ثانياً : شُيُوخُهُ وَتَلامِيذُهُ :

قَالَ المحقِّقُ في تَقْدِمَتِهِ لِلْكِتَابِ : «فَكُتُبُ السِّيَرِ لا تَذْكُرُ لَهُ إلاَّ شَيْخاً وَاحِداً ، وَتِلْمِيذاً وَاحِداً ، وَقَرِيناً وَاحِداً ، أمَّا شَيْخُهُ فَهُوَ أبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت ٣٩٢هـ) ، وَأمَّا تِلْمِيذُهُ فَهُوَ أبُو المعَمَّرِ يَحْيى بْنُ طَبَاطَبَا العَلَوِيُّ (ت ٤٧٨هـ)، وأمَّا قَرِينُهُ فَهُوَ أبُو القَاسِمِ عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَرْهَانَ الأسَدِيُّ (ت ٤٥٦هـ)»[٣٣] .

وَهَذَا كَلامٌ فِيهِ نَظَرٌ ، فَقَدْ ذَكَرَتْ بَعْضُ التَّرَاجِمِ أسْمَاءً أخْرَى ، كَمَا ذَكَرَ الثَّمَانِيني نَفْسُهُ اسْمَ أحَدِ شُيُوخِهِ في كِتَابِهِ «شَرْحِ التَّصْرِيفِ» .

فَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِشُيُوخِ الثَّمَانِيني فَإنَّا نَقُولُ : لِلثَّمَانِيني شَيْخَانِ هُمَا :

١ - أبو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت ٣٩٢هـ) :

تَلْمَذَةُ الثَّمَانِينِي لابْنِ جِنِّي مَشْهُورَةٌ ، ذَكَرَهَا كُلُّ مَنْ تَرْجَمَ لِلرَّجُلَيْنِ ، فَلاَ دَاعِي لِلإِفَاضَةِ فِي الحَدِيثِ عَنْهَا ، إلاَّ أَنَّ أَمْراً مُهِماً يَلْفِتُ النَّظَرَ فِي كُتُبِ الثَّمَانِينِي أَلاَ وَهُوَ عَدَمُ ذِكْرِهِ لِشَيْخِهِ ابْنِ جِنِّي صَرَاحَةً إِلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الْكِتَابِ[٣٤]، وَكَنَّى عَنْهُ مَرَّتَيْنِ ، قَالَ عَنْهُ فِي إِحْدَاهُمَا : صَاحِبُ هَذَا الْمُخْتَصَرِ ، وَقَالَ فِي الأُخْرَى : صَاحِبُ هَذَا الْكِتَابِ . كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ إِلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي شَرْحِهِ على التَّصْرِيفِ الْمُلُوكِيِّ .

وَهَذَا أَمْرٌ غَرِيبٌ حَقّاً مِنْ قِبَلِ عَالِمٍ مَشْهُورٍ كَالثَّمَانِينِي شَرَحَ كِتَابَيْنِ مِنْ كُتُبِ شَيْخِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَلْمَعِ تَلاَمِيذِهِ ، وَهَذَا الجَفَاءُ أَوِ الازْوِرَارُ قَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ بِأَنَّ لَهُ أَكْثَرَ مِنِ احْتِمَالٍ :

- فَقَدْ يَكُونُ سَجِيَّةً مِنْ سَجَايَا الثَّمَانِينِي .
- وَقَدْ يَكُونُ خِلاَفاً عَقَدِيّاً ؛ حَيْثُ ابْنُ جِنِّي عَلَى مَذْهَبِ شَيْخِهِ الفَارِسِيِّ فِي الاعْتِزَالِ، وَالأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ الثَّمَانِينِي سُنِّياً، وَأَمَارَةُ ذَلِكَ أَنَّ اسمَهُ عُمَرُ.
- أَوْ قَدْ يَكُونُ أَخْفَى ذَلِكَ خَوْفاً مِنْ بَطْشِ الحَنَابِلَةِ الَّذِينَ يُحِيطُونَ بِمَحَلَّةِ الْكَرْخِ حَيْثُ كَانَ يُقِيمُ الثَّمَانِينِي (وَالكَرْخُ مَحَلَّةُ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ فِي بَغْدَادَ)، فَلَعَلَّ الحَنَابِلَةَ إِذَا سَمِعُوهُ يُمَجِّدُ ابْنَ جِنِّي أَوْ يَمْدَحُهُ آذَوْهُ أَوْ صَرَفُوا عَنْهُ الطَّلَبَةَ ، وَهُوَ أَمْرٌ لاَ يَرُوقُ لِلثَّمَانِينِي لأَنَّهُ كَانَ يَتَكَسَّبُ بِالتَّعْلِيمِ[٣٥].

قُلْتُ : وَهَذَا الاحْتِمَالُ بَعِيدٌ ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ الثَّمَانِينِي قَدْ ذَكَرَ شَيْخَ ابْنِ جِنِّي أَبَا عَلِيٍّ الفَارِسِيَّ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ حِينَ قَالَ عَنِ الضَّمَائِرِ المُتَّصِلَةِ بِالفِعْلِ الَّذِي ظَهَرَ فَاعِلُهُ[٣٦] : «وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ الله يَقُولُ: هَذِهِ حُرُوفٌ ، وَالْفَاعِلُ هُوَ مَا بَعْدَهَا ...» ، فَلَوْ كَانَ المَحْذُورُ هَذَا لَتَجَنَّبَ الثَّمَانِينِي ذِكْرَ أَبِي عَلِيٍّ أَيْضاً .

٢ - عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ الله بْنِ الدَّقَّاقِ الدُّقَيْقِيُّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٤١٥هـ) :

أَخَذَ الدَّقَّاقُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ (المُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٧هـ)، وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ (المُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٦٨هـ) ، وَأَبِي عَلِيٍّ الرُّمَّانِيِّ (المتوفى سَنَةَ ٣٨٤هـ) وغيرِهِمْ ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو القَاسِمِ الثَّمَانِينِي فِي شَرْحِهِ عَلَى التَّصْرِيفِ المُلُوكِيِّ حَيْثُ قَالَ :

«وَأَمَّا قَلْبُ اليَاءِ مِنَ الوَاوِ إِذَا كَانَتِ الوَاوُ لاَماً فَقَوْلُهُمْ : غَازٍ، وَهُوَ مِنْ غَزَوْتُ، وَدَانٍ ، وَهُوَ مِنْ دَنَوْتُ ، وَعَالٍ ، وهُوَ مِنْ عَلَوْتُ ، وَأَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ .

سَأَلْتُ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ عَنْ قَلْبِ هَذِهِ الوَاوِ إِلَى اليَاءِ فَقُلْتُ لَهُ : شَرَطْتُمْ بِأَنَّ الوَاوَ تَنْقَلِبُ يَاءً إِذَا سَكَنَتْ وَانْكَسَرَ مَا قَبْلَهَا ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا : غَازِوٌ ، فَالوَاوُ مُتَحَرِّكَةٌ ، فَقَدْ نَقَصَ أَحَدُ الشَّرْطَيْنِ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَصِحَّ الوَاوُ وَلاَ تَنْقَلِبَ ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّا اسْتَثْقَلْنَا الخُرُوجَ مِنْ ضَمٍّ لاَزِمٍ إِلَى كَسْرٍ لاَزِمٍ ؛ لأَنَّ ضَمَّةَ الوَاوِ إِعْرَابٌ ، وَالإِعْرَابُ لَيْسَ بِلاَزِمٍ .

فَقَالَ لِي : نَوَيْنَا الوَقْفَ عَلَى الوَاوِ ، فَلَمَّا سَكَنَتْ لِلْوَقْفِ وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ غَلَبَتْ عَلَيْهَا الكَسْرَةُ فَقَلَبَتْهَا يَاءً .

فَقُلْتُ لَهُ : نَحْنُ نَقُولُ فِي المُؤَنَّثِ: غَازِيَةٌ ، فَقَدْ زَالَ السُّكُونُ ؟

فَقَالَ لِي : التَّأْنِيثُ طَارِئٌ عَلَى لَفْظِ التَّذْكِيرِ، فَالتَّأْنِيثُ فَرْعٌ وَالتَّذْكِيرُ هُوَ الأَصْلُ، فَلَمَّا وَجَبَ القَلْبُ فِي الأَصْلِ حُمِلَ الفَرْعُ عَلَيْهِ . وَهَذَا كُلُّهُ عَنْ أَبِي القَاسِمِ الدَّقَّاقِ رَحِمَهُ الله» .

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَلاَمِيذِ الثَّمَانِينِي فَإِنِّي أَقُولُ :

لِلثَّمَانِينِي تَلاَمِيذُ سِوَى ابْنِ طَبَاطَبَا ذَكَرَهُمُ المُتَرْجِمُونَ ، وَهُمْ :

١ - إِسْمَاعِيلُ الإِسْكَافِيُّ (ت ٤٤٨هـ) :

وَهُوَ أَبُو غَالِبٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ المُؤَمَّلِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ

إسماعِيلَ الإسْكَافيُّ الضَّرِيرُ النَّحْويُّ ، كَانَ فَاضِلاً وَأدِيباً شَاعِراً ، رَوَى عَنْهُ أبو القاسِمِ عَبْدُالله بْنُ محمَّدِ بْنِ بَاقِيَاء الشَّاعِرُ ، وعبدُ المحسنِ بْنِ عَليِّ التَّاجِرُ ، وغيرُهُمَا ، تُوَفي سنة (٤٤٨هـ) . قال عنه الوَزِيرُ ابْنُ المسْلَمَةِ : لا أدْرِي في النَّحْوِ مَفْتُوحَ العَينِ إلاَّ هَذَا المغْمَضَ العَينِ[٣٧].

٢ - الشَّرِيفُ العَلَويُّ (ابْنُ طَبَاطَبَا) (ت ٤٧٨هـ) :

وهُوَ أبو المعَمَّرِ يحيى بْنُ مـحـمَّدِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ طَبَاطَبَا المتوفَّى سنة (٤٧٨هـ) . نَقِيبُ الطَّالِبِيِّين بمِصْرَ ، وكَانَ مِنْ أكَابِرِ رُؤَسَائِهَا ، نَحْوِيٌّ أدِيبٌ فَاضِلٌ ، أخَذَ عَنِ الرَّبَعيِّ والثَّمَانِيني ، وَعَنْهُ أخَذَ ابْنُ الشَّجَرِي[٣٨] ، تُوفِّيَ سَنَةَ (٤٧٨هـ) .

٣ - الحُلْوَانيُّ (ت ٤٩٣هـ) :

أبو عَبْدِ الله سُلَيْمَانُ بْنُ أبي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الله الحُلْوَاني النَّهْرَوَانيُّ ، إمَامٌ في اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ، أخَذَ عَنْ أبي الخَطَّابِ الجَبَلِيِّ والثَّمَانيني وابْنِ مَاكُولاَ وغيرِهِمِ . من تصانيفه: التَّفْسِيرُ عَلَى القِرَاءَاتِ ، والقَانُونُ في اللُّغَةِ (عَشْرَةُ مجلَّدَاتٍ) قَالَ يَاقوتُ : لم يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، وغيرُهَا ، كان شَاعِراً مُجِيداً، تُوفي سَنَةَ (٤٩٣هـ)[٣٩].

٤ - الدَّسْكَري (ت ٤٩٣هـ) :

أبُو سَعْدٍ محمَّدُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الدَّسْكَرِي الكَاتِبُ ، ذَكَرَهُ ابْنُ النَّجَّارِ في «ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَاد» قال[٤٠]: «أخْبَرَني أبُو سَعْدٍ محمَّدُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الدَّسْكَرِيُّ بِبَغْدَادَ قَالَ : أنْشَدَني أبو القَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الثَّمَانِينيُّ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ الشَّرْحِ لِسِيْدُوكِ الشَّاعِرِ الوَاسِطِيِّ :

إذَا مَا قَطَعْتُمْ لَيْلَكُمْ بِمُدَامِكُمْ
وَأفْنَيْتُـمُ أيَّامَكُـمْ بِمَنَـامِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُـوكُمْ لِمُلِمَّـةٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْشَاكُمْ لِسَـلاَمِ
كَأنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا قَـوْلَ حَاتِـمٍ
وَلَمْ تَمْلِكُوا نَفْساً كَنَفْسِ عِصَامِ
وَلَمْ تَعْلَمُـوا أنَّ اللِّسَـانَ مُوَكَّلٌ
بِمَدْحِ كِـرَامٍ أوْ بِـذَمِّ لِئَـامِ

أمَّا مُعَاصِرُو الثَّمَانِيني مِنَ العُلَمَاءِ فَكُثُرٌ مِنْهُمْ :

١ - ابْنُ بَرْهَان (ت ٤٥٦ هـ)[٤١]:

أبُو القَاسِمِ عَبْدُ الوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ بْنِ بَرْهَانَ الأسَدِيُّ العُكْبَرِيُّ ، مِنْ أكَابِرِ النَّحْوِيِّينَ ، أخَذَ عَنْ أبي القَاسِمِ الدَّقَّاقِ ، وأبي الحسَنِ السِّمْسِمَانيِّ ، وابْنِ بَطَّةَ العُكْبَرِيِّ وغيرِهِم ، وعنه أخَذَ الخَطِيبُ البَغْدَاديُّ وغيرُهُ . وكانَ مُنْقَطِعاً للتَّدْرِيسِ في بَغْدَادَ كَالثَّمَانِيني ، إلاَّ أنَّ ابْنَ بَرْهَانَ كَانَ يَأتِيهِ الخَوَاصُّ مِنَ النَّاسِ ، وَالثَّمَانِيني يَأتِيهِ عَوَامُّهُمْ .

٢ - الثَّعَالبي (ت ٤٢٩هـ)[٤٢]:

عَبْدُ الملك بْنُ محمَّدِ بْنِ إسْمَاعِيلَ الثَّعَالبيُّ ، أدِيبٌ فَاضِلٌ فَصِيحٌ ، من تَصَانِيفِهِ يتيمَةُ الدَّهْرِ ، وفَرَائدُ القَلاَئِدِ ، وَسِرُّ الأدَبِ وَغيرُهَا . تُوُفِّيَ سَنَةَ (٤٢٩هـ) .

٣ - الشَّرِيفُ المرْتَضَى (ت ٤٣٦هـ) :[٤٣]:

عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ المرْتَضَى أخُـو الرَّضِي ، نقـيبُ العَلَوِيِّينَ ، نَبَغَ في فُنُونٍ كثيرة ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٦هـ.

٤ - أبُو العَلاَءِ المعَرِّيُّ (ت ٤٤٩هـ)[٤٤] :

أحـمَدُ بْنُ عَبدِالله بْنِ سُلَيْمَانَ التَّنُوخِيُّ المعَرِّيُّ ، فَيلَسُوفُ الشُّعَرَاءِ، أدِيبٌ مُتَضَلِّعٌ ، عَلاَّمَةُ عَصْرِهِ ، أخَذَ عنه الخطيبُ التِّبرِيزيُّ وَغَيـرُهُ ، له التَّصَانيفُ الكَثِيرَةُ المشْهُورَةُ والرَّسَائِلُ المأثُورَةُ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٤٩هـ بالمعَرَّةِ .

٥ - النَّدِيم (ت ٤٣٨هـ)[٤٥]:

محمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ أبُو الفَرَجِ بْنُ أبي يَعْقُوبَ النَّدِيمُ البغداديُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ الفِهْرِسْتِ ، تُوفي سَنَةَ ٤٣٨هـ .

هَؤُلاَءِ مَنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِم مِنْ مُعَاصِرِي الثَّمَانِيني في

المَشْرِقِ، وَهُنَاكَ عُلَمَاءُ آخَرُونَ مِمَّنْ عَاصَرُوهُ في بِلادِ الأَنْدَلُسِ كَأَحْمَدَ بْنِ عَمَّارٍ المَهْدَوِيِّ المتوفَّى بعدَ سَنَةِ ٤٣٠هـ، وابنُ التَّيَّاني المتوفَّى سَنَةَ ٤٣٦هـ ، ومَكِّيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ المتوفَّى سَنَةَ ٤٣٧هـ ، وابْنُ سِيْدَه المتوفَّى سَنَةَ ٤٥٨هـ .

ثَالِثاً : آثَارُهُ :

قَالَ المحقِّقُ في أَثْنَاءِ حَدِيْثِهِ عَنْ آثَارِ الثَّمَانِيني : «وَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيْنَا مِنْ هَذِهِ الآثَارِ إلاَّ كِتَابُ (الفَوَائِدِ وَالقَوَاعِدِ) ، وَحَسْبُنَا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ كَفَانَا في مَعْرِفَةِ مُؤَلِّفِهِ بِقَدْرِ ما نحتَاجُ إِلَيْهِ في هَذِهِ الإِضَاءَةِ لِسِيْرَتِهِ ... » .

أَقُولُ: بَلْ إِنَّ لَدَيْنَا كِتَاباً آخَرَ للثَّمَانيني، بَالِغَ الأَهَمِّيَّةِ، وهُوَ ثَاني الكِتَابَيْنِ اللَّذَيْنِ اشْتُهِرَ بِهِمَا ، أَلاَ وَهُوَ كِتَابُ «شَرْحِ التَّصْرِيْفِ»، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مُنْذُ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ في مَكْتَبَةِ الرُّشْدِ بالرِّيَاضِ، بتحقيقِ إبراهيمَ البُعَيْمي (في رسالة علميَّة) بالجَامِعَةِ الإسلاميَّةِ في المدينَةِ النَّبَوِيَّةِ .

وَاللَّوْمُ وَاقِعٌ عَلَى المحقِّقِ الفَاضِلِ في أَنَّهُ لَمْ يَبْذُلِ الجُهْدَ المطْلُوبَ لِمَعْرِفَةِ مَا إذا كَانَتْ هُنَاكَ كُتُباً أُخْرَى للثَّمانيني مخطُوطَةً أو مَطْبُوعَةً ، وكُلُّ الظَّنِّ أَنَّهُ لَوْ بَذَلَ أَدْنَى الجُهْدِ في ذَلِكَ لَتَوَصَّلَ إلى مَا يُفِيدُهُ في تَحْقِيقِ كِتَابِهِ هَذَا .

رابعاً : تَنْبِيهَاتٌ عَامَّةٌ في مَنْهَجِ التَّحْقِيقِ والدِّرَاسَةِ :

هُنَاكَ مُلاحَظَاتٌ عَامَّةٌ وَقَفْتُ عَلَيها في مَنْهَجِ التَّحْقِيقِ أُجْمِلُهَا في النِّقَاطِ التَّالِيَةِ :

١ – جَرَتْ عَادَةُ المحقِّقِيْنَ أَنْ يُورِدُوا في صَدْرِ النَّصِّ المحقَّقِ أو في آخِرِ الكِتَابِ صُوَراً للنُّسَخِ الَّتِي اعْتُمِدَتْ في تحقيقِ النَّصِّ ، ولم نَرَ المحقِّقَ حَقَّقَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، حَيْثُ إِنَّنَا اضْطُرِرْنَا إلى النَّظَرِ في صُوَرِ تِلْكَ المخْطُوطَاتِ وَلَكِنْ لَمْ نَعْثُرْ عَلَيْهَا في الكِتَابِ ؟!

٢ – سَلَكَ المحقِّقُ في تَرْقِيْمِ صَفَحَاتِ الدِّرَاسَةِ مَسْلَكاً غَرِيباً يَلُفُّهُ الإِبهَامُ وَالبُعْدُ ، فَقَدْ بَدَأَ بِتَرْقِيْمِ الصَّفَحَاتِ عَلَى أَحْرُفِ (أَبجَدْ هَوَّزْ حطِّي) ولَكِنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ حَرْفِ اليَاءِ، وَلَمْ يُكْمِلْ بَاقِي الأَحْرُفِ (كَلَمَنْ ...) ، ثُمَّ أَعْقَبَهَا بِآخِرِ الحُرُوفِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا وَهُوَ اليَاءُ مُوْرِداً مَعَهُ تلكَ الأحرف التي أوردها من قبل (أَبجَدْ هَوَّزْ حطِّي) ، وهكَذَا ، وَبَعْدَ أَنْ تَنْتَهِي هَذِهِ الأَحْرُفُ يَأْتي بِالحَرْفِ الَّذِي بَعْدَ اليَاءِ وَهُوَ الكَافُ مُعِيْداً مَعَهُ أَحْرُفَ (أَبجَدْ هَوَّزْ حطِّي) ، وهكَذَا .

وَلاَ أَدْرِي هَلْ أَعْوَزَتِ الحِيْلَةُ البَاحِثَ حَتَّى يَلْجَأَ إلى هَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّرْقِيْمِ الغَرِيْبِ العَجِيْبِ المُلْبِسِ ؟!

٣ – ذَكَرَ المحقِّقُ في آخِرِ مُقَدِّمَتِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فَهَارِسَ تُدْنِي الكِتَابَ للبَاحِثِيْنَ حَيْثُ قَالَ : «ثُمَّ في نِهَايَةِ العَمَلِ أَدْنَيْتُ لِلْقَارِئِ قُطُوفَهُ وَجَنَاهُ فَذَيَّلْتُهُ بِفَهَارِسَ ....» ، أَقُولُ: وَالكِتَابُ لَيْسَ فِيْهِ سِوَى فِهْرِسِ الآيَاتِ والأَشْعَارِ وبَعْضِ الأَلْفَاظِ الغَرِيْبَةِ ، وَيَعْلَمُ البَاحِثُ أَنَّ فِهْرِسَ الأَعْلامِ مِنْ أَهَمِّ الفَهَارِسِ لِلوُقُوفِ عَلَى آرَاءِ العُلَمَاءِ في الكُتُبِ التُّرَاثِيَّةِ ، ولكنَّهُ لم يُتْعِبْ نَفْسَهُ في صُنْعِ هَذَا الفِهْرِسِ المهمِّ .

٤ – حَفَلَ الكِتَابُ من خِلالِ تَصَفُّحِي السَّرِيْعِ عَلَى أَخْطَاءٍ لُغَوِيَّةٍ وإِنْ كَانَ الأَمْرُ في كَثِيرٍ منهَا عَائِدٌ إلى الطِّبَاعَةِ إلاَّ أَنَّ البَاحِثَ نَفْسَهُ هُوَ الَّذِي يَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّتَهَا ، ومن أَمْثِلَةِ ذَلِكَ :

- جَاءَ في صفحة (١٥٨) قولُهُ : «قَالَ صَاحِبُ هَذَا الكِتَابِ: المُبْتَدَأُ كُلُّ اسْمٍ ابْتَدَأْتَهُ وعَرَبْتَهُ مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ» ، والصَّحيحُ : «وعَرَّيْتَهُ» .
- وجَاءَ في الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا قولُهُ : «مَعنى قولِهِ : ابْتَدَأْتَهُ أي : قَدَّمْتَهُ في لَفْظِكَ أو في بَيْتِكَ» والصَّحيحُ : «أو في نِيَّتِكَ» .
- جَاءَ في صفحة (٥٠٩) قولُهُ : «وفي الوَقْفِ : اسْعَ وأَخْشَ» والصَّحيحُ : «اخْشَ» بحَذْفِ الهَمْزَةِ لأنها وَصْلٌ .

٥ - الإحالَةُ في أقْوَالِ النُّحَاةِ إلى مَصَادِرَ مختلفةٍ، وعَدَمُ الرُّجُوعِ إلى كُتُبِهِم وهي مُتَوَافِرَةٌ، مِثَالُ ذَلِكَ مَا جَاءَ في صَفْحة (٣٩١) مِنْ تَعْلِيقٍ على الآيَةِ الكَرِيمَةِ: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾، قَالَ الثَّمَانِينِي: «وَقَالَ أبو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ: لَيْسَ المَعْطُوفُ عَلَى هَذِهِ الهَاءِ وَلاَ مَجْرُوراً بِهَذِهِ البَاءِ، وإنَّمَا هُوَ مَجْرُورٌ بِبَاءٍ أُخْرَى حُذِفَتْ لِدَلاَلَةِ هَذِهِ المتَقَدِّمَةِ عَلَيْهَا، وتَقْدِيرُهُ: بِهِ وبِالأَرْحَامِ».

وَقَدْ أَشَارَ أبو عَلِيٍّ إلى هَذَا المعنى في كِتَابِهِ المسَائِلِ البَصْرِيَّاتِ ٦٣٤/١ - ٦٣٥، ولكنَّ المحقِّقَ أشَارَ إلى مَصَادِرَ أُخْرَى كالمقْتَصِدِ والإنْصَافِ وغَيْرِهِمَا.

خَاتِمَةٌ:

وَبَعْدُ، فَهَذَا مَا أَرَدْتُ بَيَانَهُ ممَّا تَبَادَرَ إلى ذِهْنِي بَعْدَ الاطِّلاَعِ على هَذَا الكِتَابِ، فَإِنْ أَصَبْتُ فِيمَا قُلْتُهُ فَمِنَ الله، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي والشَّيْطَانِ، وَحَسْبِي أَنِّي اجْتَهَدْتُ بُغْيَةَ الوُصُولِ إلى الحَقِّ في هَذِهِ النِّقَاطِ الَّتِي أَثَرْتُهَا، والعِلْمُ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ، ومَا قَصَدْتُ إلا إكْمَالَ النَّقْصِ في هذا العَمَلِ الَّذِي قَامَ بِهِ المحقِّقُ الفَاضِلُ، وهُوَ عَمَلٌ يُشْكَرُ عَلَيهِ لِمَا بَذَلَ فيهِ مِنْ جُهْدٍ وصَبْرٍ عَلَى إخْرَاجِ هَذَا الكِتَابِ الثَّمِينِ إلى أَهْلِ العَرَبِيَّةِ، والكَمَالُ لله وَحْدَهُ، لَهُ الحَمْدُ والشُّكْرُ أَوَّلاً وآخِراً، إِنْ أُرِيدُ إلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإليهِ أُنِيبُ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

الهوامش

١ - انظر ترجمته في: **وفيات الأعيان** ٤٤٣/٣، **ومعجم الأدباء** ٥٧/١٦، **وذيل تاريخ بغداد** لابن النجار ٥٥/٥، **والعبر للذهبي**: ٢٨١/٢، **ونكت الهميان**: ٢٢٠، **بغية الوعاة** ٢١٧/٢.

٢ - **الفلاكة والمفلوكون**: ١٥٣.

٣ - **هدية العارفين** ٧٨١/١.

٤ - **تاريخ الأدب العربي** ٢٦٠/٢.

٥ - **معجم المؤلفين** ٢٧٩/٧.

٦ - الصفحة: (يح).

٧ - الصفحة: (ط).

٨ - الصفحة: (يج)، وانظر الصفحة: (يا).

٩ - الصفحة: (يح).

١٠- الصفحة: (ط) و(يج).

١١- انظر الصفحة: ١٥٨، و: ٧٢٦.

١٢- **هدية العارفين** ٧٨١/١.

١٣- مقدمة (**الفوائد**) الصفحة: (يد).

١٤- انظر **الاستغناء** ص: ١٣٠.

١٥- انظر **الفوائد**: ٣٢٨.

١٦- انظر **الاستغناء** ص: ١٤٥.

١٧- انظر **الفوائد**: ٣١١.

١٨- انظر **الاستغناء** ص: ٢١٧.

١٩- انظر **الفوائد**: ٣١٨.

٢٠- انظر **الاستغناء**: ٣٣٢.

٢١- انظر **الفوائد**: ٣٢٢.

٢٢- انظر **الاستغناء**: ٣٤١.

٢٣- انظر **الفوائد**: ٣٢٥.

٢٤- انظر **الاستغناء**: ٣٤٣.

٢٥- انظر **الفوائد**: ٣٢٥.

٢٦- انظر **الاستغناء**: ٧٣٠ - ٧٣١.

٢٧- الصفحة: (يح).

٢٨- الصفحة: ٧٣.

٢٩- صفحة: ٨٤.

٣٠- صفحة: ١٥٨.

٣١- صفحة: ٣٣٢.

٣٢- صفحة: ٧٢٦.

٣٣- **الفوائد والقواعد**: (و).

٣٤- **الفوائد والقواعد**: ٨٣٧.

٣٥- انظر مقدمة **شرح التصريف** ص:٧٤.

٣٦- **الفوائد والقواعد**: ١٨٣.

٣٧- انظر **نكت الهميان**: ١١٩، **وبغية الوعاة** ٤٥٤/١.

٣٨- انظر ترجمته في: **نزهة الألباء**: ٢٦٩، **ومعجم الأدباء** ٣٢/٢٠، **ووفيات الأعيان** ١٢٩/١.

٣٩- أخباره في: **معجم الأدباء** ٢٢٤/١١، **ونزهة الألباء**: ٢٦٨، **والبلغة**: ١٠٧، **وبغية الوعاة** ٥٩٥/١.

٤٠- **ذيل تاريخ بغداد** ٥٥/٥.

٤١- أخباره في: **معجم الأدباء** ٧٨/١٤، **وإنباه الرواة** ٢٩٧/٢، **وبغية الوعاة** ١٨١/٢.

٤٢- أخباره في: **نزهة الألباء**: ٢٦٥، **ووفيات الأعيان** ١٧٨/٣.

٤٣- أخباره في: معجم الأدباء ١٤٦/١٣، **وبغية الوعاة** ١٦٢/٢.

٤٤- أخباره في: **وفيات الأعيان** ١١٣/١، **وبغية الوعاة** ٣١٥/١.

٤٥- أخباره في: **لسان الميزان** ٧٢/٥.

معاني القرآن للفراء

الجزء الثاني بتحقيق محمد علي النجار

مصطفى عراقي حسن

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية التربية الأساسية - جامعة الكويت

إن كتاب معاني القرآن لأمير المؤمنين في النحو أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) من أجل الكتب المؤلفة في نحو النص القرآني ، حيث توجه مؤلفه - رحمه الله - إلى المعاني النحوية التي انتحاها القرآن الكريم، وهي وإن كانت مما عهدته العرب في كلامها وأنحاء تصرفها، فقد جاءت فيه على طرائق معجزة باهرة، أبدع الرجل في سبر شيء من أغوارها والكشف عن طرف من أسرارها، يعينه على ذلك خبرة واسعة بكلام العرب ، ودراية تامة بصور تأليفه .

وكان عظيماً أن يتولى نشر هذا الكتاب القيم علماء أفاضل ومحققون أجلاء حيث قام بتحقيق الجزء الأول أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار في حين قام الثاني بتحقيق الجزء الثاني ، أما الجزء الثالث فقام به عبدالفتاح شلبي .

لكن أسباباً حالت دون خروج الجزء الثاني من الكتاب محققاً التحقيق العلمي الدقيق الذي عهدناه في أعمال المحقق محمد علي النجار رحمه الله ، فجاء تحقيق هذا الجزء على صورة غريبة ، لم تسلم فيه الآيات القرآنية من أخطاء في الكتابة والعزو إلى سورها ، كما اضطرب تخريج القراءات القرآنية اضطراباً غير يسير، أضف إلى ذلك التحريف في كتابة الشواهد الشعرية وقوافيها وأسماء الأعلام ، والتصحيف في نص الكتاب ، والعديد من الأخطاء الإملائية . فوجب تصويب هذه الأخطاء التي شابت تحقيق هذا الجزء .

كذلك اتسم التحقيق بعدم الالتزام بتخريج الأحاديث وشواهد الشعر والرجز، وتفسير المصطلحات النحوية، فقدمت بعض الاستدراكات على ما فات المحقق من العناية بهذه الأمور .

وهذه التصويبات وتلك الاستدراكات لا تغني بحال عن إعادة تحقيق هذا الجزء على غرار ما حظي به الجزءان الأول والثالث والله الهادي إلى الصواب .

وقد حرصت على الرجوع إلى الكتب التي ينقل أصحابها عن الفراء لتصحيح أخطاء المتن، فكانت في مقام نسخ أخرى للكتاب، قومت من خلالها الكثير من هذه الأخطاء وكان من أهم هذه الكتب لسان العرب لابن منظور وخزانة الأدب للبغدادي .

وهذا أوان الشروع في بيان ما وقفت على بعضه من التنبيهات والاستدراكات :

- ص ٦ ، السطر ٩ : ضبط المحقق تَبيان (بفتح التاء) .

قلت : الأولى تِبْيان بكسر التاء ، ففي القاموس المحيط : التِّبيان (بالكسر ويفتح) مصدر شاذ ، وتعقبه الشارح فقال : حكاية الفتح غير معروفة إلا على رأي من يجيز القياس مع السماع، وهو رأي مرجوح. (تاج العروس ١٤٩/٩) .

- ص ٧ ، السطر ٦ : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ .

قال في الهامش : الآية ٩٣ من سورة الأنعام .

قلت : خطأ في كتابة الآية وعزوها ، والصواب : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥).

أما الذي في سورة الأنعام فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ٩٣) .

- ص ٨ ، السطر ١٠ : وسقوطها (الباء) جائز كذلك

كقولك في الكلام : بأحسن ما كانوا يعملون وأحسن ما كانوا يعملون .

تعقبه المحقق في الهامش بأن الأَوْلى : كقوله تعالى ؛ فإن الاستعمالين واردان في الكتاب العزيز فالأول في الآية ٩٦ سورة النحل، والثاني في الآية ٧ سورة العنكبوت.

قلت : بل صنيع الفراء الصواب ؛ لأن ما في سورة العنكبوت : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

– ص ٩، السطر الأول : حقُقت أو حُقِقت .

الصواب: حُقِقتُ أو حَقَتُ كما في اللسان مادة (حقق).

– ص ٩، السطر الثالث :

ولقد طعنــت أبا عيينة طعنـة

جرمت فزارة بعدها أن تغضبا

وقال في الهامش : هو أسماء بن الضريبة، وقوله تغضبا كذا في الأصول والرواية يغضبوا .

قلت : الصواب أبو أسماء بن الضريبة كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥٨/١، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١٣٤/٢، وخزانة الأدب للبغدادي ٣١٠/٤ – ٣١٤، ولسان العرب لابن منظور ٩٠/١٢، وكان الأولى بالمحقق أن يثبت في المتن الرواية الصحيحة (يغضبوا)، وهي الرواية التي نقلها في اللسان عن الفراء . وهي رواية سيبويه (الكتاب ٤٦٩/١) .

– ص ٩، السطر ٤ : وفزارة منصوبة في قول الفراء أي جرمتهم الطعنة أن يغضبوا .

قلت : العبارة مضطربة، والصواب ما نقله ابن منظور عن الفراء، قال : "وفزارة منصوب في البيت ، المعنى جرمتهم الطعنة الغضب أي كسبتهم" .

– ص ٩ ، السطر ٨ :

إن كلاباً والدي لا ذا جرم

لأهدرن اليوم هدراً صادقا

وقال المحقق (الهامش ٢): كذا في الأصول وهو لا يستقيم في الرجز المعروف عن العرب . وقد كتبها بعض الفضلاء هدراً في النعم لكني لم أقف على سنده .

قلت : بل له سند قوي حيث ورد في خزانة الأدب ٢٩٠/١٠، فكان الصحيح أن يثبته في المتن، حتى يستقيم الرجز قافيةً .

– ص ٩ ، السطر ٩ :

هدر المعنى ذي الشقاشيق اللهِم

قال في هامشه : واللهِم : الذي يلتهم كل شيء .

قلت : الصواب :

هدر المعنى ذي الشقاشيق اللَّهَمّ

كما في الخزانة ، ومعناه : الكثير الخير (القاموس المحيط) .

– ص ٩، السطر ١١ : أورد قول الشاعر :

أحقا عباد الله جرأة محلق

عليَّ وقد أعييتُ عاد وتبعا

بدون تخريج ، والبيت سبق في معاني القرآن للفراء في الجزء الأول : ٤٥٧ بنصب عاداً، وورد في خزانة الأدب ٢٨٥/١ .

– ص ١٢ ، هامش ٦ : هذا رجز بعده :

بالدون أمثال السفين العوم

قلت : بالدون خطأ، والصـــواب بالدوِّ أي الفـــلاة الواسعة ، لسان العرب ٢٧٦/١٤ .

– ص ١٥، السطر ٤ :

يا رب عابطنا لو كان يأملكم

لا قى مباعدة منكم وحرمانا

عابطنا بالعين المهملة، والصواب : غابطنا، وقد كتب لا قى كأنها كلمتان والصواب (لاقى) .

– ص ١٥، السطر ١١ : أورد :

وبلـد ليـس بـــه أنيـــس

إلا اليعـافير وإلا العـــيس

ولم يذكر قائله ، وهو لجران العود (ديوانه : ٥٣، ٥٢) بلفظ : بسابسا ليس به أنيس .

- ص ١٦ ، سطر ٧ : الجودي، وهو جبل بحضنَيْن من أرض الموصل .

وقال في الهامش (٧) كذا في (الأصوول)، ولم أقف عليه في البلدان وقد يكون بحصنين تثنية حصن لما يتحصن به وفي القاموس أن حصنين بلد وقلعة بوادي لية ، ولية في بلاد العرب وليس في الموصل ولم يعين البلد ولم أقف عليه .

قلت : هذا من غرائب التحقيق ، فالهامش مبني كله على خطأ في ضبط النص ، والصواب : وهو جبل بالحضين من أرض الموصل كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٣٥/٤) فما كان أغنى المحقق عن هذه الحيرة !

- ص ١٨، السطران ٣، ١: بن جحادة ، وبن حوسب. خطأ، والصواب كتابتهما ابن بالألف لأنهما في أول السطر .
- ص ٢٠، سطر ١٢ : خطأ في ترتيب الآيات فالآية ٦٣، حقها أن تكون بعد السطر ١٤ من صفحة ١٩ .
- ص ٢٠، السطر ١٥: يحيى ابن وثاب والصواب يحيى بن وثاب وهو إمام أهل الكوفة في القرآن توفي سنة ١٠٣ من الهجرة .
- ص ٢٤، السطر ١١ : وقوله من سجيل يقال : من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرجاء .

قلت : الصواب : بمنزلة الآجُر كما في البحر المحيط ٥٤٩/٥ وهو المناسب للسياق .

- ص ٢٦، السطر ٦ : أرَهَطي أعز عليكم .

خطأ في ضبط الآية، والصواب : أرَهْطي .

- ص ٢٨، سطر ١٤ : خطأ في ترقيم الهامش (٤) والصواب (٥) .
- ص ٣٧، هامش (١) : سبق ص ٣٢ في ١٨٧ من الجزء الأول . والصواب : سبق ١٨٧ .
- ص ٣٩ هامش (٢) : الآية ٢٩، سورة البقرة .

وهو خطأ طباعي ، والصواب : الآية ٢٢٩ .

- ص ٤٠، السطر ٩ : حدثني بن أبي يحيى وهو خطأ طباعي . والصواب : حدثني ابن أبي يحيى .
- ص ٤٤، هامش (١) : ينبغي أن يضاف : وسيأتي في الجزء الثالث ١٩٢ .
- ص ٤٦ : (ودعايَ إلا فرارا)

لم يخرج القراءة، وهي قراءة ابن كثير (انظر السبعة لابن مجاهد : ٢٥٦ .

- ص ٤٩ : هامش (٢ ، ٣) لا . الصواب حذفها .
- ص ٤٩ : (وإنا لجميع حاذرون) .
- قال في هامش (٨) : وهي قراءة عاصم ... وهشام .

قلت : الصواب أن الرواية اختلفت عن هشام فقد روى عنه الداجوني : "حاذرون" ، وروى عنه الحلواني : "حذرون" بحذف الألف (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٢٥/٢) .

- ص ٥٠ : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ .

قال في الهامش : الآية ١٠، والصواب الآية ١٥ .

- ص ٥٣، سطر ٦ : ويقرأ (سرِّق) لم يخرج القراءة في الهامش وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين والكسائي (البحر المحيط ٣٣٣/٥) .
- ص ٥٥، سطر ٦ : تفتدون ، والصواب تفندون .
- ص ٥٦ ، هامش (٤) : قرأ فتنجى غير ابن عامر .

قلت : الصواب : "فننجي" بنونين .

- ص ٥٧، السطر الأول : قوله : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ و (رسولُ الله) .

لم يخرج الآية، والآية من سورة الأحزاب : ٤٠، ورسولُ بالضم قراءة زيد بن علي وابن أبي عبلة . (البحر المحيط ٢٣٦/٧) .

- ص ٥٧، السطر ٥ : ترونها (٢) كتبت كأنها هامش، والصواب : ترونها [٢] .
- ص ٥٧، السطر ١٠ : أليأ (٣) والصواب أليأ (٢).
- ص ٥٧، السطر ١١: فيما يرى (٤)، والصواب: فيما يرى(٥).
- ص ٥٧، السطر ١٢ : تنكؤها (٥)، والصواب (٤).
- ص ٥٧، الهامش (٣ ، ٤) : خطأ في ترقيم الهامش والصواب : (٣) .

- ص ٥٧، هامش (٥) خطأ، والصواب (٤) .
- ص٥٩، وفي الحديث: إذا كان الشتاء قيظاً والولد غيظاً ...

قال في هامش (٤) : هذا حديث في أشراط الساعة . ولم يخرجه .

قلت : الحديث أخرجه البيهقي في البعث والنشور عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - وقال : "إسناده فيه ضعف إلا أن أكثر ألفاظه قد روي بأسانيد متفرقة"، والطبراني في الأوسط ١٢٧/٥ عن ابن مسعود، وقال الهيثمي : وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف (مجمع الزوائد : ٣٢٣/٧)، وعده ابن القيم من الموضوعات فقال : "ومنها أحاديث ذم الأولاد كلها كذب من أولها إلى آخرها كحديث : "إذا كان الولد غيظاً والمطر قيظاً" (نقد المنقول ٩٧/١) ورواه ابن أبي الدنيا في العزلة عن أبي هريرة قال : إذا كان الشتاء قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً فشويهات عفر بجبل خير من ملك بني النضير . (كنز العمال ٨٧٢١/٣) .

- ص ٥٩ ، السطر الأول : وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أن عم الرجل صنو أبيه، ولم يخرجه .

والحديث رواه أحمد في مسنده ٩٤/١ عن علي رضي الله بلفظ : أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه . ومسلم (كتاب الزكاة ، باب في تقديم الزكاة) عن أبي هريرة بلفظ : أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه . وأبو داود (كتاب الزكاة ، باب في تعجيل الزكاة) ، والترمذي (كتاب المناقب ، باب مناقب العباس) بلفظ : فإنما عم الرجل صنو أبيه . وقال : حديث حسن صحيح .

- ص ٦١، سطر ١٢ : قوله أم هل تستوي الظلمات والنور (١٦) .

قال في الهامش : هي قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف .

قلت : وقع المحقق في خطأ بيّن في عزو القراءة، والصواب : أنها قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص ، أما قراءة "يستوي" فهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه وقرأ بها حمزة والكسائي (السبعة لابن مجاهد : ٣٥٨) .

- ص ٦٢، سطر ١٤ : ينبغي حذف رقم (٢٧) لأن الآية هنا للاستشهاد لا للتفسير .
- ص ٦٢، سطر ١٥ : (٢٧) الصواب : (٢٦) .
- ص ٦٢، هامش (١) : جف الوادي له : رميه وإياه، والصواب : جفء .
- ص ٦٢، هامش (٢) : القماش ما يجمع من هنا وهناك وهامش (٣) : الدقاق فتات كل شيء .

قلت : هذان التفسيران لا يتناسبان مع السياق بل المقصود بهما هنا اسم المصدر بمعنى القمش والدق . كما في المتن .

- ص ٦٣، سطر ١٠ : قال الشاعر :

وأقسم لو شيء أتانا رسوله

سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

لم يوثق البيت وهو لامرئ القيس، ديوانه : ٣١ بلفظ : وجدك .

- ص ٦٥، سطر ١٣ : (أنا صببنا الماء) .

قال في هامش (٤) : وكسر إنا قراءة غير عاصم وحمزة والكسائي وخلف، والفتح قراءة هؤلاء .

قلت : يضاف إليه ، وأما رويس فيقرأ بالفتح وصلا وبالكسر ابتداءً، وانفرد ابن مهران عن هبة الله عن التمار عنه بالكسر في الحالين (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٩٨/٢ .

- ص٦٧: إلى صراط العزيز الحميد (١) الله الذي (٢).

قال في الهامش : الرفع قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر ، والخفض قراءة غيرهم .

قلت : يضاف إليه : وصلا وابتداءً ورويس يرفعها في الابتداء ويخفضها في الوصل . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٩٨/٢) .

- ص ٦٨ ، السطر الأول : قوله : ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ . لم يخرجها، وهي الآية ١٥ من سورة التوبة.
- ص ٧٠، هامش (١) : وأفاد أن الشاعر من سنبص خطأ طباعي، والصواب : سنبس بالسين كما فسرها بعد ؛

فقال : سِنْبِسُ ، بالكسر حي من طيئ ينسب إلى ابن معاوية بن جَرْوَل (القاموس المحيط : سنبس) .

– ص ٧٢، هامش (٣) صورة خطأ ، والصواب سورة .

– ص ٧٣ ، سطر ١١ : فالحلم منصوب بالإلقاء ، خطأ . والصواب : فالحلم منصوب بالإلغاء . قال عبدالسلام هارون : أي عامله ألغي على نية تكرار العامل في البدل . (انظر : خزانة الأدب ١٩٢ : ٥) .

– ص ٧٥، سطر ٣ : عرا، والصواب عرى .

– ص ٧٥، سطر ٤ : لأنه نعت لذوي .

قلت : الصواب لأنه توكيد لذوي ، كما في الخزانة ٥ : ٩٣ .

– ص ٧٦، سطر ٥ : كما قلتَ . خطأ . والصواب : كما قلتُ على ما جاء في الخزانة نقلاً عن الفراء ٤ : ٤٣٢، ٤٣٣ .

– ص ٧٦، سطر ١٣ : [٢٧] خطأ في ترقيم الآية والصواب : [٢٦] .

– ص ٧٧، سطر ٤ : [٢٩] خطأ في ترقيم الآية . والصواب : [٢٧] .

– ص ٧٨ : (وأجنبني وبني) . قال في الهامش : في الكشاف أنه قرئ بها .

قلت : لم يذكر من قرأ بها ، وهي قراءة الجحدري، وعيسى الثقفي وأبي الهجهاج (المحتسب ١ : ٣٦٣، والبحر المحيط ٥ : ٤٣١) .

– ص ٨٠، السطر الأخير : "وكناحت يوما صخرة" .

لم يوثقه، والصواب و "كناحتٍ يوماً صخرةٍ" .

وهي جزء من بيت ، وتمامه :

فرشني بخير لا أكونَنْ ومدحتي

كناحتٍ يوماً صخرةٍ بعسيلِ

(رسالة الصاهل والشاحج ٤٧٣)، وفي اللسان نقلاً عن الفراء بلفظ : لا أكون . (لسان العرب ١١ : ٤٤٤) .

– ص ٨١، سطر ٩ : أنهم يؤثرون النصب إذا حالوا بين الفعل المضاف بصفة .

قلت : هذا خطأ ظاهر، والصواب إذا حالوا بين الفعل والمضاف بصفة . كما في الخزانة ٨ : ٢١١ .

– ص٨٢، سطر ٩: ترقيم الآية [٤] خطأ . والصواب [٢] .

– ص ٨٥، سطر ٢ : ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ﴾ ، لم يرقم الآية ورقمها : [٧] .

– ص ٨٥ ، سطر ١٣ : قال الشاعر :

أيطمع فينا من أراق دماءنا

ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسم

قلت : خطأ في القافية ، والصواب :

أيطمع فينا من أراق دماءنا

ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسَن

كما في الخزانة ٥ : ٣٤٢ ، ويقول عبدالسلام هارون : أي يا حسن ، يعني الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقبله كما في العيني :

معاوي إني لم أبايعْك فلتةً

وما زال ما أسررت مني كما علنْ

– ص ٨٦، سطر ٢ : سقط ترقيم الآية [١٥] .

– ص ٨٦، سطر ٩ : لكمُ ، والصواب : لكمْ

– ص ٨٦ ، السطر الأخير : المحرْق والصواب المحرقِ .

– ص ٨٨، سطر ٤ : حديث : "إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول" .

لم يخرجه المحقق ، والحديث رواه بهذا اللفظ أبو داود (كتاب الصلاة، باب تسوية الصف) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ٢٤) .

– ص٩١، سطر ١: إن في ذلك لآيات للمتوسمين [٨٥] .

خطأ في ترقم الآية . والصواب : [٧٥] .

– سطر ١٠ : تنحتون ، والصواب ينحتون قال تعالى : ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ .

– ص ٩٥، سطر ١١ :

قد علقت أم الخيار تدعى

عليَّ ذنباً كله لم أصنع

لم ينسب الرجز لقائله وهو مطلع أرجوزة لأبي النجم العجلي : ديوانه : ١٥٠ بلفظ قد أصبحت ، وانظر الكتاب ٤٤/١ ، والخزانة ١: ٣٥٩ .

– ص ٩٦، هامش (١) : الهزة خطأ ، والصواب الهمزة .

– ص ٩٧، هامش (٤) : الآية ٩ من سورة الصافات، يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ﴾

وهو خطأ، والصواب أنها الآية ٧ .

- ص ٩٨، سطر ١١ : وقوله أموات غير أحياء . الصواب أمواتٌ بالتنوين .

- صفحة ٩٩، سطر ٨ : ٣٨ خطأ في ترقيم الآية . والصواب : ٣٧ .

- ص ٩٩ ، سطر ٨ : فإن الله لا يهدي من يضل . قرأها أصحاب عبدالله يهْدي .

قلت : خطأ في الضبط ، والصواب : يهِدِّي بتشديد الدال ، (بفتح الياء وكسر الهاء والدال) وتشديدها وأصله يهتدي فأدغم .

وقال في هامش (٢) : هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف كما في الإتحاف .

قلت : هذا التخريج غير متسق مع ما في المتن . فالذي في الإتحاف (٢ : ١٨٤ قراءة (يهْدِي) بفتح الياء وكسر الدال . أما قراءة (يهِدِّي) بالتشديد فقد قرأ بها فرقة منهم عبدالله وأصله يهتدي ، فأدغم كقولك في يختصم : يخِصِّم (البحر المحيط ٥/٤٩٠).

- ص ٩٩، سطر ٩ : يهْدي خطأ والصواب : يهِدِّي .

- ص ١٠٤، سطر ٢ : ودل على أنه مترجم .

لم يفسر المحقق المصطلح في الهامش، والسياق يدل على أن الفراء يريد به هنا التمييز، إذ يقول الله دره رجلاً. فالرجل مترجِم لما قبله وليس بحال .

وبهذا يتبين لك عدم دقة من يطلق أن المترجم عند الكوفيين يراد به البدل فحسب، كما ظن شوقي ضيف في المدارس النحوية ١٦٦، ومهدي المخزومي في مدرسة الكوفة ٣١٠، وصاحبا معجم الخليل في مصطلحات النحو ١٤٣، بل يراد به التمييز أيضاً .

- ص ١٠٦، قال الشاعر - وهو جران العود - :

لقد كان بي عن ضرتين عدمتني

وعما ألاقي منهما متزحزح

هي الغول والسعلاة حلقي منهما

مخدش ما فوق التراقي مكدح

لم يصحح المحقق البيتين ولم يوثقهما، والبيت الأول في المفصل للزمخشري ٧/٨٨ ، ولفظه :

لقد كان لي عن ضرتين عدمتني

وعما ألاقي منهما متزحزح

وذكر الشارح البيت الثاني بلفظه :

هما الغول والسعلاة حلقي منهما

مخدش ما بين التراقي مكدح

شرح المفصل ٧/٨٩ .

- ص ١٠٦ ، هامش (٣) : سورة المراسلات خطأ طباعي واضح ، وصوابه : المرسلات .

- ص ١١١: سقط ترقيم الآية ورقمها ٧٦ .

- ص ١١٣، السطر الأول : ويقال إنها ريطة .

لم يعرف بها المحقق واختلف في المراد بالتي نقضت غزلها على قولين : الأول أنها معينة واختلفوا في تحديد اسمها، قال القرطبي : تسمى ريطة بنت عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه .

والقول الثاني : أن المراد بالمثل الوصف دون التعيين . انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧١، وابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ٤/٤٨٥ .

- ص ١١٤، السطر الأول : بن خطأ والصواب : ابن .

- سطر ١٣ : أمة قانتًا : مَعْلَمًا للخير، والصواب مُعلِّمًا للخير بصيغة اسم الفاعل يدل على ذلك ما رواه عبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه ، عن ابن مسعود أنه سئل : ما الأُمَّة ؟ قال : الذي يعلم الناس الخير (الدر المنثور ٥/١٧٦) .

- سطر ١٥: فلا تعلموا ، خطأ والصواب : فلا تعملوا.

- ص ١١٥، سطر ٢: لما مثل المشركون بحمزة ... الحديث.

لم يخرجه . والحديث رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وقال ابن كثير : إسناده فيه ضعف . وقال الحافظ في الفتح : وروى البزار والطبراني بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة الحديث ... وعند ابن مردويه من طريق مقسم عن ابن عباس نحو حديث أبي هريرة باختصار . وقال في

آخره "فقال : بل نصبر يا ربّ" وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً . فتح الباري (٣٧٢/٧) .

- سطر ٦ : سقط ترقيم الآية : ١٢٧ .

- سطر ٦ : فالضيق ما ضاق عنه صدرك، والضَّيق ما يكون في الذي يتسع .

قلت : الضبط بالشكل لا يناسب الشرح، والصواب : فالضَّيْق : ما ضاق عنه صدرك والضِّيق : ما يكون في الذي يضيق ويتسع . وانظر : زاد المسير ٥٠٩/٤ .

كذلك لم يخرج قراءات الآية . وقد قرأها ابن كثير بكسر الضاد وقرأ الباقون بفتحها . ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ٣٠٥/٢ .

- سطر ١٤ : سقط ترقيم الآية ١ .

- ص ١١٦، سطر ١٢ : سقط ترقيم الآية ٥ ، وفي صفحة ١١٧ : سقط ترقيم الآية ١٠ .

- ص ١١٨، هامش (٦) : وكذا قرأها أكثر المفسرين ، الصواب : أكثر القراء .

- سطر ١٤ : وقرأ أبو جعفر المدني : (ويُخرِج .... له كتاباً) معناه : ويُخرج له عمله كتاباً .

قلت : هذا خطأ بين في ضبط القراءة ، والصواب : و(يُخْرَجُ) بصيغة البناء للمفعول كما في النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ ، وكذلك في الإتحاف الذي يرجع إليه المحقق كثيراً : فأبو جعفر : بالياء المثناة من تحت مضمومة، وفتح الراء ، مبنياً للمفعول ونائب الفاعل ضمير (الطائر) . انظر : الإتحاف (١٩٤/٢) وقد قرأ بها أيضاً : ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٢٩/١٠، وشيبة وابن السميفع : (الشوكاني : فتح القدير ٢١٣/٣) .

- ص ١٢١، سطر ٣ : فخفضوه كما تخفض الأصوات .

قلت : يضاف بعدها : ونونوه . كما في اللسان ٦/٩ نقلاً عن الفراء .

- سطر ٥ : (بغ) خطأ ، والصواب : (تغ) كما في اللسان ، وهي حكاية صوت الضحك .

- هامش (١) : في الأصول فخفض ، والمناسب ما أثبت .

قلت : بل ما في الأصول الصواب وهو موافق لما في اللسان ٢٢٣/٧ .

- ص ١٢٢ ، سطر ٥ : لم يخرج قراءة (الذِّلَّ) وهي قراءة ابن عباس وعروة بن الزبير (ابن جني : المحتسب ١٨/٢) .

- ص ١٢٣ هامش (١) : المنسوب إلى الحسن في الإتحاف فتح الخاء وسكون الطاء .

قلت: بل الصواب ما في المتن . انظر: المحتسب ١٩/٢.

- هامش (٣) : لم يخرج القراءتين : أثري وإثّري، وقد روى رويس بكسر الهمزة وإسكان الثاء وقرأ الباقون بفتحها (النشر في القراءات العشر : ٣٢١/٢) ، وقرأ عيسى ويعقوب وعبدالوارث عن أبي عمرو وزيد ابن علي رضي الله تعالى عنهما على (إثْري) بكسر الهمزة وسكون الثاء وحكي الكسائي (أثْري) بضم الهمزة وسكون الثاء . (البحر المحيط ٢٦٧/٦) .

- ص ١٢٥، سطر ٥ : سقط ترقيم الآية ٤٩ .

- ص ١٢٧، سطر ٨ : (يَدْعو) الصواب (يُدْعو) كما في المحتسب ٢٢/٢ ، وقال : هذا على لغة من أبدل الألف في الوصل واواً .

- ص ١٢٨، السطر ١٤ : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة حسدته اليهود ... الحديث، لم يخرجه المحقق .

قلت : الحديث في الروض الأنف للسهيلي (٢٩٣/٤)، وقال السيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر، عن عبدالرحمن بن غنم رضي الله عنه : أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : "إن كنت نبياً فالحق بالشام ، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا فغزا تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ... ﴾ الآية . الدر المنثور ٣٢٠/٥ وقال الحافظ في الفتح : الحديث حسن مع كونه مرسلاً : فتح الباري ١١٢/٨ .

- ص ١٣٠، سطر ٢ : تجمعون ، الصواب يجمعون .
- سطر ٨ : الصواب ابن الزبير .
- ص ١٣٣ : وأما (فرقناه) .

قال في الهامش : وقرأ بالتشديد ابن محيصن .

قلت : وهي قراءة علي وابن عباس وابن مسعود وأبي والشعبي والحسن - بخلاف - وأبي رجاء، وقتادة وحميد وعمرو بن فائد وعمر بن ذر وأبي عمرو - بخلاف - وقال تفسيره : فصلناه ، ونزلناه شيئاً بعد شيء (ابن جني : المحتسب ٢/٢٣) .

- سطر ١٠ : سقط ترقيم الآية ١، وفي سطر ١٢ : سقط ترقيم الآية ٢، وفي سطر ١٥: سقط ترقيم الآية ٥ .
- ص ١٣٤ : كبرت كلمة ... ورفعها الحسن وبعض أهل المدينة .

قال في الهامش : وقد نسبت هذه القراءة إلى ابن محيصن .

قلت : وقرأ بها يحيى بن يعمر ، والحسن ، وأبن أبي إسحاق، والثقفي، والأعرج - بخلاف - وعمرو بن عبيد (ابن جني : المحتسب ٢/٢٤) .

- سطر ٩ : قول الشاعر :

أتجزع أن بان الخليط المودع

وحبل الصفا من عزة المتقطع

قلت : هو في خزانة الأدب ٩ : ٨٠ .

- ص ١٣٦ (من أمركم مرفقًا) كسر الميم الأعمش والحسن ، ونصبها أهل المدينة وعاصم .

قال في الهامش : وقد نسب الفراء الفتح إلى عاصم فكأنه في بعض الروايات عنه .

قلت : هذه توجيه طيب لكلام الفراء ، وهذا الذي يذكره المحقق احتمالاً، ثابت عن الكسائي عن أبي بكر عن عاصم : مَرْفِقاً بفتح الميم وكسر الفاء . كما في الحجة لأبي علي الفارسي ٥/١٣٠ .

- سطر ١٤ : وقرئت (تزَّاور) .

قال في الهامش : قرأ (تزوار) ابن عامر، ويعقوب ، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (تزَوار) بتخفيف الزاي .

قلت : الصواب : قرأ ابن عامر ويعقوب (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف مثل تحمرّ، وقرأ الكوفيون (تزاور) بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزايّ . كما في النشر ٢/٣١٠ .

- ص ١٤٠، سطر ٤ : عيينة ابن حصن، والصواب عيينة ابن حصن ، وهو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري . (الإصابة في التمييز بين الصحابة لابن حجر ٧/٣٥٦) .
- سطر ٨ :

إن الخليفة إن الله سربله

سربال ملك بها تزجى الخواتيم

الصواب : به تزجى الخواتيم ، ولم يخرج البيت وهو لجرير ديوانه : ٥٢٧، واللسان ١٢/١٦٣ ، وقال البغدادي : لكن الذي رأيته في ديوانه بنسخة صحيحة قديمة : يكفي الخليفة . (خزانة الأدب ١٠/٣٦٤) .

- ص ١٤٢، سطر ١٠ : الصواب وقد تفرد العرب إحدى كلتي بالإمالة وهم يذهبون بإفرادها إلى اثنينيّتها . كما في خزانة الأدب ١/١٣٣ .
- سطر ١١ : الصواب : يعني الظليم يريد بكلت كلتى . كما في خزانة الأدب ١/١٣٣ .
- ص ١٤٣، السطر ١٥ وهي قراءة عبدالله :

* كل الجنتين أتى أكله * .

كتبها كما يكتب الشعر والرجز، وهذا خطأ بيّن .

- ص ١٤٦، سطر ٦ : ولا تَجْهَدنُهُ ، الصواب : ولا تُجْهِدَنْهُ .
- ص ١٤٧، السطر الأول : ولو قرئت ولم نغْدِر كان صواباً . قال في الهامش : وفي أ "و" لم نغدر جائزة لو قرئت .

قلت ما في (أ) أولى بالإثبات في المتن لأن القراءة بالفاء لا الواو، وهي قراءة الضحاك بضم النون وسكون الغين وكسر الدال . (البحر المحيط ٦/١٣٤) .

- سطر ٦ : خرج عن ، الصواب خرج من ليناسب

السياق، وهو ما ورد في نسخة (أ) كما ذكر المحقق هامش (٣) فكان أولى أن يثبته في المتن .

– ص ١٤٩ : هامش ٥ : للأديم ، الصواب للأديم .

– هامش (٤، ٥) لأبي بكر ، والصواب : لعاصم في رواية أبي بكر . انظر السبعة لابن مجاهد : ٤٤٥ .

– ص ١٥٣ : سطر ٢ : مستضرَبٌ ومستضربٌ والصواب مستضرَبٌ ومستضْرِبٌ بفتح الراء وكسرها .

– ص ١٥٤، سطر ١٣ : سقط ترقيم الآية ٦٣ .

– هامش ٦ : الآية ٢٢٠ سورة الرحمن . الصواب : الآية رقم ٢٢ .

– ص ١٥٦، سطر ٩ : وقد ذكرت ينقاض .

قلت : هي قراءة أبي بن كعب ، وأبي رجاء : ينقاض بألف ممدودة، وضاد معجمة؛ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية ، وأبو عثمان النهدي : ينقاص بألف ومدة وصاد غير معجمة، وكله بلا تشديد . قال الزجاج : فمعنى : ينقض : يسقط بسرعة، وينقاص، غير معجمة، ينشق طولاً، يقال : انقاضت سنة : إذا انشقت . قال ابن مقسم : انقاصت سنه وانقاضت – بالصاد والضاد – على معنى واحد . (زاد المسير ١٧٦/٥ . والمحتسب ٣١/٢) .

– هامش (٩) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب .

قلت : غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال وابن كثير يظهرها . (زاد المسير ١٧٦/٥) .

– ص ١٥٨، السطر الأول : (واتبع) (٢) خطأ في ترقيم الهامش ترتب عليه خطأ في تخريج القراءة ، والصواب وضع رقم ٢ في السطر السادس بعد (حمئةٌ) .

– ص ١٥٩، سطر ٣ : وقوله جزاءُ الحسنى مضاف.

قلت : فيه تناقض لأن التنوين لا يجتمع مع الإضافة، والصواب : جزاء الحسنى (برفع جزاء وعدم التنوين) .

– ص ١٦١، سطر ٦ : زكريا (١) خطأ في الترقيم والصواب (٢) .

– هامش ٥ : لم يخرج قراءة "خفَّت الموالي" .

قلت : قرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاص وابن يعمر وابن جبير وعليّ بن الحسين وولده محمد وزيد وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم لأبي عامر (خَفَّتِ) بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر تاء التأنيث . (البحر المحيط ١٧٤/٦) .

– ص ١٦٢، سطر ١١ : سقط ترقيم الآية (٨) .

– سطر ١٥ : أفلا يرون إن لا يرجع إليهم قولاً، بكسر همزة (إن) والصواب : (أن) بالفتح .

– هامش ٨ : لم يخرج الآية وهي في سورة طه : ٨٩ .

– ص ١٦٧، سطر ٩ خطأ في ترتيب السطور ومكانه بعد سطر ١٢ .

– ص ١٧٠، سطر ٣ : ذكر أن إدريس كان حبب إلى ملك الموت ... .

لم يخرجه والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤١/٦) عن ابن عباس ، قال الهيثمي : وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي وهو متروك . مجمع الزوائد : ٢٠٠/٨ ، وقال الحافظ في الفتح : كون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقد روى الطبري أن كعباً قال لابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ أن إدريس سأل صديقاً له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت .. وهذه من الإسرائيليات، والله أعلم بصحة ذلك . فتح الباري ٢٧٥/٦ ، وانظر جامع البيان ٩٦/١٦ .

– سطر ٩ : سقط ترقيم الآية (٥٩) .

– ص ١٧١، سطر ٩ : وقد قرأ بعضهم (وزِيًا) .

لم يخرج القراءة، وهي قراءة سعيد بن جبير ويزيد البربري والأعسم المكي . (ابن جني : المحتسب ٤٤/٢) .

– سطر ١٣ : ونرَثُهُ ، والصواب : ونرِثُهُ .

– ص ١٧٢، سطر ١٤ : اختلاف في ترتيب الفقرات وحقها أن تكون في صفحة ١٧١ قبل السطر ١٣ .

– ص ١٧٣، سطر ١١ : ولو قلت : آتِ الرحمن عبداً كان صواباً ولم أسمعه من قارئ .

لم يشر في الهامش إلى من قرأ به، وقد قرأ به

عبدالله ، وابن الزبير، وأبو حيوة ، وطلحة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ويعقوب : أتٍ بالتنوين . البحر المحيط ٢٢٠/٦ .

– ص ١٧٤، سطر ٦ : (١١) خطأ في ترقيم الآية والصواب (١) .

– سطر ١٠ : قرأها أبو عمرو بن العلاء : "طاهي" .

قلت : وهي رواية عن قالون وورش بتفخيم الطاء وإمالة الهاء ، انظر : تحبير التيسير : ١٣٩ .

– ص ١٧٥، سطر ٨ : فأجرو ، والصواب فأجروا .

– ص ١٧٦، سطر ٧ :

أطوف ما أطوف ثم آوي

إلى أما ويرويني النقيع(!)

قلت : أخطأ في ضبط البيت ولم يخرجه والصواب : النقيعُ (بالضم)، والبيت لنقيع ابن جرموز بن عبد شمس كما في النوادر لأبي زيد ١٨٠، وبلا نسبة في شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٢/٣ .

– ص ١٧٦، سطر ١٣ : (أخفيها) خطأ، والصواب (أخفيها) على ما في المحتسب ٤٧/٢ .

– ص ١٧٩، سطر ٣ : سقط ترقيم الآية (٣٩) .

– سطر ١١ : لم يعز الآيتين ٤٥، ٤٦ من سورة يوسف .

– ص ١٨٠، السطر الأول : (٣٤) خطأ في ترقيم الآية، والصواب (٤٤) .

– سطر ٢ : كنِّياه خطأ ، والصواب : كنِّياه بصيغة الأمر .

– ص ١٩٤، السطر ١٤ : "ثم اجتباه ربه" .

الصواب : ربه ، وقال في الهامش : الآية (١٢٩) سورة الأعراف . قلت : خطأ بيّن في عزو الآية ، فهي من سورة طه، وليس لآية سورة الأعراف بالسياق أدنى صلة .

– ص ١٩٥، هامش (٦): الآية ٥ خطأ، والصواب : ٤ .

– ص ١٩٦، سطر ٤ : لم يخرج قراءة لعلك تُرضى، بضم التاء للبناء للمفعول . وهي قراءة أبي حيوة، وطلحة، والكسائي . النشر في القراءات العشر (٣٢٢/٢) .

– ص ١٩٨، هامش ٩ : الآية (٧١) سورة الأنعام خطأ ، والصواب : سورة المائدة .

– ص ٢٠٠، سطر ١٣ : كانٍ ، الصواب : كانَ .

– ص ٢٠١، سطر ١ : (سبحانه عباد) خطأ، والصواب : سبحانه بل عبادٌ .

– سطر ٤ : (مهما جعلناهم) خطأ، والصواب : وما جعلناهم .

– ص ٢٠٥، سطر ١٢ : وقرأ مجاهد (أتينا بها) .

قلت : وهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد وابن سريج الأصبهاني (المحتسب ٦٣/٢) .

– هامش ٧ : وقد قرأ بالرفع نافع وأبو جعفر . وقرأ الباقون بالنصب .

قلت : هذا الهامش لا يناسب المتن فقد توجه المحقق إلى كلمة (نظرة) ولكن الشاهد في كلمة ذو، وهي قراءة الجمهور بالرفع على أن (كان) تامة، وقرأ أُبيّ، وابن مسعود، وعثمان، وابن عباس : ذا عشرة . البحر المحيط ٣٤٠/٢ ، وسبقت في الجزء الأول : ١٨٦ من معاني القرآن للفراء .

– ص ٢١٠، سطر ١٣ : وقد رفع الحسن (أمتكم أمةً واحدةً) .

قلت : وهي قراءة ابن أبي إسحاق والأشهب ورويث عن أبي عمرو . (المحتسب ٦٥/٢) .

– ص ٢١١، السطر الأول : قراءة أبيّ فيما أعلم (إنها لأحدى الكبر نذيرٌ للبشر) .

قلت : وهي قراءة ابن أبي عبلة (البحر المحيط ٣٧٩/٨) .

– سطر ٦ : (وحرام) قال في هامشه : وهي قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي ... .

قلت : اكتفى المحقق هنا بما في الإتحاف . وزاد في البحر المحيط : ٣٣٨/٦ ، طلحة وأبا حنيفة وأبا عمرو، وفي القرطبي ٣٤٠/١١ أنها رويت عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم .

– هامش ٣ : وهي قراءة أبي بكر .

الصواب : قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه . (السبعة لابن مجاهد : ٤٣١) .

- سطر ١١ : وفي قراءة عبدالله : (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) .

قلت : الصواب : (فلما جهزهم بجهازهم وجعل) : لأنه يتحدث هنا عن قراءة عبدالله وهي بالواو على حذف جواب لما . (الكشاف ٢ / ٤٩٠) .

- ص ٢١٢، سطر ١٢ : لم يوثق القراءات، وهي في المحتسب ٩٦/٢ .

- ص ٢١٥، سطر ١٠ : (وتَرى الناسَ) خطأ في الضبط، والصواب (وتُرى الناسُ) برفع الناس وهي قراءة الزعفراني المتسقة مع المتن . أما قراءة (الناسَ) بالنصب فغير متسقة مع كلام الفراء . وبهذا تستغني عن الهامش التالي : هامش ٦ : كذا وكأن الصواب أريت .. قلت : بل المتن الصواب .

- ص ٢١٦، سطر ٦ : ولأدرأتكم ، تصحيف والصواب : (ولا أدرأتكم به) فهذه هي قراءة الحسن التي أوردها الفراء وبها قرأ ابن عباس وابن سيرين . (المحتسب ٣٠٩/١) .

- سطر ٧، ٨ : ربأت . هي قراءة أبي جعفر كما في المحتسب ٧٤/٢ .

- ص ٢١٧ ، سطر ٣ : خاسر الدنيا .

لم يوثقها وقد قرأ بها مجاهد وحميد بن قيس . (المحتسب ٧٥/٢) .

- سطر ٦ : تعقب أبو حيان الفراءَ في ذهابه إلى أن اللام دخلت في غير موضعها ورأى مذهبه بعيداً ؛ لأن ما في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول . (انظر : البحر المحيط ٣٥٧/٦) .

- ص ٢٢٢، السطر الأول : (سواء محياهم ومماتهم).

لم يخرج القراءات وهي : سواءً : قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف، وسواءٌ بالرفع قراءة الباقين . انظر النشر في القراءات العشر : ٣٧٢/٢ .

- ص ٢٢٣، سطر ٥ : وقد قرأ بعض القراء : (ومن تَرد) بالتاء .

قلت : الصواب (ومن يَرِدْ) بالياء، قال أبو حيان : وقرأت فرقة يرد بفتح الياء من الورود وحكاها الكسائي والفراء ومعناه ومن أتى به بإلحاد ظالماً . البحر المحيط ٣٦٣/٦ .

- ص ٢٢٤، سطر ٢ : قرئت يأتون .

لم يوثقها وهي قراءة عبدالله وأصحابه والضحاك وابن أبي عبلة، غلَّب العقلاء الذكور في البداءة برجال تفضيلاً للمشاة إلى الحج (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٣٩/١٢ . والبحر المحيط ٣٦٤/٦ . والشوكاني : فتح القدير ٤٤٨/٣) .

- سطر ١٣ : ثم ليقضوا .

لم يوثق قراءاتها، وقد قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس بكسر اللام فيهما وافقهم قنبل في (ليقضوا) وانفرد ابن مهران بكسر اللام فيهما عن روح وكذلك انفرد فيهما البخاري عن أصحابه عن الهاشمي عن ابن جماز عن أبي جعفر فخالفا سائر الناس في ذلك . وقرأ الباقون بإسكان اللام فيهما (النشر في القراءات العشر : ٣٦٢/٢) .

- سطر ١٥ : (والمقيمي الصلاة) لم يوثق القراءة ، وهي قراءة أبي إسحاق والحسن (المحتسب : ٨٠/٢) .

- ص ٢٢٦ : لم يوثق القراءة ، وهي في المحتسب ٨١/٢ .

- ص ٢٢٧ ، سطر ٦ : يَدَافع ، الصواب : يُدافع .

ولم يخرج قراءة (ولولا دفاع) ، وقد قرأ بها الحسن وأبو جعفر ونافع (البحر المحيط ٣٧٣/٦ ، وانظر : السبعة : ٤٣٧) .

- ص ٢٢٨، سطر ٦ : الآية ٤٧ ترتيبها بعد ٤٦ .

- سطر ٩ : قراءة عبدالله (فإنه لا تعمى) .

قلت : قال أبو حيان : ويجوز في الكلام التذكير وقرأ به عبدالله : فإنه لا تعمى (البحر المحيط : ٣٧٨/٦) .

- ص ٢٣٢، السطر الأخير : وقرأ الحسن : تُنْبِتُ بالدهن .

قلت : ذكر ابن جني قراءة أخرى هي : تُنْبَتُ، بالبناء للمجهول . (المحتسب ٨٨/٢) .

- ص ٢٣٣، سطر ٤ : وفي قراءة عبدالله (تُخْرِجُ الدهن) خطأ في الضبط والصواب : (تَخْرُجُ بالدهن)

كما في المحتسب : ٨٨/٢ .

- السطر الأخير : (وحورٌ عينٌ) .

قال في هامش ٩ : والرفع قراءة حمزة والكسائي وأبي جعفر وقرأ الباقون بالجر .

قلت : ينبغي أن يقال للمحقق هنا : اقلب تصب ؛ فالذي قرأ بالرفع (وحورٌ عينٌ) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم . أما حمزة والكسائي فقرأ بخفضهما (وحورٍ عينٍ) . انظر السبعة لابن مجاهد : ٦٢٢، والبحر المحيط : ٢٠٦/٨، والنشر : ٣٨٣/٢ .

- ص ٢٣٧، سطر ٣ : بن ، الصواب : ابن .

- ص ٢٣٨ ، سطر ٣ : سقط ترقيم الآية ٥٤ .

- ص ٢٣٩، سطر ٤ : تنكُصون ٦٦ .

خطأ في ضبط الآية، والصواب : تنكِصون، أما تنكُصون بالضم فقراءة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - البحر المحيط : ٤١٢/٦ .

- ص ٢٤٢، هامش ٢ : الآية ١٠٦ سورة المؤمنون .

قلت : ينبغي حذف هذا الهامش لأن الآية واردة للتفسير وليس للاستشهاد .

- ص ٢٤٤، سطر ٩ : منهما (٦) خطأ في ترقيم الهامش . والصواب وضعه في سطر ٨ على كلمة : التشديد .

- سطر ٩ : سقط ترقيم الآية ٢ .

- السطر الأخير : الزانيةَ .

لم يخرج قراءة النصب ، وهي قراءة عيسى الثقفي (المحتسب ١٠٠/٢) وقرأ بها يحيى بن يعمر وعمرو ابن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس (البحر المحيط ٤٢٧/٦) .

- ص ٢٤٥، السطر الأول : وهي في قراءة عبدالله محذوفة الياء (الزانِ) .

لم يخرج القراءة وقد نسبها في البحر المحيط إلى عبدالله أيضاً .

- سطر ١١: سقط ترقيم الآية ٣ .

- هامش ٣ : الآية ٤ سورة النور .

ينبغي أن يكتب الرقم في المتن لأنها واردة للتفسير لا للاستشهاد .

- ص ٢٤٦، سطر ٤ : حديث عاصم بن عدي، قال يا رسول الله ﷺ إن دخل أحدنا فرأى ... الحديث .

لم يخرجه المحقق . وقد رواه أحمد في مسنده (حديث أبي مالك سهل بن سعد) والبخاري (كتاب الطلاق، قول النبي ﷺ لو كنت راجماً) ومسلم (كتاب اللعان) عن ابن عباس ، وابن ماجة (كتاب الطلاق، باب اللعان) .

- ص ٢٤٧، هامش ٨ : وهي أيضاً قراءة يعقوب وسفيان الثوري .

قلت : وقرأ بها أبو رجاء وحميد وعمرة بنت عبدالرحمن وابن قطيب . (المحتسب : ١٠٤/٢) .

- ص ٢٤٨، سطر ٨ : (ولا يتالُ) خطأ، والصواب : (يتألَّ) انظر النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢، ويدل على ذلك أيضاً قول الفراء : "من تألّيت بالهمز" .

- ص ٢٥٥، سطر ٧ : سقط ترقيم الآية ٤١، كذلك في صفحة ٢٦٤ ، سطر ٢ : سقط ترقيم الآية ١٩ .

- ص ٢٦٧، هامش ٢ : الآية ٩ سورة الصافات . قلت : خطأ في عزو الآية ، والصواب : ٨ .

- ص ٢٧١، سطر ١١ : (ويذكر) لم يخرج قراءاتها. وقد قرأ حمزة وحده (يَذْكُر) خفيفة الذال مضمومة الكاف. وقرأ الباقون (يذّكّر) . (السبعة : ٤٦٦)، وقرأ أبي ابن كعب : "أن يتذكر" . (البحر المحيط : ٥١٢/٦) .

- ص ٢٧٢: قرأ أبو عبدالرحمن وعاصم : (ولم يُقْتِروا).

قال في هامش ٢ : الذي في الإتحاف أن هذه قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر .

قلت : الصواب ما أثبته الفراء، فقد روى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم : "يقتِّروا" بكسر التاء مشددة . وانظر البحر المحيط ٥١٤/٦ .

- ص ٢٧٣، هامش ٤ : الخطيئة بالخاء . والصواب : الحُطيئة الشاعر المشهور اسمه جرول بن أوس بن مالك العبسي توفي نحو سنة ٤٥ من الهجرة .

- ص ٢٧٤، سطر ١٠ : ذرياتنا .

لم يخرج قراءاتها وقد قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص وقرأ أبو عمرو وعاصم

في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي : "ذريتنا" (السبعة لابن مجاهد : ٤٦٧) .

- ص ٢٧٨، سطر ٩ : سيُغلبون .

قلت : هي بالياء قراءة : حمزة والكسائي وخلف . (السبعة لابن مجاهد ٢٠٢، والبحر المحيط : ٢/٣٩٢) .

- سطر ١٠ : ولو نصبت بالرد على (يكذبون) كان النصب صواباً .

قلت : قرأ بالنصب (يضيق) : يعقوب . انظر .

- ص ٢٨٠، هامش ٤ وهي قراءات ، والصواب : وهي قراءة .

- ص ٢٨٢، سطر ٣ : فرهين .

لم يخرجها وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . السبعة لابن مجاهد : ٤٧٢ .

- ص ٢٨٤ : اختلاف في ترتيب الآيات : فالآيتان (١٩٣) و (١٩٦) مكانهما صفحة ٢٨٣ بعد آية ١٨٤ .

- ص ٢٨٨، سطر ١٣ : (وعُلياً) .

قلت : خطأ في الضبط والصواب (وعِلِيًا) بكسر العين واللام فهذه هي قراءة عبدالله . أما ضمها فروي عن ابن وثاب والأعمش وطلحة . (البحر المحيط : ٧٥٨) .

- سطر ١٤ : وعِتيا .

خطأ في الضبط والصواب وعَتيا (بفتح العين) ؛ لأن هذه هي قراءة عبدالله . (البحر المحيط ٦/١٧٥) .

- سطر ١٥ : داوود خطأ ، والصواب : داود . وكذلك في ص ٣٤٤ : سطر ٢ .

- ص ٢٨٩، سطر ٨ : في قراءة عبدالله (فتمكُث) .

قلت : خطأ في ضبط القراءة والصواب (فيمكث) بالياء لأن هذه هي قراءة عبدالله (انظر : البحر المحيط ٧/٦٥، وكتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني : ٦٦) .

- ص ٢٩١، سطر ٢ : السّوات، الصواب : السموات .

- ص ٢٩٤، سطر ٧ : (وما أهل به للطواغي) .

قال المحقق في هامش (٤) : ليس في الكتاب العزيز آية يكون فيها هذا ، ولعله يريد "والذين اجتنبوا الطاغوت".

قلت : هذا بعيد ، والصواب : أن الإشارة هنا إلى قوله تعالى : "وما أهل به لغير الله" يدلك على هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى : "وما أهل به لغير الله": قال ما أهل به للطواغيت . (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٨٥) .

- ص ٣٠١، سطر ٥ : الرقم ٨٧ خطأ هنا، وحقه أن يكون في سطر ٦ بعد (داخرين) .

- سطر ١٣ : يوميئذ بالياء ، خطأ والصواب : يومئذ .

- ص ٣٠٢، السطر الأخير : (قرة عين لي ولك لا) وهو لحن .

قال المحقق في هامشه : أي لمخالفته رسم المصحف.

قلت : ليس فيه مخالفة لرسم المصحف، وإنما عده الفراء لحناً لأنه مخالف للنحو، فالأداة (لا) مرتبطة بالفعل (تقتلوه) ، فالفعل مجزوم بها، ولا يجوز البدء بالفعل على تقدير حذف أداة الاستفهام وإلا لقيل : تقتلونه ؟ فهو لحن يترتب عليه خطأ نحوي .

ويضاف إلى ذلك أن هذا الوقف لا يتسق مع غرض امرأة فرعون فإنها لو قالت لفرعون : "ولك لا" لما اتخذه فرعون ابناً بل لقتله في الحال ، فلا يتحقق مرادها .

يتضح بذلك أن هذا الوقف من غرائب الوقوف لأنه مخالف للنحو والمقام .

- هامش ٢ : الآية ٧١ سورة الأنعام ، والصواب : الآيتان ٧١، ٧٢ .

- ص ٣٠٣، سطر ١١ : سقط رقم الآية ١٢ .

- سطر ١٥ : في الكلامُ . الصواب في الكلامِ .

- ص ٣٠٥، هامش ١ : الآية ٢٦ سورة القصص، قلت : ينبغي وضع الرقم في المتن لأنها في موضعها من التفسير .

- ص ٣٠٦، سطر ٨ : الآية ٣٢ مكانها بعد سطر ٤.

- ص ٣٢١، السطر الأخير :

إلا بداهة أو علالة

سابح نهد الجزارة

قلت : البيت في ديوان الأعشى ١٥٥ بلفظ :

إلا عـــلالـــة أو بـــــدا

هة سابـح نهـد الجــزارة

- سطر ١٤: ولو رفعت العاقبة ونصبت السوءى كان صواباً .

لم يوثق القراءة، و "عـاقبـةُ" بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب ، وهي بالنصب قراءة الباقين . النشر : ٢/٣٤٤ ، والبحر : ٧/١٦٤ .

- ص ٣٢٩ ، السطر الثاني : (نعمهُ) .

أخطأ المحقق في الضبط والصواب (نِعمةً) لتناسب السياق. كما أخطأ في تخريجها بالضبط الذي اختاره (نعمه) فقال في الهامش : هذه قراءة غير نافع وأبي عمرو وحفص وأبي جعفر .

قلت : بل هي قـراءة نافع وأبي عـمـرو وحـفص وأبي جعفر كما قرأ بها أيضاً الحسن والأعرج وشيبة . (انظر: البحر المحيط ٧/١٩٠) .

- ص٣٣١، سطر ٢ : كأنك (قغت) والصواب : قلت .
- ص ٣٣٤، سطر ٣ : يا أيها النبي أتق الله . الصواب : اتق بهمزة الوصل .
- ص ٣٣٥، هامش ٥ : متأخيين ، الصواب : متآخين .
- هامش ٢، الآية ١٤٣ سورة النساء، الصواب ١٤٢.
- ص ٣٣٩، هامش ٣ : الآية ٢٠٢ ســورة البـقـرة، الصواب : ٢٠٣ .
- ص ٣٦٦، السطر الأخير : "فلا تُذْهِبْ" .

خطأ في ضبط الآية ، والصواب : فلا تَذهب .

- ص ٣٧٦، السطر قبل الأخير : وإن كلٌ .

خطأ في ضبط الآية والصواب : وإن كلٌّ .

- ص ٣٨٤، سطر ٧ : إنها يعجب ، خطأ . والصواب : إنما يعجب .
- ص ٣٨٥ ، هامش ٦ : هو ابن محيصن .

قلت : ليس صحيحاً، لأن ابن محيصن قرأ بفتح النون وهذه بكسرها ، والصواب أنها قراءة أبي البرهسم وعمار بن أبي عمار بتخفيف الطاء وكسر النون . (البحر المحيط ٧/٣٦١) . وفي جامع البيان للطبري : السدي عن ابن عباس .

- ص ٣٨٦، سطر ٨ :

ومـا أدري وظنـــي كل ظـــن

أسلمني إلى قـــوم شـــراحِ

قلت : الصواب :

ومـا أدري وظنـــي كل ظن

أسلمني إلى قومـــي شراحي

كما في المحتسب ٢/٢٢٠، والبحر المحيط ٧/٣٦٥ ؛ لأن شراحي مرخم شراحيل لغير النداء، وما كتبه المحقق يفوت موضع الشاهد .

- ص ٣٩٦، سطر ١١ : ولأجعلنك حيص بيص .

قال في هامشه : الذي في كتب اللغة أن يقال : تركته حيص بيص .

قلت : وفيها أيضاً مثل ما ذكر الفراء ففي اللسان (٧/١٩) : "جـعلتم الأرض عليه حـيص بيص . أي ضـيقتم الأرض عليه حتى لا مضرب له فيها ولا متصرف للكسب" .

هـذا وقد بقيت بعض الاستدراكات أشير إلى بعضها فيما يلي :

أولاً : إثبات اختلافات النسخ في المتن :

المحقق يثبت اختلافات النسخ في متن الكتاب ، وحقها أن تثبت في الهامش، مثل: (ص ٣٤، سطر ٢)، و (ص ٣٦، سطر ١٣) ، و(ص١٠٠ سطر ٩) ، (ب : فاستجيز) ، (ص ١٢٧ سطر ١٢).

ثانياً : الخطأ في كتابة اسم السورة :

شاع الخطأ في كتابة بعض أسماء السور، مثل (ص٤٥، هـامش(٥))، و (ص ٥١، هـامش (٢))، و (ص ٥٤، هامش (٥))، و (ص ٨٤ ، هامش (٢))، و (ص١٣٢، هـامش (٤)) ، و (ص٢٩٢، هامش (١)) : ســورة المؤمنين. والصواب : سورة المؤمنون ، على الحكاية . وفي (ص ٨٥، هامش (١)) ، (ص ٢٩٤، هامش (١)) سورة المنافقين ، والصواب : سورة المنافقون .

هذا بالإضافة إلى العديد من أخطاء الإملاء أبرزها كتابة نقطتين تحت الألف .

الخاتمة :

وبعد ؛ فتلك أهم الملاحظات التي لاحظتها على تحقيق هذا الجزء من أجزاء كتاب معاني القرآن للفراء، المطبوع في الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٢م وصورته عنها العديد من دور النشر كما هو .

وهي ملاحظات تدل على أن هذا الجزء لم يلق ما يستحق من عناية ، بل إنه اجتمع فيه من الأخطاء الشيء الكثير، فمن ذلك :

١ - أخطاء في كتابة الآيات ، وضبطها وعزوها إلى سورها .

٢ - اضطراب في ترقيم الآيات المفسرة، والهوامش .

٣ - عدم تخريج الأحاديث من كتب الحديث ، والتمييز بين صحيحها والسقيم .

٤ - اضطراب شديد في توثيق القراءات، وضبطها وعزوها إلى أصحابها .

٥ - أخطاء في كتابة شواهد الشعر والرجز، وعدم توثيقها غالباً .

٦ - أخطاء في بعض مصطلحات النحو كمصطلح الترجمة الذي استعمله الفراء بمعنى التمييز ولم يلتفت إلى هذا الاستعمال كثير ممن عني بمصطلحات الكوفة ، فقد حسبوه يشير إلى البدل فحسب ، ومصطلح الإلغاء الذي كتبه المحقق "الإلقاء".

٧ - أخطاء في شرح مفردات اللغة بما لا يناسب سياق النص.

هذا، إلى الأخطاء الكثيرة في ضبط متن الكتاب ، وأسماء بعض سور القرآن الكريم .

واللهَ - سبحانه - أرجو التوفيق فيما كتبت من تنبيهات أو استدركت من تنبيهات ، وأن أكون قد نصحت لكتاب من كتب تراثنا عظيم .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

المصادر

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر** : أحمد بن محمد البنا الدمياطي ؛ تحقيق شعبان محمد إسماعيل.- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٧م .
- **الإصابة في تمييز الصحابة** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ؛ تحقيق علي محمد البجاوي .- القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٨هـ .
- **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب** : عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي؛ تحقيق مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .
- **البحر المحيط في علم التفسير** : أبو حيان ، طبعة السلطان عبدالحفيظ ، ١٣٢٨هـ .
- **تاج العروس** : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، طبعة بولاق .
- **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة** ؛ تحقيق عبدالفتاح القاضي ومحمد الصادق القمحاوي .- حلب: دار الوعي ، ١٩٧٢م .
- **جامع البيان عن تأويل أي القرآن** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة بولاق ، ١٣٢٣هـ .
- **الجامع لأحكام القرآن** : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي .- القاهرة : طبعة دار الكتب ، ١٩٨٧م .
- **خزانة الأدب** : عبدالقادر بن عمر البغدادي ؛ تحقيق عبدالسلام هارون - مكتبة الخانجي ، ١٩٨٢م .
- **الدر المنثور** : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ؛ تحقيق رضا الله محمد إدريس .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٣م .
- **ديوان امرئ القيس** ، (بشرح حسن السندوبي) ، المكتبة التجارية ، ١٩٣٥م .
- **ديوان جران العود** : عامر بن الحارث؛ تحقيق كارين.- بيروت : دار صادر ، ١٩٩٩م .
- **ديوان أبي النجم** : الفضل بن قدامة ؛ تحقيق جميل الجبيلي . دار صادر ، ١٩٨٩م .
- **رسالة الصاهل والشاحج** : أبو العلاء أحمد بن عبدالله

المعري ؛ تحقيق عائشة عبدالرحمن .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥م .

- **الروض الأنف** : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ؛ تحقيق مجدي منصور الشوري .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م .

- **زاد المسير في علم التفسير** : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي .- دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٩٦٥م .

- **السبعة في القراءات** : أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد؛ تحقيق شوقي ضيف .- القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٧م .

- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** : أبو عيسى محمد بن عيسى ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر .- القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٣٨٩هـ .

- **شرح أبيات سيبويه** : يوسف بن أبي سعيد السيرافي ؛ تحقيق محمد علي سلطاني .- دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٦م .

- **شرح التسهيل** : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك ؛ تحقيق عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون .- القاهرة : دار هجر ، ١٩٩٠م .

- **شرح المفصل** : أبو البقاء موفق الدين بن يعيش ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

- **صحيح ابن خزيمة** : محمد بن إسحاق ؛ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي .- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٧٠م .

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** : شهاب الدين أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني .- القاهرة : المكتبة السلفية ، ١٣٨٠هـ .

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير**: محمد بن علي الشوكاني .- بيروت : دار الفكر .

- **القاموس المحيط** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧م .

- **الكتاب** : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ؛ تحقيق عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

- **كتاب المصاحف** : عبدالله بن أبي داود؛ تحقيق أثر جفري . المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٦م .

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** : علاء الدين علي المتقي الهندي . مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩م .

- **لسان العرب** : محمد بن مكرم بن منظور .- بيروت : دار صادر ، ١٩٩٠م .

- **مجاز القرآن** : أبو عبيدة معمر بن المثنى؛ تحقيق محمد فؤاد سزكين .- القاهرة : الخانجي ، ١٩٨٨م .

- **مجمع الزوائد** : علي بن أبي بكر الهيثمي .- القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .

- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : أبو الفتح عثمان بن جني؛ تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه .- القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٩هـ .

- **مدرسة الكوفة** : مهدي المخزومي .- القاهرة : مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٩٥٨م .

- **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل .- مصر: مؤسسة قرطبة.

- **مصنف ابن أبي شيبة** : عبدالله بن محمد ؛ تحقيق كمال يوسف الحوت .- الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩هـ .

- **المعجم الأوسط** : الطبراني ؛ تحقيق طارق بن عوض الله .- القاهرة : دار الحرمين ، ١٤١٥هـ .

- **معجم القراءات القرآنية** : عبدالعال سالم مكرم ، وأحمد مختار عمر . مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٩٢م .

- **المعجم الكبير** : الطبراني ؛ تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي .- الموصل : مكتبة العلوم والحكم ، ١٩٨٣م .

- **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ؛ تحقيق عبدالفتاح أبو غدة .- حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٣هـ .

- **النشر في القراءات العشر** : محمد بن محمد بن الجزري ؛ تصحيح علي محمد الضباع .- القاهرة : المكتبة التجارية .

الدراسات والجهود الحديثية في المصادر الروسية

(دراسة ببليوجرافية)

سليمان بن محمد الجار الله

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

ففكرة هذا البحث مبنية على تتبع ورصد الجهود الروسية وآثارها في مجال السنة ، حيث البداية العلمية النظامية للاستشراق هناك ترجع إلى ما قبل قرنين من الزمان تقريباً ، وتتأكد أهمية موضوع هذا البحث إذا أخذنا في الاعتبار جِدّته ومحدودية انتشار الاستشراق الروسي خارج حدوده بسبب عوامل عدة حدّت من انتشاره ، وعدم وجود دراسات حول جهوده في مجال السنة مما يجعل منه موضوعاً بكراً يستحق البحث والعناية .

في هذا البحث هذه سنتتبع رصداً ببليوغرافياً للآثار العلمية في مجال السنة من كتب ومؤلفات ، ومقالات وأبحاث منشورة في الدوريات والمجلات العلمية ، والتعرف إلى الجهود الروسية في حفظ وفهرسة المخطوطات الحديثية ، حيث عدد من المكتبات والمراكز الاستشراقية هناك تحتوي على خزائن للمخطوطات الشرقية ، من بينها المخطوطات العربية .

وخطة البحث تتكون من مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين: المبحث الأول ، بعنوان : السنة في المصادر الروسية ، والمبحث الثاني ، بعنوان : المخطوطات الحديثية في خزائن المخطوطات الروسية ، وخاتمة .

وفي التمهيد سيكون الحديث عن نشأة الاستشراق الروسي وبداياته ومؤسساته ، وتم التركيز فيه أيضاً على نشأة الاستشراق الروسي والمؤسسات التي صاحبت تلك النشأة؛ لأن لتلك النشأة بمؤسساتها الرئيسة الأثر الأكبر في مسيرة الاستشراق الروسي .

في المبحث الأول : تتبع لجهود الاستشراق الروسي في السنة في المصادر الروسية ، وقد تم ترتيب تلك المصادر والأعمال العلمية زمنياً ؛ وذلك حسب تاريخ نشرها ، والمبحث الثاني : عن المخطوطات الحديثية في أشهر خزائن المخطوطات الروسية ، وتم استعراض المخطوطات الحديثية في أهم وأشهر تلك الخزائن : وهي خزائن سانت بطرسبورغ التي حظيت بعناية الاستشراق الروسي منذ نشأته ، وكانت كثير من جهوده منصبة على الاهتمام بها ودراستها .

تمهيد في نشأة الاستشراق الروسي :

جذور العناية الروسية بالاستشراق ترجع إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ، وذلك في عهد بطرس الأول (ت ١٧٢٥م) ، الذي تم في عهده عدد من الإصلاحات والخطوات الجذرية كان لها أثر كبير في مستقبل روسيا وبنائها من جديد ، وهذا النوع من الاهتمام الاستشراقي لبطرس نابع من سياسته الشرقية ، وما اقتضته مصالح روسيا وحاجتها المتزايدة للتعرف إلى جيرانها الذين دخلت معهم في صراعات مريرة .

فترجع البداية الجادة للاهتمام بلغات الشرق وحضاراتها إلى المراسيم التي أصدرها بطرس الأول لإعداد دارسين لمختلف اللغات الشرقية ، حيث صدر في

عام ١٧٠٠م أمر رسمي لتهيئة رجلين أو ثلاثة من الرهبان الشباب الذين باستطاعتهم أن يتعلموا اللغة الصينية والمغولية قراءة وكتابة ، وصدر مرسوم في عام ١٧٠٥م لتعليم اللغة اليابانية لأربعة أو خمسة رجال ، وفي عام ١٧١٦م صدر مرسوم عن مجلس الشيوخ حول تسمية خمسة من الشباب من المدارس اللاتينية في موسكو لإرسالهم إلى إيران لتعليم اللغات الشرقية ، وفي عام ١٧٢٤م صدر مرسوم من مجلس الشيوخ وبأمر من بطرس ذو صلة بتعلم اللغة التركية . وقد كان لبطرس مستشار فيما له صلة بالشرق والإسلام ، وهو ديميتري كانتيمير (ت ١٧٢٣م) الذي يعد مؤسس أول مطبعة في روسيا تطبع الحروف العربية ، وله مؤلفات عن تركيا والإسلام ، كما يرجع إلى عهد بطرس الأول تأسيس مكتب سُمّي بمكتب النوادر تجمع فيه التحف والنقود الشرقية وغيرها ، وذلك في عام ١٧٢٤م [١] . كما تم في عهد بطرس الأول أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الروسية ، وذلك في عام ١٧١٦م ، وإن كانت تعد ترجمة رديئة وسيئة ، لم يتم الاعتماد فيها على القرآن العربي ، وإنما طريق ترجمة دوريبي الفرنسية التي تمت في عام ١٦٤٧م[٢] . وقد تواصل هذا الاهتمام خصوصاً خلال الربع الأخير من القرن نفسه ، ففي عهد القيصرة كاتيرينا الثانية تم إرسال عدد من الطلاب في بعثات لعدد من الدول الأوربية، وتم التوسع في تعليم لغات الشعوب الإسلامية في الأقاليم الإسلامية ، كما تم التوسع في الطباعة العربية، ولقد كان لمطابع سان بطرسبرغ وقازان شهرة عالمية في هذا المجال، حيث طُبع العديد من المؤلفات والكتب الإسلامية ، ويأتي على رأس تلك المطبوعات، طباعة المصحف الشريف، حيث طبع سنة ١٧٧٨م ، ثم تكرر طبعه في سنوات لاحقة[٣] .

بداية الاستشراق الروسي النظامية :

أما بداية الاستشراق النظامية فترجع إلى العقدين الأولين من القرن التاسع عشر الميلادي ، وهي البداية التي كانت أساساً لما عُرف بالاستشراق الأكاديمي، وذلك من خلال الأقسام والكراسي الجامعية التي أنشئت في الجامعات الروسية ، والتي ترجع بدايات تأسيسها إلى بداية القرن التاسع عشر[٤] ، ومن أهم تلك الأقسام والمراكز والشخصيات الاستشراقية فيها :

أ - جامعة خاركوف حيث تعد أول جامعة تأسس فيها كرسي لتدريس اللغة العربية ، وذلك حينما عيّن الألماني بيريندت عام ١٨٠٥م ليقوم بهذا الأمر ، ولم يستمر طويلاً ، فبعد سنة واحدة خلفه أستاذ ألماني آخر هو روميل، وقد تأرجح تعليم العربية فيها بين استمرار وانقطاع ، إلى أن أتى المستشرق الألماني المشهور دون ، الذي استدعاه القيصر فأمضى ست سنوات في هذه الجامعة ، وذلك بين عامي ١٨٢٩ - ١٨٣٦م ، قبل أن ينتقل منها ويستقر به المقام في سان بطرسبرج ، والقيام بالإشراف على المتحف الأسيوي خلفاً للمستشرق فران .

ب - جامعة قازان حيث بدأ تدريس العربية فيها مع مجيء المستشرق الألماني المشهور باختصاصه في المسكوكات والنقود كريستيان فران ، حيث قام بالإشراف على قسم اللغات السامية فيها لمدة عشر سنوات وذلك في المدة من عام ١٨٠٧م إلى عام ١٨١٧م، ويُرجع المستشرقون الروس إليه الفضل في تأسيس بدايات الاستشراق العلمي في روسيا ، وذلك من خلال عمله في جامعة قازان ثم لاحقاً في المتحف الأسيوي . وقد خلفه في عمله أردمان . ف . الذي تخرج باللغات السامية من روستوك وبطرسبرج وباريس ، وذهب إلى لبنان ، وقد أمضى فترة طويلة في التدريس في قازان ، حيث كان ذلك بين عامي ١٨١٩ - ١٨٤٥م .

جـ - جامعة موسكو التي تأسست سنة ١٧٥٥م ، تأخر تدريس العربية فيها إلى عام ١٨١١م ، وقد بدأت فيه تلك الدراسات على يد الاختصاصي باللغات السامية الروسي بولديرييف ، الذي تخرج من الجامعة نفسها عام ١٨٠٦م ، ثم ذهب في جولة دراسية إلى ألمانيا وفرنسا ، حيث تلقى عن المستشرق الفرنسي المشهور سلفيستر دو ساسي ، وقد كان من حظ العربية في الجامعة أن تولى بولديرييف رئاسة الجامعة ، مما كان له أثره في دعم الدراسات العربية . وفي موسكو كانت هناك مؤسسة لها أثر ظاهر في مسيرة الاستشراق الروسية ، وهي معهد لازاريف الذي تأسس في سنة ١٨١٥م ، وقد قام المعهد بإصدار العديد من الإصدارات ، من أهمها عدد من الأعمال العلمية للمستشرق المعروف كريمسكي ، والذي تخرج من جامعة موسكو عام ١٨٩٦م ، ورحل إلى الشام حيث أمضى قرابة السنتين هناك ، وهو من أشهر أساتذة الاستشراق الروسي الذين قاموا بالتدريس في المعهد .

د - جامعة سان بطرسبرج بدأت كمعهد تربية في عام ١٨٠٤م ، تحوّل بعد ذلك إلى معهد عال للتربية عام ١٨١٦م ، ثم تحول إلى جامعة عام ١٨١٩م ، وقد كان وصل للتدريس في عام ١٨١٧م اثنان من تلامذة المستشرق الفرنسي دو ساسي بتوصية منه ، هما ديمانج وشارموي للتدريس في المعهد الذي أسس حديثاً ، وقد تولى ديمانج تدريس العربية في حين قام شارموي بتدريس الفارسية ، وقد انتقلا إلى المعهد الشرقي في القسم الآسيوي في وزارة الخارجية بعد افتتاحه عام ١٨٢٣م ، وخلف ديمانج على كرسي العربية في الجامعة الأديب والمستشرق سينكوفسكي البولوني الأصل ، الذي قصد الشرق العربي وبقي فيه عدة سنوات لاستكمال تحصيله ، وقد استمر في الكرسي مدة طويلة وذلك من عام ١٨٢٢م إلى عام ١٨٤٧م، حيث خلفه محمد عياد الطنطاوي (ت ١٨٦١م) . وفي عام ١٨٥٥م بدأ عهد جديد للدراسات العربية في روسيا بتأسيس كلية اللغات الشرقية في جامعة سانت بطرسبرج، وقد كان من أوائل خريجي الجامعة في اللغات الشرقية المستعرب جيرجاس (١٨٨٧م) الذي ذهب إلى باريس للتزود من الدراسات العربية ثم ذهب إلى المشرق حيث زار الشام ومصر وأمضى هناك ثلاث سنوات أتقن فيها العربية ، ثم رجع ودرّس في الجامعة ، ويرجع المستشرقون إليه الفضل في تأسيس الدراسات الاستعرابية الجديدة بالإضافة إلى المستعرب فيكتور روزن (ت ١٩٠٨م) الذي ذهب بعد تخرجه من الجامعة إلى ليبزيج في ألمانيا ودرس في فلايشر ، ثم لما رجع سنة ١٨٧٢م تحصل على الدكتوراه وتعين أستاذاً للعربية فيها ، وقد رحل أيضاً إلى ألمانيا في عام ١٨٧٣م للتلقي عن أهلفاردت في جرايسفالد، وقد كان لروزن جهود وأعمال عدة في المجال الاستشراقي، وتولى عمادة الكلية الشرقية ما بين الأعوام (١٨٩٣ - ١٩٠٣م) ، وكان له عدد كبير من التلاميذ يأتي على رأسهم بارتولد (ت ١٩٣٠م) وكراتشكوفسكي (ت ١٩٥١م) اللذين تخرجا من جامعة سان بطرسبرج وعُدّا بعد ذلك من أساتذتها الكبار ، ومن رموز الاستشراق لا على مستوى روسيا فحسب وإنما على مستوى العالم[٥] .

وفي عام ١٨١٨م تأسس المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم ، ويعد تأسيس هذا المتحف منعطفاً جديداً في تاريخ الاستشراق الأكاديمي ، وصار مخزناً مهماً للنوادر والآثار والمخطوطات والوثائق والنقود والمسكوكات تأتي إليه من خلال قنوات عدة ، وكان المستشرق فرين أول أمين له ، وبقي يشرف عليه ويرعى أعماله لأكثر من عقدين من الزمان حتى خلفه المستشرق الألماني الآخر دورن ، وقد كان لجهود فران في تأسيس المتحف وتنظيم أعماله أثر عظيم ليس فقط في مسيرة المتحف ، بل والاستشراق بوجه عام . وقد كان كرسي

اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبرج في تعاون وثيق مع المتحف الآسيوي ، وكان الدارسون والطلاب يجدون في المتحف مركز بحث ينهلون من وثائقه ومخطوطاته وكنوزه ، وعبّر فران عن جهود تلك المؤسستين بقوله عنهما ، إنهما «تقدمان إلى روسيا بمرور الزمن عدداً كبيراً ورصيناً من المستشرقين الماهرين المدركين ، ليس فقط كمترجمين أو علماء لغة ، وإنما كاختصاصيين في كافة الشؤون من المستشرقين المهنيين علمياً وثقافياً أيضاً» ، وقد استمرت تلك الصلة الوثيقة بين الجامعة والمتحف خصوصاً بعد تأسيس كلية اللغات الشرقية في الجامعة[٦] . المتحف الآسيوي تحول في المعهد السوفيتي وبالتحديد في عام ١٩٣٠م إلى ما يعرف بمعهد الاستشراق .

يتضح من خلال هذا الاستعراض الصلة المباشرة للاستشراق الروسي بالاستشراق الألماني بوجه خاص والأوروبي بوجه عام، إلا أن له جهود ودراسات ميزته عن الاستشراق الغربي وجعلت له شخصيته المستقلة ، وإن كان بقي للاستشراق الغربي أثره عليه سواء من حيث المنهج أو الموضوع . بارتولد الذي يعد علامة فارقة في الاستشراق الروسي يقول في تقديمه لأطروحته للدكتوراه ، التي كان موضوعها عن تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي : «محاولة متواضعة لتطبيق عريض لمناهج علم التاريخ الأوروبي على تاريخ آسيا الوسطى ، تلك المناهج التي سبق أن طبقت من قبل على تاريخ آسيا الغربية في مؤلفات دوزي وكريمر وغيرهما»[٧] .

من خلال استقراء جهود الاستشراق الروسي الأكاديمي، وعلى الأخص في القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين ، يُلحظ عنايته الكبيرة باللغة العربية وآدابها ودراسة النقود الشرقية والمسكوكات ، وتتبع المصادر الشرقية التاريخية مما له صلة بروسيا ، والعناية المتنامية بالمخطوطات دراسة وتحقيقاً، ولقد كان للصلة المباشرة بالشرق ومصادره أثره الإيجابي في أكاديمية الاستشراق الروسي واستقلالية نتائجه في بعض الدراسات التي قام بها . ولكن من المجالات التي لا نجد للاستشراق الروسي الأكاديمي له فيها جهود مثل جهوده السابق ذكرها مجال الدراسات ذات الصلة بالشريعة الإسلامية ومصادرها ؛ ولذا نجد رؤيته فيها عند تناولها متأثرة بشكل واضح بنمطية الاستشراق الأوروبي في هذا المجال. ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، أنه قد تنامى في العقدين الأخيرين الاهتمام في مجال الدراسات الإسلامية، وظهر عدد من الأعمال العلمية المتخصصة، التي تستحق الاهتمام والدراسة.

ومما يجدر ذكره هنا ، أنه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر برز نوع آخر من الاستشراق ، يمكن إطلاق مسمى الاستشراق التبشيري عليه ، حيث تم إنشاء شعبة للتبشير ملحقة بأكاديمية كنسية تسمى أكاديمية الرهبان في قازان ، وقد كان لهذه الأكاديمية أثر كبير في وجود وتغذية نوع من الاستشراق بعيد عن التقاليد العلمية. ومن أكبر الشخصيات التي كان لها دور في هذا النوع من النشاط إيلمنسكي الذي توفي سنة ١٨٩١م وقد تخرج هو نفسه من تلك الأكاديمية ، ثم قام بالتدريس فيها، وكان هناك عدد من الشخصيات ذات الصلة بهذا النوع من الاستشراق ، ممن كتبوا عن الدين الإسلامي ومصادره من خلال تلك الرؤية التبشيرية . ومما يُحمد للاستشراق الأكاديمي خصوصاً لرموزه أمثال روزن وبارتولد وكريمسكي وكراتشكوفسكي وقوفهم في وجه هذا النوع من الاستشراق البعيد عن الحقيقة ومنهج العلم[٨] .

المبحث الأول : السنة في المصادر الروسية:

*** عرض مبادئ الشريعة الإسلامية :**

تأليف: نيكولاي تورناؤو، سانت بطرسبورغ، عام ١٨٥٠م.

يبدو من الإهداء المطبوع على الكتاب أن المؤلف ألفه

للقيصر، حيث يرد : إهداء، إلى جلالة الإمبراطور نيكولاي بن بافل، عاهل كل روسيا، من خادمه المخلص نيكولاي تورناؤو.

في التمهيد للكتاب ورد عنوان جانبي تكلم فيه المؤلف عن الحديث ، وذلك في الصفحات ١١ - ١٤ .

*** مصادر سيرة محمد والكتابات عنه :**

١ - من عروة إلى ابن اسحاق مع ابن هشام

تأليف : أ. كريمسكي ، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية ، الإصدار ١٣ ، موسكو ، مطبعة فارواري ، غاتسوك ، ١٩٠٢م .

*** تاريخ الإسلام ، الجزءان ١-٢ :**

تأليف : أ . كريمسكي ، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية في الاستشراق ، الإصدار الثاني عشر ، دار نشر فارواري غاتسوك ، موسكو ، ١٩٠٣م.

هذا الكتاب يحتوي على دراسات ومقالات لكريمسكي ، ويحتوي أيضاً على دراسات مترجمة من أعمال المستشرقين المعروفين دوزي وجولدتسيهر .

اشتمل الكتاب على ثمانية فصول :

١-٤ : عن (محمد) : بقلم ر. دوزي . بترجمة كامنيسكي ، مع ملحق بقلم أ . كريمسكي «حول المراجع والكتب المساعدة لدراسة سيرة محمد وتاريخه» .

٥ : القرآن والسنة والأحاديث : بقلم أ . كريمسكي، و ر. دوزي ، بترجمة ف. إي كامنيسكي .

٦ : دين الإسلام و أحكام العبادات ، بقلم ر. دوزي، ترجمة ف. كامينسكي وملحق أ. كريمسكي «حول مراجع الفقه الإسلامي» .

٧-٨ : الإسلام والمجتمع العربي : بقلم إي . جولد تسيهر. تحت عنوان السنة (الأحاديث)، ورد الموضوعان التاليان:

١ - تاريخ السنة، بقلم أ . كريمسكي ص١٤٥-١٥٨.

٢ - ما مدى صحة الأحاديث الإسلامية ؟ بقلم ر. دوزي ص١٥٩ .

*** السنة ، الأحاديث الإسلامية : نشأتها وتطورها :**

تأليف : ، م. إي تريتياكوف ، مطبعة ترويتسكايا ، ماكاريبف على نهر أونجه ، عام ١٩٠٣م .

احتوى الكتاب على مقدمة ، وسبعة فصول :

الفصل الأول : الحديث والسنة ،معنى هذين المصطلحين وأهميتهما في الإسلام ص١-١٤

الفصل الثاني : مواقف الأمويين والعباسيين ومعاصريهما من السنة والحديث (النبوي) ص١٤-٢٨ .

الفصل الثالث : نقد المسلمين أنفسهم للأحاديث وأهميته ص٢٨-٣٩

الفصل الرابع : أساليب نشر وجمع الأحاديث ص٣٩-٥٢

الفصل الخامس : تدوين الأحاديث ، الكارهون والمؤيدون لتدوينها بين المسلمين ص٥٢-٦٠

الفصل السادس : مراجع وأدبيات الأحاديث . الرأي الخاطئ بشأن نشوئها لدى المسلمين ص٦٠-٧١ .

الفصل السابع : مجموعات الأحاديث الإسلامية (السنية والشيعية) خصائصها المميزة ص٧١-٨٤.

*** موسوعة الفقه الإسلامي ، ١، الجزء العام :**

تأليف : ن. ستريبولايف ، مترجم لدى الإدارة الأولى لوزارة الخارجية ، س/بطربورغ ، ١٩٠٤م .

يحتوي على مقطع عن السنة ومصنفاتها ، تحت عنوان : تاريخ الشريعة الإسلامية ، وذلك في الصفحات : ٣٥ - ٣٧ .

*** أحاديث محمد :**

انتخبها : ل . تولستوي ، ترجمها من الإنكليزية : س . د . نيكولايف ، سلسلة المفكرون الرائعون من جميع الأزمنة والشعوب ، نشرة بوسريدنيك ، عدد ٧٦٢ ، موسكو ، مطبعة فيلده ، عام ١٩١٠م .

في بداية الكتاب تم الإشارة إلى مصدر الأحاديث

المختارة، وهو كتاب بالإنجليزية لأحاديث محمد، ألفه عبد الله السهروردي في الهند ، مستهلاً الكتاب بالآية القرآنية التالية ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الآية ٣٢ من سورة التوبة)، وقد انتخب ليو تولستوي الأحاديث الواردة في هذا الكتاب والمترجمة إلى اللغة الروسية باعتبارها تشتمل على حقائق عامة تتسم بها كل التعاليم الدينية (ص ٣) .

تقول مكارم الغمري في استعراضها لتأثير الشرق العربي في فكر تولستوي وإنتاجه: «ويتصدر كتابات تولستوي عن الإسلام كتيب بعنوان "أحاديث مأثورة لمحمد" ... ولم يكتف تولستوي بالتقديم للكتاب ، بل – وكما أشير في المؤلفات الكاملة – " قام بعمل تصحيحات به بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٠٩م ، غير أن هذه التصحيحات لم يحتفظ بها ، وفي يوليو من نفس العام قام تولستوي بإدخال الكثير من التعديلات ، وأعاد صياغة بعض الأحاديث ، وقد أبقى على ستة عشر حديثاً منها بختم مطبعة كوشيريفا بتاريخ ١١ يوليو ١٩٠٩م ، وظهر الكتاب بعدها تحت عنوان "أحاديث مأثورة لمحمد" جمع تولستوي المؤلفات الكاملة لتولستوي ج٤٠ ص٤٩٩ ، نقلاً عن مؤثرات عربية إسلامية في الأدب الروسي ص٢٠٨ .

*** حِكَم النبي محمد :**

ليون تولوستوي ، ترجمة سليم قبعين ، تقديم وتعليق عبد المعين الملوحي ، مع ملحق في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب حكم النبي محمد ﷺ لتولستوي بقلم محمود الأرناؤوط . الطبعة الثانية ، دار الملوحي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – سورية ، ١٩٩٧م .

"حِكَم النبي محمد" عبارة عن ترجمة لكتاب تولستوي السابق من الروسية إلى العربية ، والطبعة المشار إليها هي إعادة لطبعة الكتاب الأولى ، وقد ذكر صاحب التقديم أنه وجد الكتاب في مكتبة والده ، عنوانه بالخط الكبير (حِكَم النبي محمد) وتحته للفيلسوف تولستوي ، وبعد ذلك عنوان صغير "شيء عن الإسلام وأوروبا" ، وقد طبع في مطبعة التقدم بشارع محمد علي في القاهرة ، وتاريخ طباعة الكتاب سنة ١٩١٢م / ١٣٣٩هـ (ص ٥) ، ويتضح من صنيع الملوحي أنه عدّ طبعته طبعة ثانية للكتاب، علماً أن الكتاب سبق طباعته أكثر من مرة في القاهرة ، فمكارم الغمري في تناولها لهذا الكتاب ، قالت "لم نستدل على أول طبعة لترجمة سليم قبعين لكتاب تولستوي ، أما الطبعة الثانية فقد صدرت عام ١٩١٥م في القاهرة بعنوان "حكم النبي محمد للفيلسوف تولستوي، وشيء عن الإسلام"، وصدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٨٧م". (مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص ٢٠٨ ، حاشية رقم ١٤).

في مقارنة لنسخة الكتاب الروسية بالترجمة العربية، ذكرت مكارم الغمري أن سليم قبعين قدم «ترجمة للأحاديث التي أوردها تولستوي في كتابه، بعد أن اختصر عدد الأحاديث إلى النصف تقريباً، فقدم في الترجمة واحداً وأربعين حديثاً فقط، بينما يبلغ عدد أحاديث الرسول في كتاب تولستوي واحداً وتسعين حديثاً، بالإضافة إلى ذلك ضمن سليم قبعين لكتاب تولستوي موضوعات لا وجود لها في أصل كتاب تولستوي وذلك مثل (دعاء النبي ، قصيدتان لشوقي وحافظ في رثاء تولستوي بعد وفاته ، رأي تولستوي في الحجاب والزواج وما بينهما وغيرها.)» (مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي ، ص٢١٠) .

في طبعة الملوحي ، يصل عدد الأحاديث إلى أربعة وستين حديثاً ، وقد يكون عدم ترجمة جميع النصوص الواردة في الأصل الروسي هو عدم عثور المترجم عليها في المصادر التي رجع إليها ، فهو يقول في مقدمته للترجمة : «ولما اطلعت على هذه الرسالة راقني ما جاء فيها من الحقائق الباهرة والمقاصد الشريفة فدفعتني الغيرة على الحق لنقلها إلى اللغة العربية وقد عانيت

- محمد في المدينة ص٩٦ .
- الإسلام بعد النبي ، انفصال المؤسسة الدينية عن الدولة . سنة النبي ص١٠٤ .

*** أصول الفقه :**

تأليف : م. إ. صدقدار ، الكتاب من منشورات جامعة الصداقة ، موسكو ، ١٩٦٨م.

الكتاب معتمد من قبل كلية الاقتصاد والحقوق للتدريس لطلاب التخصصات القانونية، المحرر المسؤول : الأستاذ المساعد أو. أ. جيدكوف .

يحتوي الكتاب على خمسة فصول ، الأول منها بعنوان : مصادر الفقه الإسلامي، يشتمل هذا الفصل على عنوان جانبي : سنة ، وذلك في الصفحات ١٨ - ٢٢ .

*** دراسات في تاريخ الثقافة العربية: القرون ٥-١٥:**

معهد الاستشراق ،التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، المحرر المسؤول بولشاكوف ، ترجمة أيمن أبو شعر ، دارالتقدم ، موسكو ، ١٩٨٩م .

يتضمن دراسة بعنوان : الثقافة الكتبية ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، بقلم خالدوف ، اشتملت على الكلام عن الحديث وتدوينه وروايته .

*** الإسلام : مختصر في تاريخ الدراسات الإسلامية:**

بإشراف وتحرير : ستانسيلاف بروزوروف ، دار ناؤوكا للنشر والطباعة ، هيئة التحرير الرئيسة للأدب الشرقي ، موسكو ، ١٩٩١م .

الكتاب من مطبوعات معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية . ويحتوي على ثلاثة أبحاث من إعداد ثلاثة من أساتذة المعهد في حينه ، شاملة أكثر من مجال في الدراسات الإسلامية ، بإشراف وتحرير س . بروزوروف . وكما ورد في مقدمة محرر الكتاب ، فالكتاب يهدف إلى تقديم استعراض تحليلي للنتائج المتوصل إليها في نتاج أجيال من العلماء الغربيين والروس في مجال الدراسات الإسلامية : الدراسات القرآنية ، الدراسات الحديثية ، الصوفية ، وكذلك من أجل أن يقترح ويوحي بمناهج مأمولة في دراسات مستقبلية في تلك المجالات .

يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : القرآن والدراسات القرآنية ، بقلم : أي . ريزفان ، ص ٧-٨٤ .

القسم الثاني : الأحاديث : استعراض للجهود والدراسات الحديثية في هذا المجال، بقلم : يرماكوف ، ص٨٥-١٠٨ .

القسم الثالث : الصوفية ، بقلم : أ . كنش ص ٩٠١-٧٠٢ .

في القسم الثاني تناول فيه كاتبه الجهود والدراسات الغربية في مجال السنة ، باستعراض تاريخي منذ بدء الاهتمام الجاد بها في أوروبا منذ ما يزيد على قرن من الزمان ، ولقد قدم يرماكوف استعراضاً تحليلياً مختصراً لنظريات الغربيين وآرائهم في الحديث ، والجهود التي كانت في هذا المجال .

*** الإسلام : معجم موسوعي :**

معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية، دار ناؤوكا للطباعة والنشر ، هيئة التحرير الرئيسة للأدب الشرقي ، موسكو ، ١٩٩١م .

قام بتأليف وكتابة مقالات تلك الموسوعة فريق عمل كبير من العلماء السوفيت، وكان لها لجنة تحرير، تتكون من:

ق. ف. ميلوسلافسكي ، يو. أ. بتيروسان ، م. بي. بئوترفسكي .

ستانسيلاف بروزوروف (السكرتير المسؤول) .

يتكون هذا المعجم الموسوعي عن الإسلام من مجلد واحد ، وقد ورد في تصديره أنه قُصد منه سد النقص الموجود في اللغة الروسية إلى مرجع يعطي القارئ صورة متكاملة عن الإسلام ، فتم إعداد تلك الموسوعة ؛ لتكون

مصدراً علمياً يسد تلك الحاجة الملحة لإعطاء صورة شاملة عن الدين الإسلامي . عرضوا في الموضوعات التي تناولوها نتائج الدراسات السوفيتية في مجال الإسلام ، بالإضافة إلى أهم النتائج المستخلصة من الدراسات العالمية الأخرى في هذا المجال . في التصدير تمت الإشارة أيضاً إلى أن كتّاب هذا المعجم الموسوعي استفادوا بشكل خاص من دائرة المعارف الإسلامية ، وتم التنبيه إلى أن ذلك لا يعني أن معنى ذلك هو نقل وترجمة محتواها إلى اللغة الروسية من خلال هذا المعجم .

يحتوي هذا المعجم على ٥٧٨ مقالة ، تعطي فكرة عامة عن العديد من الأمور الأساسية في الإسلام ، من تعاليم وعقائد ومصطلحات وأسماء ومذاهب وفرق وجماعات وغير ذلك ، مرتبة على حروف المعجم ، وفي ختام كل مقالة يتم الإشارة إلى المصادر والمراجع الأساسية في موضوع المقال ، مرتبة حسب التسلسل الزمني . وقد أشار محرر المعجم إلى هذا الكتاب موجه للمتخصصين في مجالات الدين والفلسفة والاستشراق والتاريخ .

من خلال استقصائي لمصطلحات الكتاب، وجدت أن أهم المصطلحات مما له صلة بالسنة وعلومها فيه، ما يلي :

- أصحاب الرأي، ص٢٤ .
- أصحاب الحديث، ص٢٥ .
- أهل السنة والجماعة، ص٢٩ .
- أحمد بن حنبل، ص٣٠ .
- البدعة، ص ٣٤ .
- البخاري، ص٤٤ .
- علم الحديث، ص٩٥ .
- محمد، ص١٧٨ .
- السلفية، ص٢٠٤ .
- سماع، ص٢٠٥-٢٠٦ .
- صحيح، ص ٢٠٨ .
- ثقة، ص٢٠٨ .
- السنة، ص٢١٤ .
- طبقات، ص ٢١٧ .
- طالب العلم، ص٢٢٢ .
- أصول الدين، ص٢٤٣ .
- خبر، ص ٢٥٩ .
- حديث، ص٢٦٢ .

*** نصوص مختارة عن الإسلام :**

معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية ، جمع وتحرير : ستانسيلاف بروزوروف ، دار ناؤوكا للطباعة والنشر ، دار طباعة ونشر الأدب الشرقي ، موسكو ، ١٩٩٤م .

رغم أن غلاف الكتاب يشير إلى أن طباعته ونشره كان في عام ١٩٩٤م ، إلا أن تاريخ مقدمته يشير إلى أن إعداده للطبع كان في عام ١٩٨٩م ، حيث تم تأريخها في يونيو ١٩٨٩م في لينينغراد . وهو عبارة عن نصوص مختارة من مراجع عربية حول الإسلام ، وترجمتها ، والتعليق عليها ، وقد قام بجمع وتحرير أبحاث الكتاب أحد المشاركين فيه والمتخصص في الدراسات العقدية ستانسيلاف بروزوروف ، وعدّ محرر الكتاب أن هذا أول عمل من هذا النوع في الدراسات الاستشراقية الروسية ، ويحتوي على ستة فصول تغطي جوانب الدراسات الإسلامية المختلفة ، وهي :

١ - محمد وبداية الإسلام .
٢ - القرآن وتفاسيره .
٣ - الحديث : سنة النبي .
٤ - العقائد والفرق في الإسلام .
٥ - الصوفية .
٦ - الفقه .

والفصول الستة للكتاب تحتوي على نص مترجم من

أحد المصادر الإسلامية مع مقدمة وتعليق موجز ، وحواشٍ على الترجمة . وكل فصل من تلك الفصول قام بكتابته أحد المتخصصين في مجال من مجالات الدراسات الإسلامية في معهد الاستشراق في سانت بطرسبرج .

الفصل الأول : محمد وبداية الإسلام ، (ترجمة بولوسين ، قدم للنص وعلق عليه بيتروفسكي) ، ص٩-٣٣ .

يشتمل هذا الفصل على ترجمة نصين من نصوص رواية السيرة النبوية ، الأول من سيرة ابن اسحاق برواية ابن هشام يحتوي على عدد من وقائع السيرة النبوية ، تمتد من تاريخ ولادته إلى بداية البعثة ، والثاني : رسالة "أوجز السير" لأحمد بن فارس الرازي .

الفصل الثالث : الحديث : سنة النبي (ترجمة وتعليق د . يرماكوف) ، ص٨٦-١٠٧.

في هذا الفصل تناول فيه كاتبه ما يسميه بالحديث السني ، من خلال ترجمة من كتاب "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" لابن بطة العكبري ، وأشار إلى أن هذا النص يعرض العقيدة الإسلامية حسب اعتقاد ورؤية المحدثين ، وزوّدت الترجمة بحواشٍ وملاحظات توضّح منهج المحدّثين المسلمين وطريقتهم .

• أسس علم الديانات :

بإشراف وتحرير : يابلوكوف ، دار المدرسة العليا للنشر والطباعة ، موسكو ، ٢٠٠٠م .

تم التعريف بالكتاب على غلافه أنه كتاب تعليمي لطلاب المعاهد العليا والجامعات.

يشتمل الكتاب على فصل عن الإسلام ص٢٠٤-٢٦٠ ، ومن ضمن محتوياته :

- الحالة الدينية في الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام ، ص ٢٠٤-٢٠٨ .
- محمد ودعوته ، ص ٢٠٨-٢١٩ .
- السنة ، ص ٢٢٤-٢٢٧ .

• ببليوغرافيا للأعمال الروسية في الدراسات العربية والإيرانية والتركية : الدوريات العلمية : ١٨١٨ - ١٩١٧م :

ل. ن. كارسكايا، من منشورات فرع معهد الاستشراق في سانت بطرسبرج التابع لأكاديمية العلوم الروسية ، دار الأدب الشرقي للطباعة والنشر ، موسكو ٢٠٠٠م .

الكتاب فهرسة للأبحاث والمقالات فيما له صلة بالدراسات العربية والإيرانية والتركية، والمنشورة في الدوريات والمجلات العلمية الروسية في المدة المحددة أعلاه، وهي تمثل الاستشراق في روسيا القيصرية منذ بداية حركة الاستشراق النظامية إلى نهاية العهد القيصري .

تحت عنوان : الأحاديث ، ورد ثلاث مقالات فقط ، كلها للمستشرق أ. إي. شميدت ، وذلك تحت الأرقام التالية :

١٤٤٠ - مقالة عن الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال . الأول (٤٨٦) ، والثاني (٣٦٢) ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٠٨م .

مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الامبراطورية، عام ١٩١٠م، المجلد ١٩، ص٩٣-١٠٢.

تناول فيها أساليب وطرق جمع الأحاديث ونقد الأسانيد ، وقائمة بأسماء أشهر جوامع الأحاديث وجامعيها ، ومعلومات عن الذهبي وخمسة من مؤلفاته ، وأهميتها بالنسبة للعلم .

١٤٤١ - دراسة في صحيح البخاري : كتاب البيع وفيه باب السلم وباب الشفعة ، ترجمة وتعليق ف. بيلتي ، الجزائر ١٩١٠م .

مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الامبراطورية ، عام ١٩١٢م ، المجلد ٢٠ ، ص١٠٢-١٠٩ .

في تلك المقالة تناول شميدت التعريف بصحيح البخاري ومحتواه ومصادره ، وتشتمل على رأيه وملاحظاته على أحاديث الصحيح، ونظرية تطور الأحاديث.

١٤٤٢ - دراسة في كتاب الموطأ لمالك بن أنس : كتاب البيع ، ترجمة وتعليق ف. بيلتي ، الأستاذ في كلية القانون في الجزائر ، ١٩١١م .

مذكرات (تقارير) القسم الشرقي لجمعية الأثريات الروسية الإمبراطورية، عام ١٩١٣م، المجلد ٢١، ص١٠٤-١٠٧ .

في تلك المقالة ، تناول شميدت الفرق بين صحيح البخاري والمطأ ، ووصف الموطأ بكونه في جمع الأحاديث المخصصة للآراء الفقهية المعمول بها في المدينة .

وهناك عنوان جانبي : النبي محمد، ص١٦٥-١٦٦، ورد الإشارة إلى عدة مقالات ، تحت الأرقام التالية : ١٤١٩-١٤٢٤ .

كما تجدر الإشارة هنا إلى عنوان جانبي آخر في بداية سرد المقالات عن الإسلام ، بعنوان : أعمال عامة ، ص١٦٢ - ١٦٥، وتحت الأرقام التالية : ١٣٨٧ - ١٤١٨. في بعض تلك الأبحاث يتم تناول السنة بشكل أو بآخر .

المبحث الثاني : المخطوطات الحديثية في خزائن المخطوطات الروسية :

كان من أهم عوامل تنامي الاهتمام الروسي بالشرق الإسلامي وحضارته وشعوبه موقع روسيا الجغرافي وحدودها المباشرة مع العالم الإسلامي ، بل وخضوع عدد من شعوبه للسيطرة الروسية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر وتوسع تلك السيطرة خلال القرن التاسع عشر الميلادي إلى عمق آسيا الوسطى ، وكان من لوازم ذلك الاهتمام تنامي العناية بالمخطوطات الإسلامية والتي كان قسم كبير منها مكتوب باللغة العربية حيث هي لغة العلم والدين في تلك الأصقاع ، وكانت المناطق الأساسية لتزويد الخزائن الروسية بالمخطوطات الشرقية بما فيها المخطوطات العربية جمهوريات آسيا الوسطى التي كانت ضمن حدود روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي لاحقاً ، والمناطق الإسلامية في روسيا الفدرالية ، وبالأخص حوض الفولغا والقوقاز، وغني عن الإشارة إلى أسماء العلماء الكبار والأئمة العظام في مختلف العلوم الذين هم من أهل تلك الديار .

يمكن إرجاع البداية الرسمية في جمع المخطوطات واقتنائها إلى قرار بطرس الأول في نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بتأسيس دار التحف الذي صاحب إنشاء مؤسسة أكاديمية تعنى بالعلم ومجالاته المتعددة ، كان هذا التأسيس يمثل البداية الجادة للاهتمام بجمع المخطوطات الشرقية المكتوبة بمختلف اللغات الشرقية[٩] ، وكانت المخطوطات تصل إلى دار التحف في بداية الأمر على سبيل الإهداء إلى القيصر ، ثم صارت تصله هدايا ووصايا من مختلف الأشخاص ، وقد كانت هناك محاولة مبكرة لفهرسة محتويات المتحف بما فيها المخطوطات على يد المستشرق المشهور ج. ي. كهير الذي استدعي للعمل في روسيا[١٠] . وفي عام ١٨١٨م تأسس المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم ، وانتقلت مواد دار التحف من مخطوطات ونقود شرقية وغيرها ، لتكون من ضمن محتويات المتحف الآسيوي[١١] ، وكان تأسيس المتحف يعد مرحلة مهمة وأساسية في تاريخ الاستشراق الروسي ، وصار هو الخزانة الرئيسة لحفظ المخطوطات ، ترد إليه من جهات عدة وبطرق مختلفة ، ونمت تلك الخزانة وكبرت بحيث صارت تضاهي الخزانات العالمية في المخطوطات الشرقية عموماً والعربية على وجه الخصوص ، وكان لجهود مؤسسه الأول فرين في إدارة المتحف ، وفهرسة تلك المخطوطات والتعريف بها دور بارز في تاريخه وتاريخ العلم الروسي ، وإرساء تقاليد علمية تبعه عليها آخرون .

أهم أماكن حفظ المخطوطات الحديثية :

لا يخلو مركز من مراكز المخطوطات الأساسية في روسيا من وجود للمخطوطات الحديثية فيه ، وقد حظيت مدينة سان بطرسبرج بأهم مراكز حفظ المخطوطات ؛ فمنذ أن كانت عاصمة لروسيا القيصرية كانت مأرزاً للمخطوطات، تأتيها من جميع الجهات، وإن نشأت في العهد السوفيتي مراكز أخرى في جمهورياته كان لها دور في حفظ المخطوطات واقتنائها ، بما في ذلك المناطق الإسلامية في روسيا الفدرالية ، وبالأخص في قازان وداغستان .

أنس خالدوف المستعرب الروسي المختص في المخطوطات وفهرستها ، والمشرف على "فهرس المخطوطات العربية في معهد الاستشراق" المطبوع في مجلدين ، وناشر عدد من الدراسات والأبحاث في مجال المخطوطات العربية ، أشار في دراسته المعنونة بـ: «المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي» إلى المرحلة المبكرة للعناية العلمية بجمع المخطوطات ، والمؤسسات المعنيّة بذلك ، والدور الأساس للمتحف الآسيوي الذي تحوّل إلى معهد الاستشرق في العهد السوفيتي ، يقول أنس خالدوف في استعراضه : «تعزا المرحلة المبكرة لجمع المخطوطات العربية ودراستها لأغراض علمية في روسيا إلى القرن التاسع عشر ، وهي ترتبط في المقام الأول بنشاط أربع مؤسسات في بطرسبرغ هي: المتحف الآسيوي لأكاديمية العلوم ، والمكتبة العامة ، والقسم الدراسي بوزارة الخارجية ، وكلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ . وكان يصب في هذه المؤسسات الأربع معظم المخطوطات التي جمعها المستشرقون والدبلوماسيون والرحالة والهواة والعسكريون والموظفون المدنيون الروس ... إن مجموعات المخطوطات الشرقية لدى هذه المؤسسات الأربع هي التي أصبحت القاعدة الأساسية لعلم الإسلاميات والاستعراب الروسي قبل الثورة . وقد كرس الأكاديميون فرين ودورن وروزن وزاليمان وبارتولد وكراتشكوفسكي وعدد آخر من كبار المستشرقين لتسليط الأضواء على هذه المخطوطات عشرات المقالات وعدداً من الفهارس والشروح الموجزة ، ويرتكز الكثير من الأبحاث الأدبية التاريخية والنصية والمرجعية على مخطوطات من مجموعة بطرسبورغ – لينينغراد»[١٢] ، ثم يوضح خالدوف الدور المركزي للمتحف الآسيوي في مجال المخطوطات ، فيقول " لقد اضطلع المتحف الآسيوي لأكاديمية العلوم الذي أسس في العام ١٨١٨م بدور المؤسسة المركزية في روسيا لجمع المخطوطات الشرقية وحفظها ودراستها على مدى القرن التاسع عشر بأسره والنصف الأول من القرن العشرين»[١٣] .

ابتدأ المتحف الآسيوي عند تأسيسه بعدد قليل من المخطوطات الشرقية كان من ضمنها مخطوطات عربية والتي كانت في حوزة أكاديمية العلوم في سانت بطرسبرج في حينه ، ولعل أول مجموعة مهمة دخلت في حوزة المتحف الآسيوي هي مجموعة القنصل الفرنسي السابق في حلب ج . روسو ، التي اشترتها الحكومة الروسية على دفعتين ، خمسمائة مجلد في عام ١٨١٩م و ٢٠٠ مجلد في عام ١٨٢٥م ، وكان زهاء ٤٧٠ مخطوطة من مجموعة وارسو تحتوي إما بشكل كامل أو جزئي على مؤلفات باللغة العربية ، وكانت تلك المجموعة بداية لقسم المخطوطات الإسلامية في المتحف ، وهي المخطوطات المكتوبة بلغات مختلفة باستخدام الحروف العربية بما في ذلك المخطوطات النصرانية العربية . خلال التسعين سنة اللاحقة لم يتحصل المتحف إلا على مجموعات صغيرة ، وفي عام ١٩١٥–١٩١٦م اقتنى ف . إيفانوف من بخارى في رحلتين إلى هناك ١٠٥٧ مجلداً معظمها مخطوطات عربية لصالح المتحف ، وهي المجموعة التي تسمى (مجموعة بخارى) ، وفي عام ١٩١٦–١٩١٧م دخل في

خزانة المتحف ما يزيد على ١٠٠٠ مجلد من المخطوطات العربية جمعت من حوالي بحيرة وان ، وهي المجموعة التي تسمى (مجموعة وان) . في عام ١٩١٩م تم نقل عدد من مجاميع المخطوطات الشرقية المحفوظة في مكتبات أخرى في سان بطرسبرج ، وهي مكتبة القصر الشتوي ، ومكتبة القسم التعليمي لوزارة الشؤون الخارجية إلى المتحف الآسيوي . ثم بواسطة البعثات الأثرية التي نظمها معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي خلال الأعوام ١٩٢٤-١٩٣٦م، تم تزويد خزانة المخطوطات في المعهد - الذي أسس سنة ١٩٣٠م ، وحلّ محل المتحف الآسيوي - بأكثر من ١٥٠٠ مخطوطة عربية ، وبعد ذلك وصل لخزانة المعهد مجاميع صغيرة من المخطوطات سواءً من مؤسسات وجهات علمية أو عن طريق الشراء من الأفراد[١٤].

خزانة معهد الاستشراق تحتوي على أكبر وأهم المخطوطات الحديثية في الخزائن الروسية ، ويصل عدد المخطوطات الحديثية في تلك الخزانة إلى أربعمائة وستين مخطوطة (٤٦٠) ، وذلك حسب تصنيف فهرس المخطوطات العربية في المعهد الصادر في عام ١٩٨٦م ، حيث تم تصنيف المخطوطات فيه على حسب موضوعاتها ، بحيث يفرد كل موضوع بقسم يخصه ، وقد تم تخصيص القسم الثالث في الفهرس للحديث .

المكتبة الوطنية في سانت بطرسبورغ ، المسماة مكتبة سالطيكوف شيدرين الوطنية، تلي خزانة معهد الاستشراق في الأهمية من حيث وجود المخطوطات ، وحسب احصاء أنس خالدوف في حينه «بلغ مجموع الرصيد زهاء ١٥٠٠ من المخطوطات والوثائق العربية» ، وقد كانت المخطوطات تصل إليها من مصادر عدة منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، ولم يكن في حوزة المكتبة في عام ١٨١٣م إلا اثنتان وأربعون (٤٢) مخطوطة عربية[١٥] . أعدّت المكتبة للنشر فهرساً لمخطوطاتها العربية، تبلغ المخطوطات الحديثية فيه ستاً وتسعين (٩٦) مخطوطة ، وهي تفوق في الأهمية من حيث العدد ومن حيث المحتوى المجموعة المحفوظة في مكتبة اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورج .

جامعة بطرسبورغ ، الجهة الثالثة في الأهمية في سانت بطرسبورغ من حيث عدد المخطوطات العربية ، حيث تبلغ محفوظات مكتبة كلية اللغات الشرقية من المخطوطات العربية (١٠٤٠) مخطوطة[١٦] ، وقد كان أهم المجموعات التي أسست لمخطوطات مكتبة الكلية في الجامعة المخطوطات التي تم نقلها إليها من قازان ، سواء «مجموعة مكتبة ثانوية قازان التي نقلت في العام ١٨٤٦م» أو مجموعة جامعة قازان التي نقلت في عام ١٨٥٥م ، وذلك بعد إغلاق الدراسات الشرقية في الجامعة ، ثم بعد ذلك تعززت مجموعة المكتبة ، مما يصلها بالأخص من المخطوطات التي في حوزة أساتذتها[١٧] . يصل عدد المخطوطات الحديثية في خزانة تلك المكتبة إلى إحدى وأربعين مخطوطة (٤١) حسب تصنيف الفهرس المختصر الصادر في عام ١٩٩٦م للمخطوطات العربية في تلك المكتبة.

المناطق الإسلامية في روسيا الفدرالية كانت مصدراً مهماً لخزائن المخطوطات في سانت بطرسبورغ ، وقد كانت تلك الخزائن هي المورد الرئيس للمخطوطات ، تأتيها من داخل روسيا ومن خارجها ، خصوصاً خلال العهد القيصري منذ البداية الجادة لجمع المخطوطات في بداية القرن التاسع عشر ، ولكن في العهد السوفيتي وذلك خلال القرن العشرين ، بدأت تتكون خزائن مهمة لحفظ المخطوطات في عموم جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، بما في ذلك المناطق الإسلامية في روسيا الفدرالية ، وبالأخص في قازان التي أعادت تأسيس نفسها في هذا المجال حيث قد نُقلت مجموعاتها إلى جامعة سانت بطرسبورغ في منتصف القرن التاسع عشر ، وداغستان[١٨]. وبالتأكيد

للمخطوطات الحديثية نصيب من بين مجموعات المخطوطات العربية المحفوظة في خزائن تلك المناطق ، يشير كاتبا مقالة " المخطوطات العربية في داغستان " إلى نصيب الحديث في خزانة المخطوطات المحفوظة في معهد التاريخ واللغة والأدب لفرع أكاديمية العلوم السوفيتية في داغستان ، والتي أنشئت عام ١٩٤٥م ، وتضم قرابة ٢٥٠٠ مجلد مخطوط : " وكان الحديث أيضاً معروفاً في داغستان على نطاق واسع . وتوجد بين المخطوطات نسخ قديمة من مصابيح الدجى للإمام الشافعي المعروف أبي محمد الحسن الفراء البغوي توفي في عام ١١١٧ أو عام ١١٢٢. يمكن الحكم على قدم هذه المخطوطات من تواريخ نسخها ، وهي ٦٣٢هـ/١٢٣٤-١٢٣٥م ، ٧٦٠هـ/ ١٢٥٨-١٢٥٩م، ٨٣١ / ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨م ، ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣-١٤٦٤م، ٨٩٥هـ/١٤٩٠م ، ١٠١٥هـ/١٦١٦م ... إلخ . ومن المؤلفات المكرسة للحديث كذلك "افهام" لجلال الدين عبد الرحمن البلقيني توفي في عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م ، كبير قضاة المذهب الشافعي في القاهرة ، وقد كتب المؤلف في عام ٨١١هـ/١٤٠٩م ، أما مخطوطتنا فمؤرخة بعام ٨٢٠هـ/١٤١٧م نسخها إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر المليحي ، وهكذا توجد تحت تصرفنا نسخة من مؤلف البلقيني خطت وهو لا يزال على قيد الحياة"[١٩] .

وفي ختام الحديث عن أماكن حفظ المخطوطات في روسيا ، تجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من الجهات والمؤسسات في موسكو ، والتي يوجد لديها مخطوطات عربية ، ولكنها تبقى مجموعات صغيرة ، وليست بأهمية خزائن سانت بطرسبورغ . فمثلاً هناك المخطوطات المحفوظة في دار الوثائق الأثرية لدولة روسيا ، وقد ظهر فهرس للمخطوطات والوثائق العربية فيها ، بعنوان : فهرس المخطوطات والوثائق العربية في دار الوثائق الأثرية لدولة روسيا ، من تأليف : دميتري موروزوف ، وتحت عنون: الأحاديث ورد الإشارة إلى مخطوطة واحدة فقط برقم ٥٤ ، بعنوان : مجموعة أربعين حديثاً مع التعليق بالتركية ، تم تجليدها مع مؤلفات في النحو والصرف[٢٠] .

فيما يلي سيتم التعريف بفهارس المخطوطات العربية في الخزائن الثلاث الرئيسة في سانت بطرسبورغ والمخطوطات الحديثية فيها، حيث كانت تلك هي الخزائن الأساسية لجمع المخطوطات منذ البداية العلمية المبكرة لهذا المجال، وأغلب جهود الاستشراق الروسي الأكاديمي كان منصباً على الاهتمام بها والاشتغال عليها، وقد حظيت تلك الخزائن في العقدين الأخيرين بفهارس شاملة لمخطوطاتها العربية ، مما ييسر استخدامها والاستفادة منها.

• المخطوطات العربية لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي :

بإشراف : أنس خالدوف ، دار ناؤوكا للنشر ، موسكو ، عام ١٩٨٦م .

سبق الحديث عن خزانة معهد الاسشراق الذي كان يسمى بالمتحف الآسيوي ، والتي تُعد الخزانة الرئيسة للمخطوطات في روسيا ، ومن أغنى الخزانات العالمية في هذا المجال، وقد تعاقب على العناية بمخطوطات تلك الخزانة العديد من المستشرقين الروس بدءاً بالمؤسس الأول للمتحف الآسيوي المستشرق فرين كما سبق الإشارة إلى ذلك ، وقد حظيت المخطوطات العربية بعمل رائع في فهرسة متعددة الأغراض من جزئين ، قام بها فريق عمل من أساتذة المعهد بإشراف ومشاركة المستعرب الكبير أنس خالدوف ، وقد استعرض خالدوف في مقدمة الفهرس الجهود السابقة في خدمة مخطوطات تلك الخزانة من فهرسة سابقة لمحتوياتها ، والدراسات النقدية والأبحاث والمقالات العلمية حول تلك المخطوطات ، والجهود التي تمت في تحقيق ونشر بعضها، وقد أشار إلى هذا الجهود أيضاً عند مواطن إيراد هذاه المخطوطات في داخل الفهرس .

أشار المشرف على إعداد الفهرس - في تعريفه بالعمل الذي اهتم في إعداده وطريقة تصنيفه - إلى أن الفهرس يحتوي على معلومات عن كل المخطوطات العربية في المعهد ، ويصل عدد المواد المعّرف بها إلى ١٠٨٢٢ مادّة ، وكل مادة أخذت رقماً مستقلاً بغض النظر فيما إذا كانت نسخة مكرّرة أو جزءاً من مجموع أو مجلّد . وقد تم تصنيف الفهرس حسب الموضوعات بدءاً بالقرآن الكريم ثم الدراسات القرآنية، ثم الحديث ... إلخ . والأصل في ترتيب المواد داخل كل عنوان حسب الترتيب الزمني، ويتم التعريف بالمخطوط من خلال إحدى عشر معلومة، يأتي على رأسها عنوان المخطوط واسم مؤلفه اللذان يكتبان باللغة العربية .

وإضافة إلى الفهرس الموضوعي للمخطوطات العربية وطريقة ترتيب المواد فيه ، والمعلومات التفصيلية المذكورة للمخطوطة ، فقد اشتمل الفهرس على كشافات متنوعة ، شملت قوائم بأسماء عناوين المؤلفات ، وأسماء المؤلفين ، وأسماء النساخ ، وأماكن النسخ ، وأسماء المتبرعين بالمخطوطات ، وغير ذلك من كشافات مفيدة ، مما أعطى ميزة لهذا الفهرس رغم اختصاره ليُعرّف بشكل دقيق ورائع بالمخطوطات العربية في خزانة معهد الدراسات الشرقية . لقد تم إعداد هذا الفهرس وتأليفه في السنوات ١٩٦٤-١٩٧١م ، وقد كان تحريره وصياغته في الأعوام ١٩٦٩ -١٩٧١م . (ينظر: مقدمة الفهرس ١/ ٥-٣٣ ، والملخص باللغة الإنجليزية ٥٢٣/١-٥٢٧) .

قسم الحديث من الفهرس يأتي في الصفحات ٦٦-٨٥ من الجزء الأول ، ويشتمل على ٤٦٠ مخطوطة ، تحت الأرقام التالية ٦٦٩ - ١١٢٨ ، وذلك حسب ترقيم الفهرس . ويأتي ترتيب المواد فيه حسب الترتيب الزمني قدر الإمكان ، وعندما يورد كتاباً أساسياً مثل صحيح البخاري، يورد كل ما له صلة به من شروح وتعاليق ومختصرات بعد إيراده مباشرة بغض النظر عن تاريخ تأليفها، وحتى في حال عدم وجود المصدر الأساس، فإن المخطوطات ذات الصلة به تذكر في مكانه المفترض . في مقدمة الفهرس ، استعرض المشرف على إعداده محتوياته بإجمال ، ومن ضمن ما استعرضه مخطوطات قسم الحديث (ص٧) .

المخطوطات الحديثية الواردة في الفهرس تمثل التصنيف في الحديث وعلومه منذ القرن الثالث الهجري ، وفيما يلي استعراض لنموذج من عناوين تلك المخطوطات من بداية قسم الحديث ، وحسب الترتيب الوارد في الفهرس ، تحت الأرقام التالية ٦٦٩ - ٨٤٧ ، ويجدر التنبيه هنا إلى أن ما يرد تحت بعض تلك الأرقام قد يكون أجزاء أو نسخ أخرى للكتاب :

- الجامع الصحيح تأليف محمد بن إسماعيل البخاري .
- الكواكب الدراري في شرح الجامع الصحيح للبخاري تأليف شمس الدين محمد الكرماني.
- فتح الباري في شرح البخاري تأليف ابن حجر العسقلاني.
- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث الباري تأليف أحمد ابن إسماعيل الكوراني .
- التوشيح على الجامع الصحيح تأليف السيوطي.
- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري تأليف أحمد القسطلاني.
- مقدمة شرح تراجم (أبواب الصحيح) الباري تأليف أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- في بيان كتاب الصحيح للبخاري.
- مختصر الصحيح تأليف عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي.
- [رسالة في الجامع الصحيح للبخاري] تأليف أحمد بن محمد العدوي الخلوتي المعروف بالدردير الأزهري.
- الرسالة المتعلقة على كتاب الصحيح للباري تأليف محمد علي بن طاهر الوتري .
- تسمية من سمي من أهل البدر في الجامع للبخاري.
- الثلاثيات تأليف محمد بن إسماعيل البخاري.

- مختصر الصحيح لمسلم تأليف عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
- الشمائل تأليف الترمذي.
- شرح الشمائل للترمذي.
- جمع الوسائل في شرح الشمائل تأليف علي القاري الهروي.
- الاستبصار فيما اختلف فيه [من] الأخبار تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي.
- الإفصاح عن معاني الصحاح [وهو شرح على الجامع بين الصحيحين للحميدي] تأليف يحيى بن محمد بن هبيرة.
- أربعون حديثاً في المواعظ والخطب تأليف محمد بن علي ابن ودعان.
- مصابيح السنة تأليف الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
- الينابيع في شرح المصابيح تأليف أبي عبد الله عبد المؤمن ابن أبي بكر بن محمد التبريزي الزعفراني.
- كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح تأليف محمد بن إبراهيم المناوي.
- مجالس الأبرار ومسالك الأخيار (شرح على مصابيح السنة) تأليف أحمد بن عبد القاهر الرومي الاقحصاري.
- شرح على مصابيح السنة للبغوي.
- مشكاة المصابيح تأليف محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب التبريزي.
- شرح على مشكاة المصابيح تأليف السيد الشريف الجرجاني.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح تأليف علي القاري الهروي.
- شرح على مشكاة المصابيح.

*** المخطوطات العربية للقسم الشرقي في المكتبة العلمية لجامعة سانت بطرسبرج :**

فهرس مختصر، تأليف: أولغا فرالوفا، ت. دروجينا. تحرير : أولغا فرالوفا سانت بطرسبرج ، ١٩٩٦م .

الفهرس باللغة الروسية ، ونُشر بدعم من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي .

المخطوطات الحديثية حسب تصنيف هذا الفهرس ، (ينظر : ص ٢٤٨) تأتي تحت الأرقام التالية :

٦-١٠ ، ٤٠ ، ٦٣ ، ١٤٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦-٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٣٢٤ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٥٧ ، ٥١٦ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٩ ، ٦٨١ ، ٧٣١ ، ٧٨٤ ، ٧٩٣ ، ٧٠٠ ، ٨٠٩ ، ٨٨٣ ، ٨٨٥ - ٨٨٦ ، ٩٠٣ ، ٩٧٦ ، ١٠٤٠ .

*** المنتقى من مخطوطات جامعة بطرسبرغ ، كلية الدراسات الشرقية :**

إشراف وتقديم عبد الرحمن فرفور .

إعداد: خالد أحمد الريان، عبد القادر أحمد عبد القادر.

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

قام مركز جمعة الماجد بإرسال بعثة إلى تلك المكتبة ، اختارت عدداً من المخطوطات العربية وصل إلى أكثر من أربعمائة مخطوطة ، حيث تم تصويرها على أفلام، وفهرستها، وطباعة الفهرس بالاسم المذكور أعلاه ، وقد ورد في مقدمة الفهرس : «وقد راعى أعضاء البعثة في اختيارهم منها عدداً من المواصفات ؛ فانتقوا ما كتب منها بخط المؤلف ، وصوروا ما أوغل في القدم ، منتبهين إلى القيمة العلمية فيها ، مع الأخذ بعين الاعتبار مقدار الفائدة المرجوة للباحثين مما ينتقون ويصورون» (ص٦) .

وقد تم ترتيب محتويات المنتقى بناء على عناوين المخطوطات مرتبة حسب حروف المعجم ، ويتم تحديد موضوع كل مخطوطة عند ذكر المعلومات التفصيلية المتعلقة بها ، وفي نهاية الكتاب تم وضع فهرس موضوعي لمحتوياته مرتباً حسب حروف المعجم .

وتحت عنوان : (الحديث النبوي وعلومه) ، تم إيراد (١٧) مخطوطة ، وهي تمثل أقل من نصف العدد

للمخطوطات الحديثية حسب الفهرسة الكاملة للمخطوطات العربية في الفهرس المذكور أعلاه ، وفيما يلي سرد لجميع عناوين المخطوطات الحديثية ، مرتبة حسب حروف المعجم، وذلك حسب ورودها في المنتقى :

- إجازة الصفتي إلى أنطوني بيك موخلينسكي برواية ديوانه.
- إجازة العجيمي إلى أحمد بن سليمان الإسلامبولي.
- الأحاديث القدسية : تأليف الملا علي القاري (نسختان) .
- أربعون حديثاً تأليف الملا علي القاري.
- إسناد الحديث المسلسل بالأولية : لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي .
- البرة في الهرة للملا علي القاري .
- تحرير الأبحاث في الكلام على حديث «حبب إليّ من دنياكم ثلاث» تأليف عبد النافع بن عمر الحموي .
- التذييل والتذنيب على نهاية الغريب تأليف جلال الدين السيوطي .
- الثلاثيات .
- ثلاثيات الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.
- الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير تأليف جلال الدين السيوطي .
- رسالة في الأحاديث الواردة في المعراج تأليف الملا علي القاري .
- شرح حديث «الخلق الحسن يذيب الخطايا» (بالفارسية).
- فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد للملا علي القاري.
- فهرسة مرويات ابن حجر العسقلاني : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- مقدمة في الجامع الصحيح للبخاري .

*** المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في سانت بطرسبورج . مكتبة سالطيكوف شيدرين الوطنية:**

تم إعداد فهرس للنشر بمحتويات مكتبة الدولة الوطنية في سانت بطرسبرغ من المخطوطات العربية منذ أكثر من عقد من الزمان ولم يطبع بعد، وقد اطلعت على هذا الفهرس على الهيئة المعد بها للنشر في ذلك الوقت ، وهو يتكون من جزئين ، وعلى غلاف الجزء الأول وردت المعلومات التالية :

أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي

المخطوطات العربية

مكتبة الدولة الوطنية ، م بي (سالطيكوفا شيدرين)

فهرس

واضع الفهرس : ليبيديف . المدقق : أ . خالدوف .

الجزء الأول / الدين ، القانون ، الفلسفة ، التاريخ ، الجغرافيا .

دار ناؤوكا ، الناشر الأول للمطبوعات الشرقية .

موسكو ١٩٩٠م ، وقد تم إجراء تعديل على التاريخ إلى ١٩٩٢م .

وقد تم تصنيف المخطوطات فيه على حسب الموضوعات ، ويحتوي الفهرس أيضاً على كشاف لتلك المخطوطات بناء على عنوان المخطوطة ، وكشاف آخر بناء على اسم المؤلف ، ومن ضمن الموضوعات المبوب لها (الحديث) ويستغرق اثنتين وعشرين صفحة من الجزء الأول، وذلك من ص ٨٤ إلى ص١٠٥، وتحت الأرقام التالية: ٢٩٩ - ٣٩٤ ، وهذا الترقيم يشمل الأجزاء أو النسخ المتعددة لكتاب ما ، والمعلومات التفصيلية للمخطوطات في الفهرس باللغة الروسية ، وعناوين المخطوطات مع أسماء مؤلفيها ترد بالعربية . وطريقة ترتيب إيراد المخطوطات شبيهة بالطريقة التي سبق ذكرها في فهرس المخطوطات العربية في معهد الاستشراق. وفيما يلي استعراض للثلث الأول من تلك العناوين ، والتي تأتي تحت الأرقام ٢٩٩ - ٣٣٠ ، ويمكن مقارنة المحتوى بالنموذجين اللذين سبق إيرادهما من فهرس معهد الاستشراق ، وفهرس مكتبة اللغات الشرقية :

- الثلاثيات : لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي .

- الجامع الصحيح: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ج١-٥، ١).
- فتح الباري في شرح البخاري : تأليف أحمد بن علي .
- عمدة القارئ في شرح البخاري : تأليف محمود بن أحمد العيني (٧-٨) .
- [إرشاد الساري في شرح البخاري تأليف أحمد بن محمد القسطلاني] (ج٣-٤) .
- جمع النهاية في بدئ الخير والغاية تأليف عبد الله بن أبي حمزة الأزدي .
- الثلاثيات تأليف محمد بن إسماعيل البخاري .
- الصحيح تأليف مسلم بن الحجاج النيسابوري .
- المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج تأليف [يحيى بن شرف] النووي (ج ٢) .
- [الجامع الصحيح] تأليف ابن عيسى [محمد بن عيسى] الترمذي.
- شرح الشمائل تأليف عبد الله بن صديق بن عمر الهروي.
- أربعون حديثاً في العفو الغفران تأليف محمد بن أبي بكر [العصفوري] .
- [دلائل النبوة تأليف جعفر بن محمد] المستغفري، أبي العباس.
- سراج المستهدين في آداب الصالحين تأليف أبي بكر بن العربي .
- شرح الأربعين الودعانية.
- مصابيح السنة تأليف الحسين بن مسعود البغوي.
- [المفاتيح في شرح المصابيح تأليف الحسين بن محمد بن الحسن الزيداني] مظهر الدين .
- مجالس [الأبرار ومسالك الأخيار] تأليف [أحمد بن عبد القاهر] الرومي.
- مشكاة المصابيح تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي.
- مرقاة المفاتيح بمشكاة المصابيح تأليف علي بن محمد القارئ الهروي (ج٢) .
- كتاب العلل تأليف علي بن الحسن بن علي بن صدقة.

خاتمة :

مع بداية حركة الاستشراق الروسي العلمية النظامية في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر الميلادي ، بدأ إرساء تقاليد علمية لهذا الاستشراق ، وإنتاج جهود ميزته عن الاستشراق الأوروبي ، وللاستشراق الروسي جهود متعددة في الاهتمام بجوانب من الحضارة الإسلامية وتراثها ولغاتها وشعوبها ، وإن كان كما يتضح من خلال استقراء جهوده لم تكن جهوده في مجال الشريعة الإسلامية ومصادرها بجهوده ذاتها في المجالات الأخرى ، ولكن مما يجدر ذكره هنا ، أنه قد برز في العقدين الأخيرين تنامي الاهتمام بهذا المجال .

من خلال استقراء السنة في المصادر الروسية ، نجد أن أغلب الجهود في هذا المجال هي أبحاث وكتابات تأتي ضمن محتويات مصادر أشمل ، ولكن تبقى لتلك الدراسات والكتابات أهمية كبرى ؛ لأنها إما أن تكون من كتابات علماء وباحثين لهم مكانتهم في الاستشراق الروسي ، أو في مصادر لها مرجعية علمية وتعليمية في المراكز الاستشراقية والأقسام الجامعية والدوائر التعليمية. وتجدر الإشارة هنا إلى مصدرين وردا في المصادر التي تم استعراضها في المبحث الأول ، أحدهما : السنة، الأحاديث الإسلامية : نشأتها وتطورها، تأليف تريتياكوف، والذي يتضح من تأمل محتوى هذا الكتاب ومنهجية تناوله للسنة ، أنه من نتاج الاستشراق التبشيري ، والكتاب الآخر هو : أحاديث محمد ، أو حِكَم النبي محمد ، للأديب الروسي الكبير ل. تولستوي ، وهي أحاديث اختارها لترجمتها إلى الروسية إعجاباً منه بمعانيها ودلالاتها ، وهو معروف عنه إعجابه وتقديره للإسلام ونبيه .

من الجهود المشهودة للاستشراق الروسي هي عنايته بالمخطوطات فهرسة ودراسة ، وقد تظافر على ذلك عدد من رموز الاستشراق الأكاديمي منذ بدايته ، وقد

ساعد على وجود هذا التوجه البحثي تكوّن خزائن مهمة لحفظ المخطوطات ، تأتي على رأسها خزانة المتحف الآسيوي في سانت بطرسبورغ الذي تحوّل إلى معهد الاستشراق لاحقاً ، ويوجد بجانب تلك الخزانة خزانتان أخريان، أحدهما : المكتبة العامة ، والأخرى : مكتبة اللغات الشرقية في جامعة سانت بطرسبورغ ، وجميع هذه الجهات الثلاث بدأت في اقتناء وحفظ المخطوطات منذ وقت مبكر ، وفي كل منها نجد للمخطوطات الحديثية نصيباً في محتوياتها، وما تحتوي عليه خزانة مكتبة معهد الاستشراق أكثر - مقارنة بالمكتبتين الأخريين - تأتي بعدها المكتبة العامة ، ثم مكتبة كلية اللغات الشرقية ، وهذا أمر طبيعي إذا قورن ذلك بالعدد الإجمالي للمخطوطات في كل منها ، وقد تمت فهرسة المخطوطات الحديثية ضمن فهارس تلك المكتبات التي تم استعراضها في المبحث الثاني .

الهوامش

- ينظر : مقدمة في تاريخ الاستشراق في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد، بيرتيلس ، في تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ص ١٧-١٨ . وينظر في تتبع جذور الاستشراق الروسي في القرن الثامن عشر ، وخصوصاً في عهدي بطرس الأول وكاتيرينا الثانية إلى : دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي لكراتشكوفسكي ص٤٠ فما بعدها . وكذلك الاستشراق الروسي . عبدالرحيم العطاوي، ص ٥٩ فما بعدها .

٢ - انظر: دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي . كراتشكوفسكي ص٤٣ . «القرآن في روسيا» لبيوتر غريزنيفيتش ، في أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت ، الكتاب الأول ، ص ٢٥١ .

٣ - ينظر: دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي ص٥٣ ، وكذلك الاستشراق الروسي . عبدالرحيم العطاوي ، ص٦٤ - ٦٥ .

٤ - يجمع الباحثون في الاستشراق الروسي ، على تحديد تلك البداية وأهميتها في تاريخ الاستشراق : ينظر في ذلك مثلاً :
دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي، كراتشكوفسكي ، ص٧٣.
- 300 years of oriental . studies in Russia p.16
الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي ، تسيريتيلي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مجلد ٥٦١/٢١.

٥ - تم الاعتماد في هذا الاستعراض لمؤسسات الاستشراق الروسي الأكاديمية والمختصين فيها ، على المصادر التالية :
- دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي . كراتشكوفسكي، ص٧٣-١٨٧ .
- المستشرقون . نجيب العقيقي ، ص٥٢ فما بعدها .
- 300 years of oriental studies in Russia p.16-35.

٦ - ينظر : تاريخ الاستشراق في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ، وبالأخص ص٢٩ فما بعدها .

٧ - تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي . بارتولد ، ص٧٥٢.

٨ - ينظر : دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي ، فقد تناول كراتشكوفسكي هذا النوع من الاستشراق بالتحليل في كتابه ،

في القسم الذي تحدث فيه عن المستعربين القازانيين ، ينظر على الأخص الصفحات ١٧٩-١٨٧ .

٩ - ينظر: تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ، ص١٨-١٩ .

١٠ - المصدر السابق ، ص٢١-٢٢ .

١١- المصدر السابق ، ص ٢٩ .

١٢- المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي ، في «أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت» ، الكتاب الأول ، ص٩-١٠ .

١٣- المصدر السابق ، ص١٠-١١.

١٤- ينظر في هذا الاستعراض التاريخي لجمع المخطوطات واقتنائها في المتحف الآسيوي الذي تحول إلى معهد الاستشراق إلى : مقدمة فهرس «المخطوطات العربية لمعهد الاستشراق» ، وكذلك إلى الملخص باللغة الانجليزية في آخر الفهرس ص٥٢٣ ، وأيضاً : المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي في «أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت» ، الكتاب الأول ، ص١١-١٤.

١٥- ينظر المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي ، ص١٢ ، ١٤ .

١٦- المنتقى من مخطوطات جامعة بطرسبرغ - كلية الدراسات الشرقية ، ص٥ .

١٧- ينظر المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي ، ص١٣.

١٨- ينظر في خزائن المخطوطات في قازان وداغستان، الأبحاث التالية : المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي لأنس خالدوف، في أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت ، الكتاب الأول، ص٢٢-٢٤. المخطوطات العربية في داغستان لحاجي حمزتوف، عمري شيخ سعيدوف ، في أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت، الكتاب الثاني، ص٦٢ . آثار الكتابة العربية في داغستان لناتاليا طاهروفا ، ص١٧٧، ومجموعة كتب محمد سيد سعيدوف لعمري شيخ سعيدوف ، في أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت ، الكتاب الرابع ، ص١٩٤ .

١٩- المخطوطات العربية في داغستان ، لحاجي حمزتوف ، عمري شيخ سعيدوف ، في أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت ، الكتاب الثاني ، ص٦٩.

٢٠- فهرس المخطوطات والوثائق العربية في دار الوثائق الأثرية لدولة روسيا ، ص٣٠.

المصادر والمراجع

أ - المراجع العربية :

* آثار الكتابة العربية في داغستان، ناتاليا طاهروفا ، في "**أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت**" ، الكتاب الرابع، ص١٧٧-١٩٣ .- موسكو : أكاديمية العلوم السوفيتية ، ١٩٨٩م.

* **تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد** ، تأليف : مجموعة من المستشرقين السوفيات ؛ ترجمة : معروف خزنه دار .- ط١ .- بغداد: جامعة بغداد - مطبعة المعارف ، ١٩٨٠م .

* **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي** ، فاسيلي بارتولد ؛ ترجمه إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم .- ط١ .- الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* الثقافة الكتبية ، خالدوف ، في «**دراسات في تاريخ الثقافة العربية**» - القرون ٥-١٥ ص٢٣٤-٢٣٦ ، من منشورات أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي - معهد الاستشراق ، للكتاب هيئة تحرير من عدد من

الكتاب ، والمحرر المسؤول : بولشاكوف؛ ترجمة أيمن أبو شعر .- موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٩م.

* الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي. جيورجي تسيريتيلي .- موسكو : **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٧ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ/ ١ كانون الثاني ١٩٥٦م، مج ٣١، ص٥٥٩-٥٧٦.

* مجموعة كتب . محمد سيد سعيدوف، عمري شيخ سعيدوف ، خولادته عمروف ، في «**أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت**» ، الكتاب الرابع، ص١٩٤-٢٠٩ .- موسكو : أكاديمية العلوم السوفيتية ، ١٩٨٩م.

* المخطوطات العربية في داغستان . حاجي حمزتوف ، عمري شيخ سعيدوف ، في «**أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت**» ، الكتاب الثاني، ص٦٢-٨٣ .- موسكو : أكاديمية العلوم السوفيتية ، ١٩٨٧م.

* المخطوطات العربية ودراستها في الاتحاد السوفيتي ، أنس خالدوف ، في "**أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت**" ، الكتاب الأول ص٥-٤٠ .- موسكو : أكاديمية العلوم السوفيتية ، ١٩٨٦م.

* **المنتقى من مخطوطات جامعة بطرسبرغ / كلية الدراسات الشرقية**، إشراف وتقديم عبد الرحمن فرفور ، إعداد : خالد أحمد الريان ، عبد القادر أحمد عبد القادر .- ط١ .- دبي : مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

* 300 years of oriental studies in Russia , Institute of oriental studies Russian Academy of Sciences, Moscow, 1997.

ب - المراجع الروسية :

* **عرض مبادئ الشريعة الإسلامية** . نيكولاي تورناوو .- سانت بطرسبورغ ، ١٨٥٠م .

* **مصادر سيرة محمد والكتابات عنه ١ - من عروة إلى ابن إسحاق مع ابن هشام** . أ . كريمسكي ، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية ، الإصدار ١٣ .- موسكو : مطبعة فارواري ، غاتسوك ، ١٩٠٢م.

* **تاريخ الإسلام** ، الجزءان ١-٢ . أ. كريمسكي ، الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات الشرقية في الاستشراق ، الإصدار الثاني عشر .- موسكو : دار فارواري ، غاتسوك ، ١٩٠٣م.

* **السنة ، الأحاديث الإسلامية : نشأتها وتطورها** . م . إي تريتياكوف .- ماكارييف على نهر أونجه : مطبعة ترويتيسكايا ، ١٩٠٣م .

* **موسوعة الفقه الإسلامي** ، ١ ، الجزء العام . ن. ستريبولايف ، مترجم لدى الإدارة الأولى لوزارة الخارجية ، س/ بطرسبورغ ، ١٩٠٤م .

* **أحاديث محمد** . ل . تولستوي ، ترجمها من الإنكليزية : س . د . نيكولايف ، سلسلة المفكرون الرائعون من جميع الأزمنة والشعوب ، نشرة بوسريدنيك ، ع٧٦٢ .- موسكو : مطبعة فيلده ، ١٩١٠م .

* **حِكَم النبي محمد** . ليون تولوستوي ، ترجمة سليم قبعين ، تقديم وتعليق عبدالمعين الملوحي ، مع ملحق في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب حكم النبي ﷺ لتولستوي بقلم محمود الأرناؤوط .- ط٢ .- دمشق - سورية : دار الملوحي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م .

* **الإسلامية** : المجلد الأول **محمد والقرآن** . تسفيتكوف ، ب .- عشق أباد : مطبعة هيئة الأركان التابعة للفيلق العسكري التركستاني الثاني ، ١٩١٢م .

* **تاريخ العرب والأدب العربي** . المدني والديني (القرآن ، الفقه ، السنة ... إلخ)، الجزء الثاني ، التاريخ من أقدم العصور ، طبعة جديدة منقحة . كريمسكي .- موسكو : الكتاب من إصدارات معهد لازاريف للغات

الشرقية في الاستشراق ، الإصدار ١٥ الجزء الثاني ، ١٩١٢م .

* **تعاليم القرآن بشأن الصلاة وأخبار السنة عن مواقيت الصلاة اليومية** . م. تريتياكوف .- سانت بيتربورغ : مطبعة كولوكول (الناقوس) ، ١٩١٢م.

* **دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي** . كراتشكوفسكي .- موسكو - لينينغراد : أكاديمية العلوم السوفيتية ، ١٩٥٠م .

* **دراسات في تاريخ الإسلام والخلافة العربية** . المجلد السادس من المجموعة الكاملة لمؤلفات ف . بارتولد .- موسكو : دار ناؤوكا (العلم) للطباعة ، هيئة التحرير الرئيسة للآداب الشرقية ، ١٩٦٦م .

* **أصول الفقه** . م . إ . صدقدار .- موسكو : جامعة الصداقة ، ١٩٦٨م . الكتاب معتمد من قبل كلية الاقتصاد والحقوق للتدريس لطلاب التخصصات القانونية ، المحرر المسؤول : الأستاذ المساعد أو. أ . جيدكوف .

* **الإسلام : مختصر في تاريخ الدراسات الإسلامية** . بإشراف وتحرير ستانسيلاف بروزوروف .- موسكو : دار ناؤوكا للنشر والطباعة، هيئة التحرير الرئيسة للأدب الشرقي، ١٩٩١م .

الكتاب من مطبوعات معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية .

* **الإسلام : معجم موسوعي** . معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية .- موسكو : دار ناؤوكا للطباعة والنشر ، هيئة التحرير الرئيسة للأدب الشرقي ، ١٩٩١م .

قام بتأليف وكتابة مقالات تلك الموسوعة فريق عمل كبير من العلماء السوفيت ، ولجنة تحريرها ، تتكون من : ق . ف . ميلوسلافسكي، يو . أ . بتيروسان ، م . بي . بثوترفسكي ستانسيلاف بروزوروف (السكرتير المسؤول) .

* **نصوص مختارة عن الإسلام** . معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية ، جمع وتحرير ستانسيلاف بروزوروف .- موسكو : دار ناؤوكا للطباعة والنشر ، دار طباعة ونشر الأدب الشرقي، ١٩٩٤م.

* **أسس علم البيانات** . بإشراف وتحرير بابلوكوف .- موسكو : دار المدرسة العليا للنشر والطباعة ، ٢٠٠٠م .

* **بيليوجرافيا للأعمال الروسية في الدراسات العربية والإيرانية والتركية : الدوريات العلمية : ١٨١٨- ١٩١٧م**. ل . ن . كارسكايا، من منشورات فرع معهد الاستشراق في سانت بطرسبرج التابع لأكاديمية العلوم الروسية .- موسكو : دار الأدب الشرقي للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م .

* **المخطوطات العربية لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي** . بإشراف أنس خالدوف.- موسكو : دار ناؤوكا للنشر ، ١٩٨٦م .

* **المخطوطات العربية للقسم الشرقي في المكتبة العلمية لجامعة سانت بطرسبرج** . فهرس مختصر . أولغا فرالوفا ، ت . دروجينا . تحرير أولغا فرالوفا. سانت بطرسبرج ، ١٩٩٦م . الفهرس نُشر بدعم من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي .

* **المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في سانت بطرسبورج** . مكتبة سالطيكوف شيدرين الوطنية . واضع الفهرس : ليبيديف . المدقق : أ . خالدوف . دار ناؤوكا - لم ينشر بعد.-